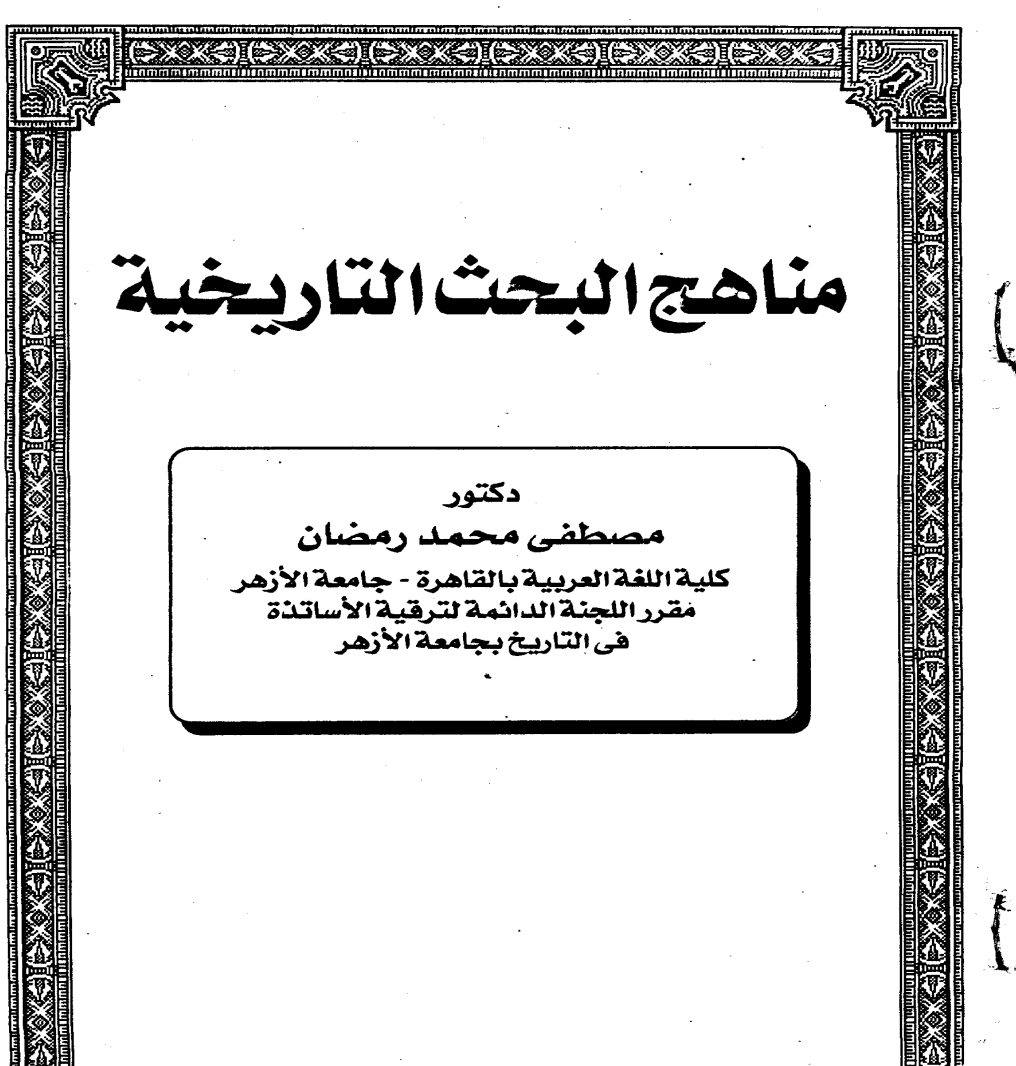


مناهج البحث التاريخية

دكتور

مصطفى محمد رمضان

كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر

مقرر اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة

فى التاريخ بجامعة الأزهر

المقدمة

تتناول هذه الدراسة التى تقع فى مقدمة وقسمين مفصلين على ثمانية فصول مدخلاً فى القسم الأول لدراسة التاريخ الإسلامى من حيث التعريف بالتاريخ والمؤرخ ومهمته فى البحث عن الحقيقة ، والمراحل التي مر بها علم التاريخ عند المسلمين ، الى أن وصلت الي درجة عالية من الرقى والتقدم فى القرن التاسع الهجرى على يد عبد الرحمن بن خلدون الذى كان أول من تحدث عن فلسفة التاريخ فسبق بذلك غيره من المؤرخين الغربيين .

كما تناولت الدراسة موضع تحقيق التراث الإسلامى والمطلوب من الباحث فى مجال دراسة مخطوط فى التاريخ ، وكذلك الإشارة الى قوائم الكتب (البيليوجرافيا) وكتب الرجال .

وتتناول هذه الدراسة فى قسمها الثانى مصادر تاريخ مصر الحديث ، وتأتى فى مقدمة هذه المصادر بطبيعة الحال الوثائق الرسمية ، فلم يعد كافيا اعتماد الباحثين على الكتب الأدبية التقليدية ، وهى الكتب التى كتبها المرخون المعاصرون للأحداث أو الذين نقلوا من أشخاص أو كتب عايشت الأحداث ، فقد برزت فى الفترة الأخيرة أهمية الوثائق الرسمية المحفوظه فى دور الوثائق المختلفة والتى لم يسبق نشرها من قبل وضرورة اعتماد المؤرخين عليها .

وذلك لأن الكتب الأدبية التقليدية سجلها مؤلفوها فى ظل عاملى الرغبة والرهبة ، الرغبة فى عطاء الحاكم ، والرهبة من عقابه ، وهذان العاملان من أخطر عيوب المعاصرة ، وتزيف الحقائق التاريخية وتشوه بسببها فاما أن يكتب المؤرخ فى ظلها بعين الرضا أو بعين البغض .

وعين الرضا عن كل عيب كليله ... كما أن عين البغض تبدى المساويا

وان سلم المؤرخ منهـما لا يسلم من عيـوب أخرى ذاتيه تتعلق بمـيوله وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم .

أما الوثيقـة فانها خالية من عـيوب الكتب الأدبية التقليدية الســالفة لأنها كتـبت أصلا لا لتكون مرجـعا تاريخـيا وانما كـتبت لحفظ حـقوق أصحـابها السياسية والمالية أو الاجتماعـية ، كنص معاهدة أو اتفاقية دولية ، أو عقد بيع أو شراء ، أو حجة وقفية شرعية ، أو عقد زواج أو غير ذلك من العقود . ولم يكن يدور بذهن واضعيها أنها ستكون مرجعا تاريخيا فى يوم من الأيام .

وسـتقـتضى الدراسـة أن نعرض لأهم دور الـوثائق فى مصـر وكيـفيـة الحصول على ما بها من وثائق ونشير إلى طبيـعتها وخطوطها وأهم ما تحتوى عليه من وثائق .

كما تتناول الدراسة أهمية المـخطوطات التى وصلتنا عن العصور السالفة والتى مازال أغلبهـا بخطوط مؤلفيها ، أو منقولة عن نسخ المـؤلفين الأصليين فى تاريخ مصر الحديث لأنها من حيث الأصالة والتوثيق تأتى فى المقام الثانى من الأهميـة بعد الوثائق ، ومـازلنا نحصل على بعض المخـطوطات الأصلية لبعض الكتب المنشورة كانت فى زوايا النسيان ، بالرجوع اليها قدمت اضافات لا بأس بها ، تختلف فى كثيـر من النواحى عما نشر لتلك الكتب . وسنعطى مثالا للاضافات التى تأتى بها المخطوطات من خلال عرضنا لمخطوطه :

" تاريخ مدة الفرنـسيس بمصر من سنة ١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ " لمـؤلفها عبد الرحمن الجبرتى .

وسنشير الى أهمية معرفة المـصطلحات التاريخية فى دراسة تاريخ مصر بصفة خاصة وتاريخ العالم الإسلامى بصفـة عامة ، فالباحث أثناء قيامه ببعض

أبحاثه معتمدا على الكتب الأدبية التقليدية مثل :

كتاب جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " ، وكتاب محمد بن اياس المصرى " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " وكتاب عبد الرحمن الجبرتى " عجائب الآثار فى التراجم والأخبار " أقوال أن الباحث فى هذه الكتب تصادفه بعض الكلمات الاصطلاحية من أصل لغوى فارسى أو تركى مستمدة من النظم الفارسية أو التركية ابان غلبة الأتراك على كثير من الدويلات الإسلامية وظلت هذه المصطلحات مستعملة فى عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين ، ونظرا لمعرفة الناس فى تلك العصور بمدلول تلك المصطلحات فندر أن يتعرض مؤرخ من مؤرخى تلك العصور لتك الكلمات بالشرح والتوضيح وتعيين المراد منها باللغة العربية ، ومن ثم تحدث تلك الكلمات الاصطلاحية مشكلة من مشاكل البحث التاريخى أمام الباحثين المحدثين ، فيقف حائرا أمام كلمات مثل (روز نامه) و (أمير خور) و (سالیانه) و (مهر دار) و (كتخدا) وغيرها من الكلمات الاصطلاحية .

ويحتاج الباحث لحل تلك الرموز الى الرجع لشتى المصادر من كتب النظم والآثار والفنون وكتب المصطلح ، لأن كتب اللغتين الفارسية والتركية لا تفيد كثيرا فى معرفة تلك المصطلحات ، فأحيانا يكون المصطلح مكونا من كلمتين احداهما عربية والأخرى فارسية أو تركية ، أو من كلمتين أحداهما تركية والاخرى فارسية الى غير ذلك من التراكيب ، وقد لا تفيد الترجمة الحرفية للمصطلح فيضطر الباحث الى تجشم الصعاب فى قراءة كثير من المصادر لفهم المراد منها ، وقد يختلف معنى المصطلح من عصر الى آخر فيضطر الباحث الى دراستها فى مختلف العصور الإسلامية من حيث نشأتها

وتطورها ، وكثيرا ما يضطره البحث الى الرجوع الى الوثائق الرسمية التى تخلفت عن تلك العصور ان وجدت وهى أفضل الوسائل لدراسة المصطلحات لأنها مصادر ذات دلالة قاطعة فى هذا المجال .

وسيقدم البحث أسهاما متواضعا فى هذا المجال ، ولعل فى مستقبل الأيام ما يتيح لنا الفرصة لكي نتناول المصطلحات التاريخية بدراسة منفردة .

وفى الختام سنتناول أخطر مصادر الخبر فى التاريخ المعاصر وأعنى بها وكالات الأنباء التى تتحكم فى الأخبار المسموعة أو المصورة ، ولها مراسلين فى جميع أنحاء العالم لجمع هذه الأخبار مع الأشارة الى خطورتها فى مجال تزييف الأخبار .

هذا وأرجوا من المولى عز وجل التوفيق ...

مدينة نصر ـ القاهرة

١ / ٨ / ١٩٩٧

أ . د . مصطفى محمد رمضان

رئيس قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر

القسم الأول

الفصل الأول

المدخل فى دراسة التاريخ الإسلامى

تمهيد :

التاريخ والتوريخ فى اللغة العربية بمعنى واحد (وهو جملة الاحوال والاحداث التى يمر بها كائن ما) ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والانسانية .

والتاريخ (بالهمزة) هو عملية تسجيل هذه الاحوال أو دراستها .

والمؤرخ هو عالم التاريخ الانسانى .

وعلم التاريخ الانسانى علم قديم ، بدأ عندما أخذ الانسان البدائى منذ فجر المدنية يقص على ابنائه قصص اسلافه ممتزجة بأساطيره ومعتقداته .

وتدرج التعبير عن التاريخ مخالطا اولا بعناصر من الفن كالرسم والنقش على الحجر (كما فعل قدماء المصريين) وعندما سارت البشرية قدما فى مضمار الحضارة فى شتى اساليبها وصورها رويدا رويدا أخذ التاريخ يشكل اساسا جوهريا فى تسجيل موكب البشرية الحافل الدؤوب ، اذ هو المرآة او السجل او الكتاب الشامل الذى يقدم لنا ألواناً من الاحداث وفنونا من الافكار وصنوفا من الاعمال والآثار(١).

وربما يبدو للباحث المبتدىء بأن علم التاريخ مجرد سرد الاخبار وأحداث القرون الخالية لأخذ العظة والعبرة منها فحسب ولكنه فى حقيقته علم نقد وتحقيق وتعليل للاحداث والوقائع ، ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن

---

(١) حسن عثمان، منهج البحث التاريخى- الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٦٥ من المقدمة .

علم التاريخ فى هذا الصدد :

" فى ظاهره لا يزيد عن اخبار الايام والدول والسوابق من القرن الاول".

ثم يقول عنه فى الدراسة الحقيقية : " وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة . عريق وجدير بأن يعد فى علومها وخليق " .

وأقرب العلوم الطبيعية شبها به هو علم الجيلوجيا ، فكما أن الجيولوجى يدرس الارض كما هى الآن ليعرف اذا أمكنه ذلك كيف صارت الى حالتها الحاضرة فكذلك المؤرخ يدرس الآثار المتخلفة عن الماضى ليفسر بواسطتها ويقدر امكانه ظاهرة الحاضر كما ان الجيولوجى يجد مادته الاساسية فيما سلم من نفايات الطبيعة من أدلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة ، فكذلك المؤرخ يعتمد فى معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات أو تقاليد سلمت مصادفة واتفاقا من عوادى الزمن التى لاتبقى ولاتذر ، هذه الآثار والسجلات والتقاليد هى الحقائق المحسوسة الحاضرة التى ينصب عليها عمل المؤرخ ، هى مادة عمل وهى ليست قيمة وهامة لذاتها ولكن لمجرد دلالتها على الوقائع الماضية ثم هى لا تدل على الوقائع الماضية المباشرة ولكن بواسطة الضوء الذى يلقيه عليها فكر الباحث (١) .

---

(١) هونشو : علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادى ، القاهرة سنة ١٩٤٤ ص ٨٧ .

العصور التاريخية

جرى الاصطلاح بين الدارسين للتاريخ على تقسيم فترات التاريخ الانسانى الى عدة عصور كل عصر له مظاهر حضارية خاصة به فهناك عصر ما قبل التاريخ ويسمونه بالأنجليزية (prehistoric) وهذا يبحث فيه عن التاريخ البدائى للبشرية قبل ان تتعلم البشرية الكتابة ويكون لها حضارة مكتوبة بأسمها .

ومرحلة ما قبل التاريخ : معلوماتها مستمدة من آثار الانسان وحدها وقد دلت هياكل الانسان القديم ومخلفاته الأثرية علي أنه وجد منذ حوالى نصف مليون سنة ولم يكن وجوده في هذا العصر مقصورا على قارة معينة بل كان ينتشر في كل قارات العالم القديم آسيا وأوروبا وأفريقيا وقد كانت أدوات الأنسان الأولى من العظم والخشب والحجارة ، فأما أدوات العظم والخشب فقد بلى معظمها بمرور الزمن ولم تبق إلا الأدوات الحجرية ولذلك أطلق على هذه المرحلة من مراحل تاريخ الانسان اسم العصور الحجرية [1]

والعصور الحجرية في مصر تنقسم الى:

١. العصر الحجرى القديم من ٢٠٠٠٠ الى ٦٠٠٠ ق . م .

٢.العصر الحجرى الحديث من ٦٠٠٠ الى ٤٥٠٠ ق .م .

٣.عصر ما قبل الأسرات من ٤٥٠٠ الى ٣٢٠٠ ق . م .

وما يميز العصر الحجرى القديم : أن الانسان في هذه الفترة كان يعيش على الصيد وعلى الجمع ، وصنع آلاته من الخشب والعظم والحجارة ، ولم

---

[1] أنظر كتاب حضارة مصر والشرق القديم للدكتور محمد أنور شكرى وآخرين ، ص٢٨ ، طبعة مكتبة مصر ، لم تذكر سنة الطبع .

يكن الانسان قد عرف الاستقرار أو عرف الزراعة أو استئناس الحيوان ، وكانت حياته حياة تجوال في الوديان الصحراوية .

وما يميز العصر الحجرى الحديث : أن الأنسان كان يحي حياة الرعى في الصحارى و بدأ يعرف حياة الزراعة في وادى النيل ، وحياة المدن على طول مجرى نهر النيل ، ومعنى الزراعة بذر البذور بمعرفة الانسان وتعهد النبات الى أن تنضج ثمرته ، ولما عرف الناس الاستقرار بنو المساكن لسكناهم وأنشأوا القرى والمقابر لدفن موتاهم ، وعرفوا الغزل والنسج لصناعة ملابسهم ، وصناعة الفخار لأوانيهم المنزلية .

وما يميز عصر ما قبل الأسرات : زيادة الاستقرار ، وقطع الناس صلتهم بالصحراء والتزموا الوادى بصفة نهائية ، وازدادت عنايتهم بحرف الاستقرار كالزراعة وملكية الأرض ، وأصبح لكل جماعة إقليم خاص بهم تقيم فيه ولهم سوقهم ولهم حاكم ينظم أمورهم ، ولهم شارة خاصة بهم ولهم معبودهم الخاص بهم ، وأصبحت مقومات الاستقلال الادارى والاقتصادى واضحة في هذا العصر . وبدأوا في استخدام المعادن ، وأول معدن عرفوه هو معدن النحاس ، ومن أجل ذلك يمكن أن نسمى عصر ما قبل الأسرات في مصر بالعصر الحجرى النحاسى .

قيام الأسرات الحاكمة في مصر :في هذا العصر زادت حاجة الانسان الى الوحدة فأصبح لدينا في مصر أقاليم موحدة وزادت حاجة الناس الى توحيد الاقاليم في مصر وإقامة حكومة قوية وحدت الشمال والجنوب وبدأ عصر الأسرات الحاكمة ، (سنة ٣٢٠٠ ق .م) على يد الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى ، وهذا العصر يتميز بالكتابة حيث عرف الانسان الكتابة ، ولهذا

يعتبرظهور الكتابة بداية التاريخ الصحيح للأمم والشعوب ، وهى أولى مظـــاهر الحضارة ، وهى الدليل الذى يميز المجتمع المتحضر عن غيره .والكتابـــة بالنسـبة للعصور القديمة تفصل بين عصرين مختلفين : عصر اقتصرت معلوماتنا عنه علـــى الأثار المادية ، وعصر يتميز بنصوصه وكتاباته مما نستعين به كثيرا على دراســـة مختلف نواحى النشاط فيه ، ولهذا يعتبر أول ظهور الكتابة بداية التاريخ الصحيح للأمم والشعوب على اختلافها . وكانت في عهد الأســـرات في مصـــر كتابـــة تصويرية تسمى الهيروغليفية .وتعتبر الكتابة من الأحـــداث الجليلـــة في تـــاريخ الانسانية ، ومن مآثر الحضارة المصرية القديمة وأخذها الساميون عن المصريين ، ثم أخذها عنهم الاغريق ومنهم انتشرت الى شعوب القارة الأوربية .

وعلى ذلك فالتاريخ القديم: هو الذى بدأ عندما عرف الانسان القديم الكتابة ٣٢٠٠ ق.م وبدأ يسجل تاريخه على آثاره الباقية الى يومنا هـــذا مثـــل معابد الفراعنة وأهراماتهم في مصر وبدأ عصر الأسرات الحاكمة التى وحـــدت الأقاليم وهذا التاريخ يستمر حتى سقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب ســـنة ٤٧٦م فهذا التاريخ يعتبر حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور الوسطى .

فترة العصور الوسطى :

يذهب البعض بأن فترة العصور الوسطى تبـــدأ بســـقوط الامبراطوريـــة الرومانية في الغرب سنة ٤٧٦م وتنتهى بسقوط الامبراطورية البيزنطية في الشرق على يد الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م .على ان هذا التحديد لفترة العصـــور الوسطى لا يخلوا من أخطاء لأن كل عصر مرتبط بما ســـبقه مـــن حـــوادث في العصور السابقة وما لحقه منها في العصور التالية بحيث لا يمكن فصل عصر عـــن

الآخر فصلا تاما على أساس حادث معين[1].ومن مظاهر هذه الفترة انتشار المسيحية في قلب أوربا وأثر ذلك على النظم السياسية في النزاع الذى قام بين الكنيسة ممثلة في البابا والدولة ممثلة في الامبراطور في نهاية الامبراطورية الرومانية ، ثم سيادة النظام الاقطاعى ومن مظاهرها أيضا ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية ثم إنتشاره في آسيا وأفريقيا الى أن وصل الى الأندلس وشرق أوربا وتكوين الامبراطورية الاسلامية التى لها نظمها الخاصة بها التى تختلف عن النظم الغربية .[2]

وكان لفترة العصور الوسطى: مظاهرها الحضارية المختلفة في كل من الشرق والغرب ففي الغرب الاوربي :كان للكنيسة سلطان كبير على عقول الناس فكانت تطلب منهم أن يتبعوا تعاليمها من غير مناقشة ويطيعوا أوامرها طاعة عمياء وبذلك أماتت فيهم روح البحث والأبتكار ، ووضعت الكنيسة قوالب للفكر يصب الناس تفكيرهم فيها وغضبت على كل من عصى أوامرها أو جرؤ على التفكير والاستقلال في الرأى بعيداً عن هذه القوالب وأخرجته من حظيرتها ، وترتب على ذلك أن انصرف الناس في العصور الوسطى الى الجدل العقيم والمسائل العديمة القيمة وعمى الناس عن رؤية جمال العالم وكان إذا وقع نظرهم على شيء منه أعرضوا عنه وعدوه رجساً من عمل الشيطان ، ولم تكن الدنيا في رأيهم إلا مطية للدار الآخرة ، وكان الانسان لا يفكر إلا في ذنوبه وفي هول الموت والحساب ، وكان الجمال في نظره شركا نصب له ، كما

---

[1] دكتور فؤاد العطار ، النظم السياسية والقانون الدستورى ، ج١ ص١١٢ طبعة دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م وانظر أيضا : كوبلاند ، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا ، تعريب د . محمد مصطفى زيادة ، ص٤٠٣ .

[2] د . فؤاد العطار ، المرجع السابق ، ج١ ص ١١٣ .

كان التمتع به من أكبر الآثام وكان الجدل في اعتقاده مقبولا عند الله لأنه دليل على صدق العقيدة وقوة الايمان والخضوع لأوامر الدين ، تلك كانت آراء الناس في العصور الوسطى في أوروبا وذلك كان تفكيرهم .

أما فترة العصور الوسطى في العالم الاسلامي : فكانت تختلف مظاهرها عن ما سبق أن أشرنا إليه في أوروبا ، فقد كان المسلمون يمضون قدما في إقامة بنيان حضارى شامخ سريع التطور وكان أثر الاسلام والمسلمين في التاريخ أثراً خلاقا مبدعا لم يقف عند حد التغيرات السياسية وإنما كان واضحا جليا في الميدان الحضارى ، فقد استوعب المسلمون الحضارات السابقة عليهم وأفرزوا نتاجاً حضاريا خاصا بهم وتقدموا بالحضارة الانسانية الى الأمام خطوات كبيرة .[1]

ولما أفاقت أوروبا الغربية في أواخر العصور الوسطى وجدت نفسها أمام حضارة إسلامية عملاقة وكان أن هرع طلاب العلم من مختلف أنحاء أوروبا الغربية الى مراكز الحضارة الاسلامية في الأندلس العريقة ، ونتج عن ذلك قيام وثبة حضارية إزدهرت في القرنين الثانى عشر والثالث عشر عرفت (بالنهضة الوسيطة) وقد أدت هذه النهضة الوسيطة الى تمهيد طريق الرقى ، وأصبحت النفوس مهيئة لقبول الانقلاب العظيم الذى حدث في بداية القرن الرابع عشر حوالى سنة ١٣٠٠م ونعنى به النهضة الأوروبية الحديثة والتى هى من ثمار الاتصال الحضارى بين أوروبا الغربية ومراكز الحضارة الاسلامية في الأندلس وجزيرة صقلية وبلاد الشرق الأوسط (الشرق الأدنى في المصطلح القديم) أثناء أتصال أوروبا بها عن طريق الحروب الصليبية .

---

[1] د. سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج الأول ، المقدمة ، الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٤ وانظر أيضا دكتور عبد العزيز الشناوى أوروبا في مطلع العصور الحديثة الجزء الأول ، المقدمة ، القاهرة ١٩٦٩.

عصور التاريخ الحديث :

ويصطلح المؤرخون على أن السنة التى سقطت فيهـــا القســـطنطينية في أيدى العثمانيين وهى سنة ١٤٥٣م تعتبر حداً فاصلا بـــين العصـــور الوســـطى والعصور الحديثة بيد أن الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة عملية بطيئة لم تحدث بين عشية وضحاها بل وقعت تدريجيا ولذلك يصعب تعيين تاريخ محدد لنهاية العصور الوسطى في أوروبا وبداية العصور الحديثة بها فكل منهما يمتد ليشمل عدة قرون .ومن المعروف أن الانسان في مراحل نموه لا يستطيع أن يحدد يوما معينا لأنتقاله من مرحلة المراهقة الى مرحلة الشباب ثم الى مرحلة الرجولة ، ثم الى مرحلة الكهولة ، ثم الى مرحلة الشيخوخة ، فكل مرحلة من هذه المراحل تتداخل نهايتها مع بداية المرحلة التى تليها الى ان تتوارى لتفسح الطريـــق أمـــام المرحلة الجديدة وعندئذ تبرز سماتها واضحة قوية في حضارة الانسان وأسلوبه في التفكير والعمل ، فلابد أن تمر بين العصرين فترة انتقال قد تطول وقد تقصر حتى تستقر المفاهيم الجديدة في أذهان الناس وتصبح دعائم ثابتة ومظـــاهر جديـــدة للعصر الجديد .[1]

وفترة الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة في أوروبا يطلـــق عليها عصر النهضة الأوروبية وعصر النهضة يغطى فترة زمنية تمتد بضعة قـــرون من سنة ١٣٠٠م الى سنة ١٥٠٠م وتسبق هذه الفترة أو تزيد عنهـــا في بعـــض أجزاء أوروبا على أختلاف آراء المؤرخين ففى هذه الفترة تبدلت أحوال النـــاس السياسية وتغيرت أحوالهم الاجتماعية وآراؤهم الدينية والأدبية والفنية ، وهـــب الناس من رقادهم يطلبون العلم وأخذوا ينظرون الى الحياة نظره جديدة تختلـــف

---

[1] أنظر هربرت فيشر لكتابه " أصول التاريخ الأوربى الحديث من النهضة الأوربية الى الثورة الفرنسية " ترجمة د . زينب راشد و د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٢، ص٧ .

كل الاختلاف عن نظرتهم السابقة .وكانت حركة إحياء الدراسات القديمة تقوم على دراسة الفكر الاغريقي واللآتيني بدراسة المخطوطات القديمة ، وحينما توغلوا في الدرس والتنقيب عن القديم في فترة النهضة رأو أنه لابد لهم من إتقان اللغة العربية لأن الكتب اليونانية كلها كانت قد نُقلت الى العربية أيام الدولة العباسية ، وتبين للأوروبيين أنه كان للعرب الفضل الأكبر في حفظ التراث اليوناني إذ لولاهم لضاع معظم المؤلفات التى وضعها الفلاسفة والعلماء والأدباء في العصور اليونانية الزاهرة .

وتاريخ العالم العربى الحديث يبدأ بالغزو العسكرى العثمانى للعالم العربى ، لأنه فتح صفحة جديدة في تاريخ العالم العربى فأنهت عصر المماليك الذى ينتمى الى العصور الوسطى ، ومن ناحية أخرى فإن التاريخ العثمانى يرتبط بتاريخ أوروبا الحديث ، والعلاقات الدولية متشابكة ولا يمكن فصل التاريخ العربي في هذه الفترة عن تاريخ أوروبا ويلاحظ أن المظاهر السائدة للتاريخ العربي في العصر العثمانى كانت تنتمى الى فترة العصور الوسطى . ولم تبدأ التغييرات الحديثة إلا في القرن التاسع عشر على يد محمد على وخلفائه في مصر حيث بدأت كثير من التحولات السياسية والأقتصادية والأجتماعية .

أما فترة التاريخ المعاصر : فإنها تبدأ في العالم الغربي والعالم العربى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ لأن هذه الحرب أحدثت كثيرا من التغييرات مازالت مستمرة وتؤثر في الغرب الأوربي والأمريكي والشرق الأسيوي والأفريقي بصفة عامة ومنطقة الشرق العربى حتى الآن ومن بينها إنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م في منطقة فلسطين وهي الدولة التي كان لأنشائها تأثير كبير في منطقة الشرق العربي مازال يؤثر في الأوضاع السياسية المعاصرة حتى يومنا هذا .

البحث عن الحقيقة

وتعتمد كتابة التاريخ على البحث والاستقصاء للحوادث فى الماضى لمعرفة الاسباب والمسببات للوصول الى الحقيقة المجردة وفى سبيل هذا لابد أن يعتمد المؤرخ على النقد والاستنباط واستقراء الحوادث والاعتماد على مصادر متنوعة سواء كانت مادية او ادبية فالمادية كالاثار والنقوش والوثائق ، والادبية كالكتب سواء كانت مخطوطة أو مطبوعة .

وعلى الرغم من ذلك :الا ان ما يتوصل اليه الباحث من حقيقة فهى نسبية وليست مطلقة اى انها حقيقة ناقصة وليست مطلقة كاملة ، لان كثيرا من الاسئلة تظل بدون اجابة وهى مجال لاجتهاد المؤرخين ، وذلك مثل الدوافع الحقيقة لاى حدث أو عمل فمثل هذه الدوافع فى الغالب لا تكون معلنة ويجتهد المؤرخ فيها .

ولما كان التاريخ هو تراث الانسانية وتجاربها ، فإن الباحث فى التاريخ يستفيد من هذا التراث ، وتجارب الماضى ، ويكتسب خبرة السنين الطويلة التى عاشها اسلافه فيكون كأنما عاش معهم فى هذه السنين ، وهذا ما قرره المؤرخ المصرى احمد بن على المقريزى عندما قال : « من قرأ التاريخ فقد عاش الدهر كله » .

لذلك : نجد ان المؤرخ يدرس الماضى لترشيد الحاضر وانارة المستقبل، ويستفيد من دروس ماضيه ، وهو بذلك يختلف عن الحيوان الذى لا يستفيد من ماضيه ولا تجاربه ، ولذلك يقع فى نفس الاخطاء التى يقع فيها اسلافه .

ومن ثم : فان احدث تعريف للإنسان انه حيوان له تاريخ ومعنى ذلك

أن الانسان يتميز على غيره من الحيوانات الأخرى بأنه يعرف تاريخه ويعى تجارب ماضيه ، وذلك للعودة اليها من حين لآخر لترشيد الحاضر وانارة الطريق للمستقبل .

وان هذه الميزة تساعد على التطور النوعى دون الوقوع فى اى اخطاء من التى وقع فيها اسلافه .

وعلى العكس من ذلك بقية انواع الحيوانات ، فالفأر مثلا منذ القدم والانسان ينصب له المصيدة بطريقتها المعروفة ، وما زال يصطاده الناس بهذه الوسيلة ، ذلك أن الفيران ليس لها تاريخ ولا تستفيد من عبر ماضيها ودروسه ، بينما الانسان يتعرف على أخطاء اسلافه فيتجنبها ويستفيد منها .

ومن ثم فان التاريخ يدرس للامراء والحكام وابنائهم ليزدادوا خبرة فى شئون الحكم والسياسة ، فيذكر صاحب الفهرست أن معاوية بن أبى سفيان عندما سمع بالمؤرخ اليمنى (عبيد بن شرية الجرهمى) استحضره من صنعاء اليمن فأجابه ، وسأله معاوية عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم .

وسبب تبلبل الالسنة وأمر افتراق الناس فى البلاد فأجابه وأمره معاوية ان يدون هذا فى كتاب وينسب الى عبيد بن شريه وهذا هو كتاب : « الامم وأخبار الماضين » .

وهذا الاهتمام من جانب معاوية بتجارب الأمم لا شك أعطاه خبرة فى قيادة الناس وسياستهم .

ويذكر المسعودى المؤرخ عن معاوية أيضا أنه كان بعد أن يفرغ من عمله يستمر الى ثلث الليل فى اخبار العرب واياهم والعجم وملوكها وسياستها

لرعيتها ، وغير ذلك من اخبار الامم السالفه ، ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فيمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والاثار وانواع السياسات [1] .

ويهتم المؤرخ فى دراسته بالاجابة على الاسئلة الآتية :

١ ـ متى ؟ : لتحديد الزمان الذى وقعت فيه الأحداث .

٢ ـ اين ؟ : لتحديد المكان الذى وقعت فيه الأحداث .

٣ ـ من ؟ : لتحديد من فعل الاحداث أو شارك فيها .

٤ ـ كيف ؟ : لتحديد الكيفية التى وقعت بها الأحداث .

٥ ـ لماذا ؟ : وتتعلق بمناقشة المؤرخ للاحداث وتحليلها ، وفلسفتها، اى تعليلها ومناقشة الروايات الضعيفة ، وترجيح بعضها على بعض وابراز الاسباب ـ والنتائج لكل حدث ، وبذلك يتسنى له فى النهاية ان يحكم عليها حكماً قريبا الى الصواب لانه لم يصل الى حكمه الى بعد التصور الكامل للاحداث .

وهكذا : يكون المؤرخ منطقيا فى عمله ، فالمناطقة يقولون :

« الحكم على الشيء فرع عن تصوره » .

وهذا الجزء الأخير من الدراسة التعليلية التحليلية الذى يقع فى نطاق «لماذا»؟ هو ما يعبر عنه بفلسفة التاريخ ، ويحاول المؤرخون مؤخرا الاهتمام به على الرغم من انه قديم منذ ان طرحه (ابن خلدون) .

---

(١) احمد أمين فجر الاسلام ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

وعلى المؤرخ ان تتميز دراسته للتاريخ بالشمولية ، اى النظرة الشاملة التى تنظر الى الفترات التاريخية ، وتأريخها لشتى نواحى الحياة السياسة والعلمية والاقتصادية والحضارية فانها ان غطت هذه النواحى جميعها ، فانها تعطى بذلك صورة واضحة من التاريخ الحق وعن دور الدول والامم فى هذا التاريخ .

وهذه النظرة هى ما تسمى فى الدراسات التاريخية الحديثة بعين الطائر Bird's Eye اى رؤية عين الطائر التى تكون من اعلى فترى جميع الاشياء وبذلك تسمى الرؤية الشاملة ، ودونها الرؤية القاصرة التى تنظر الى التاريخ السياسى وحده للحكم على ماضى الامم ، وهذه نظره لا تعطى صورة واضحة عن اى فترة من فترات التاريخ وقد اعتمد المستشرقون فى دراسة تاريخ الامم الاسلامية على هذه الناحية وحدها ، اى السياسة ، ولما كانت هذه الناحية مليئة بالحروب والقتال شأن اى امة فانهم لم يوفقوا فى الحصول على صورة صادقة لتاريخ المسلمين ، لانهم تركوا النواحى العلمية والاقتصادية والدينية والاجتماعية ، بالاضافة الى انهم نظروا الى تاريخ المسلمين بعين ملؤها البغض والكراهية فضلوا السبيل .

المراحل التى مر بها علم التاريخ عند العرب

قام علم التاريخ فى العصر الجاهلى على اساس من الرواية الشفهية لغلبة الامية فى هذا العصر ، ولطبيعة المجتمع القبلى وما يسوده من روح المفاخرة والحسب والنسب وعلى الرغم من أن هذه الفترة لم ترق الى مستوى المنهج التاريخى المنظم ، الا انها حفظت لنا أنساب القبائل العربية ، وأمدتنا بمعلومات وافية عن تاريخ ونشاط بعض القبائل ، وألقت ضوءا كثيرا على

الظروف التى احاطت بظهور الاسلام والقوى المعارضة له ، وكان لها تأثير كبير فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، فهى البذرة الاولى نحو تأليف التاريخ.

فلما (ظهر الاسلام) على يد رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وقامت الدولة الاسلامية ومست الحاجة الى معرفة سيرة الرسول ورواية أحاديثه، وأعماله وغزواته توفر رجال على جمع اخبار السيرة وتدوينها ، فكأن ذلك بداية اشتغال العرب فى الاسلام بالتاريخ ، وهذا الارتباط بالاحاديث ترك أثرا فى منهج التأليف التاريخى تمثل فى طريقة الاسناد ، أى ان مؤرخى هذه الفترة ساروا على طريقة المحدثين فى تأييد رواياتهم بالاسناد

واقدم من كتب فى السيرة (عروة ابن الزبير بن العوام) المتوفى عام ٩٣ هـ ، و (ابان بن عثمان بن عفان) المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، و (وهب بن منبه) المتوفى حوالى عام ١١٠ هـ .

ووصلت الينا بعض كتابات هؤلاء فى كتب ابن اسحق والواقدى والطبرى، ثم انتهى علم السيرة والمغازى الى رجلين هما :

١ ـ محمد ابن اسحق (١٥٢ هـ) الذى اختصر سيرته ابن هشام (٢١٨هـ) ومختصرة هذا هو الذى بأيدى الناس اليوم .

٢ ـ ومحمد بن عمر الواقدى (٢٠٧ هـ) وكثير من روايته مضمن فى كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى (٢٣٠ هـ) هذا الى جانب كتاب متداول له تحت عنوان « فتوح الشام » .

وفى العصر الاموى : ظلت العلاقة بين الحديث والتاريخ ظاهرة كل الظهور وتأثير المنهج التاريخى بمنهج المحدثين فى طريقة الاسناد التى صبغت

بها الاخبار فكان الخبر يروى كالحديث بسنده ، بل ويروى بعده اسانيد للدلالة على صحته .

والاسناد هو : سلسلة الرواة الذين اوصلوا لنا النص أو المتن ، لان الحديث والخبر فى هذه الفترة كان يروى عن طريق سلسلة من الرواة ، تبدأ بالراوى الذى يحدث بالخبر أو الحديث وتنتهى الى النبى ﷺ أو القائل المنقول عنه الخبر ، والاسناد والسند بمعنى واحد .

وبدأ الرواة يهتمون، بالاسناد والسؤال عنه فى أعقاب الخلافات والفتن التى بدأت منذ خلافة عثمان بن عفان وظهور المذاهب والاحزاب السياسية المتناحرة فيما بينها كالشيعة والخوارج والامويين وغيرهم .

وتعرضت الاخبار كما تعرض الحديث الى محاولات قوية للدس ، مما ادى الى ظهور الكذب ، الأمر الذى دفع العلماء الى التأكيد من مصادر الرواية ويسألون عن رجالها الذين اشتركوا فى نقلها ، قال محمد بن سيرين (توفى ١١٠ هـ) : " لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذون حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم [(١)] .

وقد رسم رجال السيرة والاخبار فى اواخر العصر الاموى ، الابواب الاساسية للتاريخ فأصبحت اربعة :

(١) التاريخ منذ بدء الخليقة لمعرفة مغزى الوجود الانسانى .

(٢) اخبار العرب قبل الاسلام . (٣) السيرة النبوية .

(٤) أخبار الدولة الإسلامية .

---

(١) اكرم العمرى ، بحوث فى تاريخ السنة المشرفة ص ٤٨ ومسلم الصحيح ١ / ٥ والخطيب البغدادى ، الكفاية ص١٢٢ .

المؤرخون الأوائل :

١ - عروة بن الزبير بن العوام (المتوفى بين سنه ١٠١،٩١ هـ)

عروة هو ابن الزبير بن العوام الصحابى الجليل وامه اسماء بنت ابى بكر الصديق ، وهو قرشى ، وسلسلة نسبه : عروة بن الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن عبد مناف بن قصى ، فهو من أشراف البيوت القرشية وأعظمها قدرا ، وأخوه عبد الله بن الزبير ومصعب . وقد ولد عروة سنة ٢٢ هـ ونشأ بالمدينة وأخذ علمه عن الصحابة رضوان الله عليهم منهم ابوه وخالته عائشة أم المؤمنين ، وأخذ الحديث والاخبار عن زيد بن ثابت وأسامه بن زيد وابو هريرة ، وكان يكره بنى اميه ورحل الى مصر وأقام بها سبع سنين وتزوج بها ، وبعد هزيمة اخيه عبد الله ومقتله على يد المروانيين كان عبد الملك بن مروان يعامله [١] بإحترام .

ووصلت الينا كثير من روايات عروة واحاديثة فى كتب ابن اسحق والواقدى والطبرى .

٢ - ابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) :

هو بن الخليفة الثالث عثمان بن عفان بن عبد شمس بن عبد مناف كان مواليا لبنى امية ، وعينه عبد الملك بن مروان واليا على المدينة لمدة سبع سنين وكان على جانب كبير من العلم بالحديث والفقه [٢].

٣ - وهب بن منبه المتوفى (بين ١١٠،١١٤ هـ) :

ولد وهب فى ذمار سنة ٣٤ هـ باليمن على بعد مرحلتين من صنعاء

(١) احمد امين ، ضحى الاسلام ، جـ٢ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

(٢) احمد امين ، ضحى الاسلام ، جـ٢ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

وأبوه منبه من الابناء من هراة بخرسان ارسل الى اليمن زمن كسرى أنو شروان، واسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ونشأ وهب باليمن وعرف بالزهد ، قال عنه الذهبى " لبث وهب اربعين سنة لم يأكل شيئا فيه الروح ، ولبث نحو عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوء[١].

وقد ولد فى خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٤ هـ ويؤكد ابن اخيه عبد الصمد بن معقل انه متوفى ١١٤ هـ [٢]وولى وهب القضاء لعمر بن عبد العزيز.

وكتب وهب فى المبتدأ والسيرة ، ونقل عنه ابن اسحق ، واستعان به الثعلبى في كتابه " قصص الأنبياء " وهو رواية ابن ابنته عبد المنعم بن ادريس بن سنان المتوفى سنة ٢٢٨ هـ وقد اقتبس الطبرى من المبتدأ ، وربما كان اقتباسه عن طريق سيرة بن اسحق [٣].

ومن المعروف أن وهب اطلع على كتب الديانات القديمة قبل الإسلام وفى مقدمتها التوارة والانجيل ، وسجل فى كتبه قطعا من العهد القديم واقتبسها منه الطبرى فى تفسيره وقطعا من المزامير ، وكان على معرفة بالعبرية والسريانية ولذلك يذكر الذهبى عنه أنه كانت له عناية بالإسرائيليات ، وادعى انه قرأ مجموعة من كتب الاديان السابقة على الإسلام تتراوح بين بضعة وسبعين وثلاث وتسعين كتابا[٤]ولذلك يقول ياقوت عنه " ان وهب كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات [٥].

(١) عبد العزيز الدورى ، علم التاريخ عند العرب ، من منشورات دار المشرق بيروت سنة ١٩٨٣ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ ١١ / ص ١٦٨ .

(٣) جواد على ، مرجع سابق ص ١٥٢ .

(٤) الدورى ، ص ١٠٥ .

(٥) معجم الادباء ، جـ ٧ ص ٢٣٢ .

وكتب كتاب " التيجان فى ملوك حمير واليمن " شرح فيه قصة عرب الجنوب وماضيهم وأمجاد ملوكهم وهجرتهم ، وهدف الكتاب اعطاء صورة رائعة لعرب الجنوب لمجابهة تفوق عرب الشمال[1] وهو كتاب ادبى به اساطير يمانية[2] دون سند .

وقد اورد ابو نعيم الاصفهانى (٤٣٠ هـ) لوهب بن منبه ترجمة مطولة فى كتابه "حلية الاولياء وطبقات الاصفياء" اورد فيها عدة نصوص لوهب ابن منبه اقتبست من كتب ضاعت اصولها[3] (منها قطعة من جـ٤ص٧٣ـ٧٩).

ووهب اول من كتب فى تاريخ العالم على اساس سلسلة الانبياء[4] وقد عرف هذا النوع بقصص الانبياء ويدعى احيانا بالاسرائيليات .

ولايدخله القدماء فى نطاق علم التاريخ العربى وان كان بعض المستشرقين يدفعونه الى الصف الأول [5].

ووروى عن كعب الاحبار (المتوفى سنة٣٢هـ) وعبد الله بن سلام (المتوفى سنة ٤٠ / ٤٣هـ)[6].

---

(١) الدورى ، ص ١١٠ ـ ١١١ والحلية ٤ / ٢٤ .

(٢) كتاب التيجان مطبوع فى حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ فى ٣١٠ صفحات .

(٣) ص ٢٣ ـ ٨٢ من حلية الاولياء جـ٤ من طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٨ م / ١٤٠٩ هـ .

(٤) شاكر مصطفى / التاريخ العربى والمؤرخون ، جـ١ ، ص١٣٨ .

(٥) شاكر مصطفى جـ١ ص ١٥٤ .

(٦) السابق جـ١ ص ١٥٤ .

٤ - محمد بن كعب القرظى : (ت١٠٨ / ١١٧هـ) :

مؤرخ كوفى من أصل يهودى من بنى قريظة بالمدينة حلفاء الأوس توفى سنة ١٠٨ هـ وقيل فى سنة ١١٧ هـ كما ذكر ذلك العماد الحنبلى فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، وهو كوفى المولد والمنشأ ثم المدنى ، روى عن كبار الصحابة ، وبعضهم يقول ولد فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان كبير القدر وثقة موصوفا بالعلم والصلاح والورع كما قال الذهبى[١] .

واهتم باخبار اليمن ، وروى الكثير منها وأخبار يهود الحجاز وروى عنه الطبرى ، بعض اخبار اليمن والانبياء ويهود الحجاز[٢] وقد وجدت اقواله سبيلها الى تاريخ الطبرى عن طريق سيرة بن اسحاق .

وكان مثل وهب بن منبه وكعب الأحبار قاصا من القصاص يقص فى المسجد، وكان الغالب على اهل القصص الاغراب فى الحكايات والمبالغة فيها اجتلابا لقلوب الناس كما هو معلوم وقد جر قصصه عليه البلايا ، فانه بينما كان يقص فى المسجد سقط عليه السقف فمات[٣] ، وقد عد من علماء الحديث والقرآن حتى قال بعضهم انه " من اعلم الناس بالتأويل "[٤] .

وكان محمد بن كعب القرظى من المقربين الى الخليفة عمر بن عبد العزيز لانه كانت به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة فلما ولى الخلافة كان

---

(١) العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ١٣٦ .
(٢) شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، جـ١ ، ص ١٣٧ .
(٣) جواد على ، موارد الطبرى ، م١ جـ١ من مجلة المجمع العلمى العراقى ص ١٩٨ .
(٤) تهذيب التهذيب ، ٩ / ٤٢٠ .

يذهب اليه ويتحدث فى الزهد وفى القصص الذى يحمل طابع الاسرائيليات وفى التفسير (انظر الطبرى جـ١ ، ص٢٧٠).

٥ - عبدالله بن سلام (ت٤٣هـ):

مؤرخ من المدينة من اصل يهودى حليف الانصار قال عنه العماد الحنبلى من سبط يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما ، وقصة اسلامه مشهورة فى الصحاح ، وشهد له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وهو المراد عند بعض المفسرين بقوله تعالى :

ومن عنده علم من الكتاب وقوله تعالى :

" وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله " [١]

وله موقف مشهود عندما حاصر الخوارج عثمان بن عفان بالمدينة فجاءه عبد الله بن سلام لينصره ، فقال له اخرج اليهم فانك خارجا خير لى من داخل ، فخرج فقال لهم : ايها الناس ان لله سيفا مغمودا عليكم وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه نبيكم ، فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فتطردوا جيرانكم ويسل سيف الله المغمد فلا يغمد الى يوم القيامة[٢] .

٦ - كعب الاحبار: (ت ٣٥هـ):

اسمه كعب بن مطيع (او ماتع) بن ذى هجين الحميرى أبو اسحق تابعى ، كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، أسلم فى زمن ابى بكر ذكر الطبرى فى جـ٤ ص٥٩ في حوادث سنة ١٧ أن كعب الاحبار اسلم فى هذه السنة وقدم المدينة فى دولة عمر بن الخطاب فأخذ عنه الصحابة

(١) العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، جـ١ ص ٥٣ .
(٢) المصدر السابق ، جـ١ ص ٤١ .

وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج الى الشام فسكن حمص وتوفى فيها عن مائة وأربع سنين[1] توفى سنة ٣٥ هـ[2] .

وقد أورد الطبرى له اقوالا في الأنبياء،والاسرائيليات وكان يسمى "كعب الاحبار" بمعنى كعب العلماء" و"كعب الحبر" وحبر بمعنى عالم عند يهود بابل وهى درجة تلى درجة ربانى وما ورد فى الطبرى منسوبا اليه يظهر ان هذه الاخبار أخذها من مصادر قديمة،وهى لم تدرس حتى الآن دراسة دقيقة ولم تقابل بالمصادر اليهودية أو أحاديث الكنائس لبيان مقدار قربها وبعدها منها، وهو أهم مرجع بعد وهب بن منبه أعتمد عليه فى كتب قصص الأنبياء[3] .

وفى الطبرى (جـ١ص٦٥) ابن عباس يسخر من معلومات لكعب الاحبار ويقول عنها يهودية[4] وكذلك عائشة رضى الله عنها جـ٢ ص ٢٣٦ .

وكعب الاحبار ادعى ان عمر يقتل بعد ثلاثة أيام قبل حادث قتله وطلب منه ان يعهد فقال له عمر ومايدريك ؟ فقال كعب : أجده فى كتاب الله عز وجل التوارة ، فأجابه عمر :

" آلله انك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ فأجاب : اللهم لا . ولكنى أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك ، فقال عمر :

" وعمر لا يحس وجعا ولا ألما[5] وهذا يدل على علم كعب الاحبار بالمؤامرة التى قتل فيها عمر وعلى مشاركته فيها .

(١) الزركلى ، الاعلام جـ٥ ، ص٢٢٨ .   (٢) العماد الحنبلى ، ص٤٠ جـ١ .
(٣) جواد على ، موارد الطبرى ، م١ جـ١ من مجلة المجمع العراقى ص ١٩٤ .
(٤) ص ٦٥ .
(٥) الطبرى ، جـ٤ ص١٩١ .

٧ - موسى بن عقبة المتوفى سنة (١٤١هـ) :

له قطعة مخطوطة فى السيرة محفوظة فى مكتبة برلين[١] قال فيه الامام مالك بن انس : " عليكم بمغازى ابن عقبة وهى أصلح المغازى "[٢] وينقل عنه ابن سعد بعض الاخبار والطبرى .

٨ - محمد بن السائب الكلبى : (ت١٤٦هـ) :

نسابه كوفى اعتمد عليه اكثر من جاء بعده من علماء الانساب بالرواية والنقل من كتبه التى ضاعت بعد ذلك ، وهو من الضعفاء عند المحدثين[٣] ونظرا الى تجدد ظهور العصبيات فى العصر الاموى لقي علم الانساب عناية خاصة ادى الى ازدهاره فى القرن الثانى على الاخص ، فقد تمكن المتخصصون فيه من تدوين معلوماته فى كتب ومن تنسيق علمهم وتبويبه فى فصول وأبواب تحمل طابع العلم ، وعلى رأس هؤلاء النسابه الكوفى محمد بن السائب الكلبى .

٩ - عوانه بن الحكم الكلبى (ت ١٤٧ / ١٥٨ هـ) :

كوفى من علماء الكوفة البارزين ، وكان بحكم اتصاله بأقربائه من كلب النازلين فى الشام المقربين من الامويين على علم بأخبار الامويين وصاحب رأى ان لم يكن مع الامويين فانه لم يكن عليهم وهو من الثقات فى سيرة معاوية ، وبنى أمية[٤] له كتاب فى سيرة معاوية وبنى امية ، وهو معاصر لابى مخنف (ت١٥٧هـ) وتساوى معه فى اخبار الفتوح وتقدم عوانة فى الشعر

(١) جواد على ، موارد الطبرى ، ص١٥٣ .

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام جـ٢ ص٣٢٧ .

(٣) جواد على ، م١جـ١ ص١٧٩ من مجلة المجمع العراقى وكالة : موارد الطبرى .

(٤) جواد على ، موارد الطبرى ص١٤٨ من مجلة المجمع العراقى الجزء الأول من السنة ١٩٥٠ / ٢٣٦٩ هـ .

والانساب(١) اتهم بوضع الاخبار لبنى امية[٢] حيث يقول ياقوت : " عثمانى الهوى يضع الاخبار لبنى امية " .

ومع انه عاش حوالى ١٥ سنة أو أكثر تحت الحكم العباسى الا انه كان فيما يقولون عنه ـ كما سبق : هواه ضد العباسيين . لان ثمة اخبارا اخرى تذكر أسفه لفشل ثورة محمد النفس الزكية ضد المنصور ، ومعظم أخبار المدائنى انما نقلت عن عوانة ، وبالرغم من أصله الوضيع (أبوه عبد خياط وأمه أمة سوداء) الا انه كان ينسب نفسه بالولاء الى قبيلة كلب التى توطنت فى جنوب الشام ويقول " انه من قوم اذا نسى الناس علمهم حفظوه عليهم "[٣] .

وعوانة صاحب اول كتاب اطلق عليه اسم " كتاب التاريخ " وهو مفقود وكذلك كتابه عن بنى أمية مفقود اتت منهما قطع فى الطبرى والمدائنى[٤] .

١٠- محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١ هـ) :

ولد بن اسحق سنة ٨٥ هـ بالمدينة المنورة ، ثم رحل الى الاسكندرية سنة ١١٥ هـ حيث حضر دروس يزيد بن حبيب المتوفى ١٢٨ هـ) فى علم الحديث وعاد بعد سنوات الى مسقط رأسه حيث إلتقى سنة ١٣٢ هـ بالمحدث سفيان ابن عيينه واضطر بعد ذلك للهجرة الى العراق ، واقام فترات قصيرة فى الجزيرة والكوفة والرى ودخل سنة ١٤٦ هـ الى بغداد ، ويبدوا انه لم يكن على صلة بالامويين فى حين كان استاذه الزهرى يطمئن اليهم "[٥] .

---

(١) شاكر مصطفى جـ١ ص١٧٩ .

(٢) شاكر مصطفى جـ١ ص١٢٨ .

(٣) شاكر مصطفى ، جـ١ ص١٢٨ من الجزء الأول .

(٤) السابق ص١٢٨ .

(٥) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربى ، المجلد الاول ، الجزء الثانى ص٨٧-٩١ .

كتب فى المبتدأ والمبعث والمغازى ونقل عن وهب بن منبه اليمنى الذى كتب قبله المبتدأ والسيرة وقصص الانبياء .

وهو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار مولى قيس بن مخرمه بن المطلب ابن عبد مناف عاصر (رأى) انس بن مالك وسعيد بن المسيب وسمع القاسم بن محمد ابن ابى بكر الصديق وابان بن عثمان بن عفان ومحمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب وابا سلمه بن عبد الرحمن بن عوف ونافعا مولى عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وغيرهم ، وقدم بغداد والتقى بالخليفة ابى جعفر المنصور كما يقول الخطيب البغدادى ، ويروى عنه أنه أنما الف السيرة اجابة لطلب الخليفة ابى جعفر المنصور وذلك على أثر زيارته له بالحيرة ، فهو يقول ان الخليفة كان بين يديه ابنه المهدى حين دخل عليه ابن اسحاق ، فلما بصر به قال له : أتعرف هذا يابن اسحق ؟ قال نعم ، هذا ابن امير المؤمنين ، فقال الخليفة اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم الى يومك هذا . فذهب فصنف بعدها كتابا ، فقال له : لقد طولته يا ابن اسحق اذهب فاختصره ، قال فذهب فاختصره والقى الكتاب الكبير فى خزانة امير المؤمنين[1] وفى رواية اخرى وصنف ابن اسحق هذا الكتاب فى القراطيس المصرية وكان مالك بن انس سيىء الرأى فى ابن إسحق ويقول انه كذاب ، ويقول عنه نحن نفيناه من المدينة[2] ولكن احمد بن حنبل أثنى عليه وقال: حسن الحديث .

وقال الخطيب عن ابن اسحق انه اتهم بالتشيع وينسب إلى القدر[3] اى انه كان قدريا .

(١) تاريخ بغداد جـ١ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .
(٢) تاريخ بغداد جـ١ ص ٢٢٣ .
(٣) نفسه .

ويرجح جواد على ان ابن اسحق الف السيرة وهو بالمدينة على طريقة أهل المدينة فى رواية السيرة وأخذها من رواة اهل المدينة وذلك قبل اضطراره الى الهجرة منها سنة ١٣٢ هـ وحملها معه الى العراق وأهدى نسخة منها الى الخليفة المنصور(١) .

وتتألف سيرته من قسمين :

الأول : تاريخ العالم منذ الخليفة الى مولد الرسول .

الثانى : السيرة والمغازى ، وابن هشام حين اختصرها اقتصد فى القسم الأول وتوسع فى الثانى ، وأما الطبرى فلم يقتصر فى النقل من الأول .

وحسين مؤنس(٢) يتهم العباسين باخفاء النسخة الاصلية من سيرة ابن اسحق واخراج كتاب سيرة ابن هشام منها على هواهم فيما بعد بحيث أصبحت صورة جدهم العباس بن عبد المطلب اكثر تقبلا من غيره من كفار مكة الذين أسلموا بعد فتح مكة وكان يطلق عليهم الطلقاء أى الذين عفى عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال لهم : اذهبوا فانتم الطلقاء .

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى (١٥٧هـ) :

كوفى اخبارى اهتم بالانساب ، برز فى تسجيل فتوح العراق واخبارها ، وكتب فى الردة والفتوح والشورى وصفين والخوارج واعتمد عليه الطبرى كثيرا، واعتبره المحدثون ضعيف الاسناد بسبب تسامحه فيه ، وأكثر روايات الطبرى له عن طريق هشام الكلبى (سزكين م١ جـ٢ ص١٢٨) .

(١) موارد الطبرى ، م١ جـ١ ، مجلة المجمع العلمى العراقى ص ٢٠٥ .

(٢) جريد ة الاهرام . والذى يطالع سيرة ابن هشام لا يجد العباس من أسرى بدر أما فى الطبرى فقد ذكرة الطبرى من أسرى بدر (جـ٢ ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ من طبعة دار المعارف) .

ويورد روايات قبيلته من الأزد والروايات الكوفية وروايات قبائل اخرى كهمذان وطيء وكنده وتميم وروايات المدينة[1] .

وكان اماميا يميل الى راى اهل العراق لا الى راى اهل الشام وكتبه كثر قراؤها ولاسيما الشيعة[2] .

وهو من الاخباريين المعروفين ، وقد ذكر ابن النديم اسماء مؤلفات له تربو على العشرين اولها "كتاب الردة "[3] وهو الكتاب الذى وصلت معلوماته الى الطبرى عن طريق هشام بن محمد الكلبى (٢٠٦هـ) حيث يقول الطبرى فى اسناده : "قال هشام قال ابو مخنف" و"قال هشام عن ابى مخنف"[4].

وقد استعمل الطبرى العبارة السالفة الذكر فى أثناء كلامه على ماجرى بين المهاجرين والانصار فى امر الأمارة فى سقيفه بنى ساعدة ، وقصد بهشام ابن محمد هشام المعروف بابن الكلبى الاخبارى المعروف ، ولما كان الطبرى قد ولد (٢٢٤هـ) بعد وفاة ابن الكلبى (٢٠٤هـ) فان عبارته المذكورة تشير الى انه قد نقل عن مؤلف لابن الكلبى كان عنده نقل منه من غير واسطة وهى عادته عند نقله خبرا من مؤلف يكون بين يديه .

سيف بن عمر التميمى (ت١٨٠هـ) :

كوفى الاصل وهو أحد مؤلفى الكتب الاوائل عن العصر العباسى ، والفتوح الاولى والردة ، ولا يعلم احد عن حياته شيئا وكانت كتبه عن الفتوح

---

(١) شاكر مصطفى ، جـ١ ، ص١٧٧ ـ ١٧٩ .

(٢) سزكين ، تاريخ التراث العربى ، م١ جـ١ ص١٢٧ ـ ١٣٠ .

(٣) الفهرست ، ص١٣٦ .

(٤) الطبرى جـ٣ حوادث السنة الحادية عشرة ص٢٥٥ .

والردة مصدراً مهـما للمؤرخين الذين اتوا بعده ، لانهـا تناولت الفتوح تناولا شاملا ، وكانت على طريقة المـحدثين كاملة الاسانيد[1] ومع ذلك فقد أساء المحـدثون الحكم عليـه ورموه بالضعف ووضـع الحديث وبالزندقـة ، وقال ابوحاتم عنه متروك الحديث ، يشبه حديثه حديث الواقدى[2] .

وقد اعتمـد عليه الطبرى فى الفصول التى دونهـا عن فتح العراق وايران اى عن نهاية الساسانيين ، على روايات سيف الذى عرف باطلاعه الواسع على تاريخ الاسلام ولاسيمـا الردة والفتوح وأخذ من مشاهير الاخـباريين والنسابين مثل هشام بن عروة ومـحمد بن اسحق صاحب السيرة ، ومـحمد بن السائب الكلبى وطلحـة بن الأعلم وأمـثالهم ، وروى له بن الـنديم من الكتب كتـاب الفتوح الكبيرة والردة وكتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلى[3] .

وقد ذكر اسم سيف فى اكـثر من ٣٠٠ موضع من تاريخ الطبرى ، ورد لاول مرة فى حوادث سنة ١٠ لـلهجرة ، وهى السنة التى ادعى مُسَيّلمة فـيها النبوة فى حيـاة الرسول ، وورد اسمه لاخر مرة فى حـوادث سنة ٣٦ للهجرة وفى إبتداء خروج على بن أبى طالب لصفين ، ولم يذكر الطبرى رواية له بعد ذلك .

وقد اخذ سـيفا ايضا عن هشـام بن عروة (ت ١٤٦ـ ١٤٧ هـ) وهو من محدثى المـدينة ومن النسابين والاخباريين وقد حدث عن ابيـه عروة بن الزبير وعـمـه عبـد الله بن الزبيـر ورحل الى الـعراق وزار الكوفـة ورأى الخليـفـة

---

(١) سزكين ، تاريخ٩ التراث العربى ، م١ جـ١ ص١٣٤ .

(٢) تهـذيب التهـذيب ٤ / ٢٩٥ وجـواد على ، موارد الطبـرى ٢ / ١٩٥١ ، ص ٦٣ . مجلة المجمع العلمى العراقي .

(٣) جواد على ، المرجع الـسابق ، نفس المكان .

المنصور، ومنه أخذ أهل الكوفة حديث عروة ولا سيما حديث عروة عن عائشة ، وقد أخذ عليه أهل بلدة تبسطه فى الحديث لاهل العراق ، وكان بحديث أهل المدينة حنين ، والظاهر ان عروة تحدث الى أهل الكوفة والعراق بحديث أهل العراق ، ولم يكن اهل المدينة يفضلون حديثا على حديثهم وهم ادرى بالحديث وبخبر الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم أهل الدار[1] .

هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت٢٠٤هـ) :

عنى عناية خاصة بتنظيم بحوث والده وتنسيقها وتوسيع نطاقها واخراجها للناس ، كما عنى بتنظيم روايات من تقدمه ومن عاصره من العلماء مثل ابى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الذى تخصص فى الانساب والاحداث وخاصة احداث العراق ، والفتوح[2] واتهم بأنه رافضى[3] وهو من الضعفاء عند المحدثين (م١ جـ١ من مجلة المجمع العلمى العراقى ـ موارد الطبرى ، جواد على) .

وقد فاق هشام والده فى ميله الى الرجوع الى المصادر ـ الاصلية والاخذ من الوثائق المكتوبة ولاسيما تاريخ الحيرة واسرتها المالكة وتاريخ الفرس ، وربما كان يحسن الفارسية ايضا ، ولم يسلم من مطاعن المحدثين فاتهموه بالتزوير والكذب فى الرواية ، ولكن البحوث الحديثة تدل على ان خصومه لم يكونوا على حق بصورة عامه فيما ذهبوا اليه ، وإنه كان موفقا فى تحرياته وإنه خطا خطوات واسعة نحو التأليف التاريخى القائم على أساس العلم[4] .

---

(١) جواد على ، المصدر السابق ، جـ٢ ص١٦٣ ـ١٦٤ .

(٢) جواد على ، موارد الطبرى ، ص١٤٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٤٣ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ، ص٤٨٥ ، وجواد على ، ص١٤٨ـ١٤٩ .

وكان هشام بن محمد الكلبى يرجع الى الوثائق الاصلية كما ذكرنا وكان عمله في هذه الناحية عملا متميزا جدا بالنسبة الى عمل الطبرى قلما سلكه المؤرخون فانه كان يذهب بنفسه الى الكنائس والديارات فيسأل عن المدونات وهذا ما ذكره عنه الطبرى فى رواية يقول فيها :

" وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبى أنه قال : " انى كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمارهم ومن عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها[1].

وعلى الرغم من أن المحدثين تحرجوا من الرواية عنه فى الحديث والتفسير الا انهم رووا عنه فيها الاخبار والانساب ، فانهم يعترفون بعلمه فيها وبباعه الطويل في هذين الموضوعين[2] .

وجواد على يقول فيه : " وانا مع تقديرى لجهود ابن الكلبى وسعة حفظه وعنايته بأخبار العرب قبل الاسلام ارى فيه ضعفا من حيث ميله الى التظاهر بالعلم والدراية بكل خبر قديم ، ففى تاريخ الطبري وفى مؤلفات اخرى روايات نسبت اليه ان صح انها صدرت منه وانه هو قائلها حقا ، فانها تدل على ضعف ملكة النقد لديه وعدم تمييزه بين المعقول والمنقول بين الصحيح والفاسد ولا سيما فى أخبار الاوائل والاسرائيليات ، وقد كان من المغالين فى الاخذ بأقوال اهل الكتاب الذين لم يكونوا في الواقع من أصحاب العلم والفهم ، فنرى أن شيئا كثيرا مما رواه على أنه من التوراة ، لا يمت اليها بصلة ، بل لا يمت بصلة ما حتى الي التلمود و"المدراش" وقد نرى خلطا يصعب وقوعه من رجل من أهل الكتاب ، وهذا مما يحملنا على اطراح

(١) الطبرى : جـ٢ ص٣٧ .

(٢) جواد على ، موارد الطبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٣٧ .

الثقة فى بعض الامور ، والشك فى صحـة ما يرويه ، بل يحملنا على التفكير في انه كان يفـعل الاخبار واحـيانا للظهـور بمظهر العالـم المحيط بكل خـبر قديم "[1].

قال عنه الذهبى كلاما خطيرا يفيـد من ناحية بأنه كان أحد الحفاظ ومن ناحية اخرى انه ليس بثقة فى الحديث لانه ليس من حفاظ الحديث وهذا نص ما جاء فى تذكرة الحفاظ للذهبى عن هشام الكلبى .

" أحد المتروكين ليس بثقة فلهذا لم أدخله بين حفاظ الحديث وهو أبو المنذر هشام بن مـحمد بن السائب الكوفى الرافضى النـسابه ، حدث عنه أبو الاشعث وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد يروى عنه انه حفظ القرآن فى ثلاثة ايام وقلمـا يروى مـن المـسند ، كـان اخـباريا عـلامـة ، تـوفى سنة ست ومائتين[2].

على بن محمد بن عبد الله المدائنى : (ت ٢٢٥هـ) :

بصرى صـار الى المدائن ثم الى بغـداد وتوفى بها هو مـؤرخ مكثر فى التأليف له ٢٤٠ كتـابا معظمها رسائل مـحدودة الصفحات قـال مرغليوت عن مؤلفاته " انها تشبه مجـموعة من الفصول فى كتاب[3] ومصادر معلوماته من ابى مخنف وابن اسحق والواقدين .

واتبع طريقة المـحدثين فى نقد الروايات واثبات الاسناد مـما اعطاه لونا من الثقة بيـن الناس ، ونظم معلوماته تنظيمـا طيبا وبذلك تعد كتـاباته مرحلة إنتقال من الرواية المفردة الى الكتاب المطرد[4] .

(١) جواد على ، المقالة الثانية من موارد الطبرى ص١٣٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ، جـ١ ص٣٤٣ .   (٣) شاكر مصطفى ، جـ١ ص١٨٦ .

(٤) السابق ، جـ١ ص١٨٨ .

وقد سلك طريقا وسطا بين ابى مخنف وجماعته من رواة الكوفة ورواة المدينة الذين عرفوا بتشددهم وصلابتهم فى الحديث واستمرارهم ، على الجادة ، فأخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب النقد الذى يتمشى مع مذاهب اهل المدينة[1] .

وكان له ولع خاص بتاريخ البصرة وخراسان ، ولذلك اعتمد عليه الطبرى فى كل ماارواه عن هذين المكانين ، وكان متأثرا بوجهة نظر العباسيين، وتحت هذا المؤثر كتب فى سقوط الامويين وقيام العباسيين وتأثرت البصرة بمذهب المدائنى واهل المدينة وعلى الجملة فهى أخف حدة من الكوفة وأقرب من الكوفيين الى مذاهب المحدثين واقل تعصباً على الامويين[2] .

ولما كان التاريخ فى نشأته فرعاً من فروع الحديث ، وهذا الإرتباط بالأحاديث ترك أثراً فى منهج التأليف التاريخى تمثل فى طريقة الاسناد أى أن مؤرخى صدر الاسلام الذين سبق أن أشرنا اليهم ساروا على طريقة المحدثين فى تأييد رواياتهم بالاسناد ، لذا الزم معرفة المؤرخ بعلم مصطلح الحديث ، ومعرفة أقسام الحديث من حيث اسناده ، لمعرفة الأخبار الصحيحة من غير الصحيحة ، وفيما يلى نورد ملخصاً للحديث من حيث الأسناد .

اقسام الحديث من حيث اسناده :

ينقسم الحديث من حيث إسناده والاحتجاج به قسمين رئيسين : **حديث موضوع** وهو ماثبت كذبه وإفتراؤه على رسول الله ، **وحديث غير موضوع** : وهو ماعدا ذلك . وينقسم غير الموضوع قسمين رئيسين : مقبول وهو ما

(١) جواد على ، م١ جـ١ من مجلة المجمع العلمى العراقى سبق ذكره ، ص١٥٧ .
(٢) السابق نفس المكان .

يحتج به ، ومردود أو ضعيف وهو ما لا يصح الاحتجاج به . وقد ذكر ابن خلدون من أنواع المقبول : الصحيح والحسن . وذكر من أنواع الضعيف : المرسل والمنقطع والمعضل والمعلق والشاذ والمنكر وغريب الإسناد والمعلول فى الإسناد .

(١) **فالحديث الصحيح :** هو أرقى درجات الحديث المقبول وهو ما اتصل سنده برواية عدل تام الضبط عن مثله من غير شذوذ ولا عله قادحة . واتصال السند هو سلامته من سقوط راو فى أثنائه . والشذوذ هو مخالفة الثقة لمن هو أرجح منه حفظا أو عدداً . والعلة القادحة أمر يؤثر فى رد الحديث - وأرقى درجات الحديث الصحيح هو ما رواه البخارى ومسلم ، ثم ما انفرد به البخارى ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما جاء على شرطهما أى رواتهما ، ثم ما جاء على شرط البخارى ، ثم ما جاء على شرط مسلم ، ثم ما صححه غيرهما من أصحاب السنن وأعلاها سندا ما قال عنه بعض الأئمة إنه أصح الأسانيد ، كقول البخارى : " أصح الأسانيد ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر " وهو المعروف بسلسة الذهب .

(٢) **والحديث الحسن :** هو ما أتصل سنده برواية عدل قل ضبطه من غير شذوذ ولاعلة . مشارك للصحيح فى الاحتجاج به وإن كان دونه .

ويطلق كذلك على كل حديث صحيح أو حسن أنه مسند ، لأن المسند فى اصطلاحهم ما اتصل سنده من مبدئه إلى منتهاه .

(٣) **والمرسل :** هو ما سقط منه الصحابى ، كأن يقول التابعى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) **والمنقطع :** ما سقط منه واحد قبل الصحابى .

(٥) والمعضل : ما سقط منه اثنانَ فأكثر على التوالى قبل الصحابى .

(٦) والمعلق : ما سقط منه راو أو أكثر على التوالى من أول السند .

(٧) والشاذ : ما رواه الثقة مخالفاً لمن هو أرجح منه .

(٨) والمنكر : ماروَاه الضعـيف مخالفاً الثقـة ، وقد يطلق المنكر على الحديث الذى أنفرد به راو مجـمع على ضعفه بظهور فقه ، واخـتار السيوطى تسميـته بالمتروك أى بنفس الاسم الذى يسمى به الحـديث الذى انفرد بروايته راو مجمع على ضعفه لتهمته بالكذب .

(٩) وغريب الإسناد : ما أنفرد به راو واحد (ويمـكن أن يكون مقبولا إن وجد فـيه أصل صـفة القـبول وهو ثبـوت صدق الراوى ، وأن يكـون مردودا ضعيفاً إن وجد فيه أصل صفة الرد وهو ثبوت كذب الراوى) .

(١٠) والمـعلول فى الإسناد : هو مـا انطوى على أمر قـادح يؤثر فى رد الحديث من جهة إسناده ، كأن يكون منقطعاً فيروى متصلا .

(ب) وينقسم الحديث باعتبار نهاية الإسناد أقساما ثلاثة أشار اليها جميعاً ابن خلدون[١] ، وهى المرفوع والموقوف والمقطوع :

(١) فالمرفوع : هو ما أضيف إلى النبى ﷺ .

(٢) والمـوقـوف : هو مـاضيف الى الصـحابى وخـلا عن قرينة تجـعله مرفوعاً.

(٣) والمـقطوع : هو مـا أضيف الى التـابعى وخـلا عن قرينة تجـعله مرفوعاً.

---

(١) المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد ، ص١٠٣٣ ، ١٠٣٤ .

(جـ) وينقسم الحديث من ناحية لفظة وأسماء رواته أقساماً كثيرة من أهمها المعلول من جهة اللفظ والمصحف والمختلف والمؤتلف والمفترق والمتفق والمهمل والمتشابه وغريب اللفظ.

(١) **فالمعلول:** من جهـة اللفظ هو ما انطوى على أمـر فادح من جـهة صيغته يؤثر فى رده ، كتناقض فقـراته بعضها مع بعض وإدخـال الحديث فى حديث.

(٢) **والمصحف:** هو ما غيرت فيـه حروف الكلمة مع بقاء صورة الخط، كحـديث " من صام رمـضان وأتبـعه سـتا من شـوال .... إلخ " ، صحـفه الصولى فقال : " من صام رمضان وأتبعه شيئا من شوال ".

(٣) **والمؤتلف والمختلف:** هو ما اتـفقت فيـه الأسمـاء خطاً لا لفظاً ، كسـلام بتـشديد اللام وسـلام بتخـفيـفهـا. وضبط هذا النوع ضـرورى لدفع التصحيف والتحريف.

(٤) **والمتفق والمفترق:** هو ما رواه قوم اتفقت أسـماؤهم وأسماء آبائهم وافترقـت مسمياتـهم ، كالخليل ابن أحمد ، فـقد جاء بهذا العنوان لسـته من الرواة. وضبط هذا النوع ضرورى لئلا يُظَن المتعدد واحدا.

(٥) **والمهمل:** هو رواية الشخص عن شيخين متفقين فى الاسم أو غيره ولم يتميزا.

(٦) **والمتشابه:** ما اتفقت فيه أسمـاء الأبناء واختلف فيه أسماء الآباء أو بالعكس ، كمحمد بن عُقيل بضم العين ومحمد بن عَقيل بفتحها.

(٧) **وغريب اللفظ :** ما وقع فيه لفظ غامض بعيد عن الفهم لقلة استعماله.

(د) وينقسم الحديث من ناحية طرق التحمل أقساماً كثيرة ذكر منها ابن خلدون السماع والقراءة والإجازة والمناولة والكتابة . فالسماع أن يسمع الراوى لفظ الشيخ . والقراءة أن يقرأ التلميذ على الشيخ والإجازة أن يقول الشيخ مثلا أجزتك مسموعاتى . والمناولة أن يدفع الشيخ الى الطالب أصل سماعه أو فرعا مقابلا عليه ويقول له هذا سماعى فاروه عنى . والكتابة أن يكتب مسموعه لغائب أو حاضر[1].

أنفصال التاريخ عن الحديث:

وفى بداية العصر العباسى بدأ التاريخ ينفصل عن علم الحديث ، وظهر التخصص فى الكتابة التاريخية وكتابة التاريخ العام وظهرت حركة الترجمة من اللغات الفارسية والسريانية واليونانية واللاتينية ، واستقرت الدواوين وازدهرت فانتفع بها المؤرخون فى كتبهم ، وسهل الاتصال بين اجزاء الدولة الإسلامية مما دفع المؤرخين الى الرحلة طلبا للرواية ومشاهدة الآثار ، وهذا بالطبع صبغ الكتب التاريخية بصبغة جغرافية ، واختلطت الجغرافيا بالتاريخ فى كتابات المؤرخين فى ذلك العصر وذلك مثلما نجده فى كتاب :

" مروج الذهب ومعادن الجوهر " للمسعودى (٣٤٦هـ) وكتاب " البلدان" لاحمد بن واضح اليعقوبى (٢٨٤هـ) وكتاب فتوح البلدان " لياقوت الحموى (٦٢٦هـ) وغيرها من الكتب .

بالإضافة الى ذلك : ظلت هناك آثار من طريقة الاسناد فى الكتب

(١) عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، ص١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٨-١٠٤٥ طبعة دار نهضة مصر ، القاهرة ، لم تذكر سنة الطبع .

التـاريخيـة ونجـدها واضـحة فى كـتـاب الطبـرى " تاريخ الامم والملوك " والازرقى فى كتابه " أخبار مكة" ..

وأدت كثرة المادة التـاريخية وتحرر مصادرها في هذا العـصر بالكثير من أفاضل العلماء والفقهاء الى التوفـر على دراسة التاريخ والتأليف فيه ، ومن ثم أخذ التاريخ مظهره الرائع كعلم من أجل العلوم الإسلامية وأعظمها قدرا .

وتنوعت الكتـابة التاريخـيـة فى العـصر العـباسى ، فكان هناك التـاريخ بالعهود كالمـسعودى والتاريخ بالسنين كالطبرى وبالموضـوعات كابن الاثير ، وهناك تواريخ العـالم وتـاريخ الاقـاليم والمـدن وتاريخ الرجـال فى التـراجم والطبقات .

تنوع الكتابة التاريخية

تنوعت الكتـابة التاريخيـة فى العصـر العبـاسى ، فهناك كتـب اهتمت بالحديث عن تاريخ العالم ، وأخرى تواريـخ الاقاليم والمدن وثالثة عن تراجم الرجال وطبقاتهم .

أما عن كتب تاريخ العالم فيأتى فى مقـدمتها كتاب : " الاخبار الطوال " لابى حنيفـة الدينورى ، فى هذا الكتاب يستعـرض الدينورى خليط التاريخ أهل الكتاب والفرس وعرب الجاهلية وتاريخ صدر الاسلام ثم تاريخ الخلفاء . والكتاب شديد الاهتمام بالامور الفارسية .

ثم كتاب (أحمد بن واضح اليعـقوبي) (توفى ٢٩٢ هـ) ، المشهور بـ (تاريخ اليعقـوبى) بدأه من بدء الخليقة وخصص القـسم الاول منه لتاريخ ما قبل الاسلام مـبتدأ بقصة التـوراة ، ويقوم تنظيمه على أسـاس التعاقب الزمنى للانبياء والملوك وغيرهم .

وتحدث بعد ذلك عن الاناجيل الاربعة ، ويقوم منهج اليعقوبى على إحلال التاريخ الثقافى محل التاريخ السياسى ، وذلك عندما افتقد الاخبار عن النواحى السياسة ، وذلك كما فعل عند بحثه عن الأغريق والهنود وعرب الجاهلية ، ويرجع فى ذلك الى المصادر الاصلية كلما توفرت له .

أما عن تاريخ التوراة والانجيل فاننا نجده لا يكتفى بما هو موجود فى الكتب التاريخية الاسلامية عنهما ، وانما يرجع الى الكتابات الأصلية مستعينا ببعض الرواة ، وبذلك وصل الى مستوى عال من الدقة .

واستمر اهتمامه بالامور الثقافية فى الجزء الخاص بالتاريخ الاسلامى ، فيتحدث عن أهمية المعرفة ، وينقل فى ذلك عن على بن ابى طالب ، وتبدو ميول المؤلف الشيعية واضحة في تفضيله الروايات الشيعية عن أحداث القرن الاول الهجرى ، وفيما يذكره عن الأئمة الاثنى عشر من معلومات تؤكد فضلهم على العلوم والثقافة الإسلامية .

وتحدث فى كتابه عن سيرة الرسول والخلفاء الراشدين مرتبا ذلك زمنيا، ويشير الى الشهور السريانية التى تقابل الشهور القمرية(١) .

ومن الكتب التي اهتمت بتاريخ البشرية بصفة عامة كتاب :

" تاريخ الامم والملوك " لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) وهو اعظم اهمية من كتاب اليعقوبى الذي نسيه الناس تقريبا ، ولقد اسبغ الطبرى على كتابه تدقيق المتكلمين وطول نفسهم ، وما للفقيه العالم من دقة وحب للنظام ، وما للسياسى القانونى العملى من بصيرة فى الامور السياسية ، كل

---

(١) فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ص١٥٨ .

(١) المرجع السابق ص١٨٦ .

هذه الخصائص أدت الى احلاله مكانة مرموقة دائمة ومتزايدة فى الأوساط الفكرية السنية فى الاسلام[٢] .

وكان لهذا الكتاب تأثير على المؤرخين الذين أتوا بعد الطبرى ، فقد اعتبروه مثالا يحتذى به ، بحث فيه من بداية بدء الخليقة وتاريخ الانبياء والعرب قبل الاسلام وتاريخ الفرس ، ولم يهتم بالافق التاريخى الثقافى الواسع من عمره ، وكتب فى السيرة واتبع التاريخ بالسنين فيذكر احداث كل سنة على حدة ، وفيه اثر طريقة المحدثين واضحة ، حيث نراه يذكر الحوادث بسندها وأحيانا يذكر الحدث الواحد بعدة اسانيد ، للدلالة على صحته او لاختلاف الآراء في حادثة واحدة ، وعندما يبرز وجهة نظره فى موضوع معاصر له فانها تعكس آراء الحكومة المركزية في بغداد ولم يتحدث فى كتابه عن تراجم وسير الاعلام الا ما رآه مهما فى دراسته التاريخية .

ومن جملة من أهتم بالتاريخ العالمى أى تاريخ البشرية بصفة عامه (المسعودى ٣٤٥ هـ) فى كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وله كتاب آخر بعنوان (التنبيه والاشراف) ويهتم ببحث الظواهر الطبيعية والبشرية بصفة عامه، ويخلط التاريخ بالجغرافيا فى كتاباته وعلى الأخص في كتابه "مروج الذهب"..

وعلى الرغم من ذلك نراه لم يكن على علم بالقوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية كظواهر الفلك والكيمياء والاحياء وليس له عذر فى ذلك ، فقد كانت هذه العلوم قد قطعت شوطا لا بأس به فى عصره وسوف نشير الى كثير من رواياته عندما نتعرض لمنهج ابن خلدون في نقد الروايات التاريخية التى سبقته ، غير أن المسعودى الذى نظم تاريخه بالعهود يمكن اعتباره أدق

(١) المرجع السابق ص١٨٧ .

من اليعقوبي في فهمه للتفسير العالمي الحضاري للتأريخ[1] .

ففى كتاب "مروج الذهب" يذكر قصة خلق العالم ثم يعقبها بوصف طبيعة الارض ويهتم بذكر العناصر الحضارية فى تاريخه ، ولما كان المسعودى شيعيا فقد اهتم بالاخبار المتعلقة بعلى بن ابى طالب اهتماما اكثر مما أعارة لحياة الرسول التى خصص لها صفحات مقتضبة .

ومن كتب التاريخ العالمية في هذه الفترة كتاب : " الفيلسوف الفارسى (ابن مسكوية المعنون (تجارب الامم) " ، وقد كانت ظاهرة التحرى للاخبار الواقعية ظاهرة وواضحة تماما فى عرضه في كتابه الذي يقع فى مجلدين فى طبعة دار الكتب المصرية فيقول في مطلع كتابه : " أنه وجد المصادر التاريخية مغموزة بالاخبار التى تجرى مجرى الاسحار والخرافات التى لافائدة منها غير استجلا به الناس ، ولا فائدة منها الا انها تجعل الانسان يأخذه النعاس[1] . وكان مسكوبةيريد للمؤرخ ان يترك هذه الروايات التى تلفها الخرافات لكى يتعرف بحق على تجارب الامم وخبراتها ويستفيد منها العبرة .

ويعتقد مسكويه بأن أقدم تاريخ مسجل هو تاريخ ملوك الفرس ، وهو فى ذلك أهم ، لان تاريخ المصريين أقدم تسجيلا منه ، ومن ثم نراه يتوسع فى تاريخ الفرس ، ويصل به الى نهاية امبراطوريتهم ، وطرح من كتابه الحديث عن معجزات الانبياء صلوات الله عليهم لانه كان يعتقد أن أهل زمانه لا يستفيدون من ذلك ، واهتم بسياسات الامم ذات الصفة البشرية المقترنة في نظره بالخبرة التى يستفيد منها أهل زمانه .

ونراه يستفيد من كتاب الطبرى ايما افادة لدرجة انه قصر نفسه عليه ، واتبع طريقة حذف السند واختصار الرواية ، وهو كالطبرى في تنظيم اخباره

(١) مسكوية ، تجارب الامم جـ١ ص٤ .

على طريقة الحوليات .

ولعل من خير ما ألف فى التاريخ العالمى في الاسلام كتاب :

(الكامل فى التاريخ) لعز الدين بن الاثير (٦٣٠هـ) ، حيث يبدأ فى سرد بداية الخلق وتاريخ الانبياء وبنى اسرائيل وتاريخ النصارى والعرب قبل الاسلام ، ثم تاريخ صدر الاسلام فيتناول سيرة الرسول بالتفصيل ، وهو صريح فى اعترافه بأنه لا يستطيع أن يتحدث في كتابه بتفصيل عن كل الحوادث وخاصة البعيدة عن موطنه ، فيقول فى هذا الصدد : "من كان في الموصل فلابد أن يغفل عن حوادث المناطق البعيدة فى الشرق والغرب"(١) .

ولقد اعتمد في كتابه الذي أخرجه فى ١٢ مجلدا كبيرا على الكتابات التى سبقته وخاصة كتاب الطبرى ، ويصل فيه الى مطلع القرن السابع الهجرى، ويمتاز باتزانه في بحث هذه الفترة ويحاول أن يغطى كثيرا من الأحداث في شتى انحاء العالم الاسلامى الذي بدأ على ايامه يضطرب بالزحف الصليبى على الشام الذى بدأ منذ عام (٤٩١هـ / ١٠٩٨م) وبالاعصار المغولى على شرقي العالم الاسلامى ، وكانت غارات المغول افظع كارثة حلت بالعالم الاسلامى ، بل بالانسانية ، كما قرر تلك الحقيقة فى لهجة باكية مؤثرة فى معرض كتابته عن تلك الاحداث في نهاية كتابه (جـ١٢) ، فيقول فى احداث سنة ٦١٧ هـ ، " لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها فأنا اقدم اليه رجلا وأوخر اخرى ، فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا إلا انى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وانا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك

---

(١) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ جـ١ ص٣ القاهرة ١٣٠١ هـ .

لا يجدى نفعا ، فنقول : " ان هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الايام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : ان العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم ، والى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التواريخ لم تتضمن مايقاربها وما يدانيها " .

ويحاول أن تكون له(نظرة شاملة)الى الاحداث ببصيرة تاريخية نافذة،فهو مثلا يعتبر استيلاء الصليبيين على غزة في سنة ٤٩١هـ جزءا من هجوم ذى ثلاث شعب يشنه العالم المسيحى على العالم الاسلامى من اسبانيا وصقلية والشام .

وعندما بدأ الانفصال فى الدولة الاسلامية وتداعت الوحدة وتحولت الدولة الاسلامية الى دويلات متعددة يحكمها متغليون فى مشارق الارض ومغاربا ، وظهرت اللامركزية السياسية واستتبع هذا ظهور اللامركزية الثقافية ، وأثرت هذه الحالة بدورها فى كتابة التاريخ عند المسلمين فبدأت ظاهرة التواريخ المحلية ، وذلك مثلما فعل المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الحكم (٢٥٧هـ) في كتابه " فتوح مصر والمغرب " ، والكندى " ٣٥٠ هـ " في كتابة ولاة مصر وقضاتها " والخطيب ابو بكر البغدادى (٤٦٣هـ) فى كتابه " تاريخ بغداد" وابن عساكر (٥٧١هـ) فى كتابه " تاريخ دمشق وغيرها من الكتب المحلية.

وظل المحدثون والفقهاء حتى ذلك الوقت مستأنسون بكتابة السير والتراجم التى كانت أوسع مجالا فى التاريخ ، وقد ساعد على نشاط كتابة السير فى تلك الفترة ايمان الطبقة المتعلمة بأن سير العلماء[1] ورثة الإنبياء هى

---

(١) كتابة تراجم العلماء تؤرخ للثقافة الاسلامية .

اصدق تعبيرا عن التاريخ الحق من النظم السياسية الزائلة[1] ، ولهذا توسع المؤرخون فى كتابة التراجم ونظموها في طبقات فهناك طبقات الفقهاء ، وطبقات المفسرين وطبقات النحاة والأدباء والشعراء واللغويين والمتكلمين والاطباء والحفاظ والنسابين (حتى المغنين والندماء) وغيرهم .

وعلى الرغم من ارتقاء الكتابة التاريخية وتنوعها كما سلف الا أن الإخبارى (أى المؤرخ) ظل عند جمهور ذلك الزمان أقل مرتبة من المحدث ، وذلك لان المحدث أشرف موضوعا من الاخبارى ، ولقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يضعفونَ المحدث اذا مال الى الاخبارى ، فقد ضعفوا (محمد بن اسحاق) وكان أصلا راوية للحديث ، ولم يستحسنوا للفقيه المختص باستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة أن يتوفر على طلب الاخبار ، فقد روى أن أبا يوسف صاحب ابى حنيفة وتلميذه كان يحفظ المغازى وأيام العرب ، وانه كان يختلف الى حلقة محمد بن اسحق ، وذات يوم مضى ليستمع المغازى من ابن اسحق وتأخر عن مجلس ابى حنيفة ، فلما أتاه قال ابو حنيفة : " ياأبا يوسف : من كان صاحب راية جالوت ؟ (يريد الاستهزاء بالتاريخ) فقال له ابو يوسف : انك أمام وان لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ : أيما كان أولا : وقعة بدر أو أحد فانك لا تدرى ايها كان قبل الآخر وهى أهون مسائل التاريخ " ، فأمسك عنه ..[2] .

ومضى علماء التاريخ قدما فى اعمالهم التاريخية الخالدة ، واثبتوا انهم اقدر من غيرهم على كتابة قصة الثقافة الاسلامية والحضارة العربية حتى اذا

---

(١) كما أنها كتبت اساسا لخدمة العلوم الدينية ، وعلى الاخص الحديث وعلومه .

(٢) السخاوى (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٤٣ ، وابن خلكان وفيات الاعيان جـ٦ص٣٨٢ ، تحقيق احسان عباس .

جاء (العصر المملوكى) ظهرت ، الموسوعات التاريخية الكبرى التى لا نظير لها في تاريخ الكتابة التاريخية حتى الآن ، منها كتاب : "نهاية الأرب فى فنون الادب "للنويرى (٧٣٣هـ) اثنتين وثلاثين جزاء طبع منها حتى الآن ٣١ جزءا ومازال الباقى مخطوطا ، وكتاب " صبح الاعشى فى صناعة الانشاء للقلقشندى (٨٢١هـ) فى ١٤ مجلد وكتاب البداية والنهاية " لابن كثير (٧٧٤هـ) فى ١٤ مجلدا .

غير ان التاريخ ظل ينظر اليه حتى مطلع القرن الثامن الهجرى على انه فرع من فروع آداب اللغة العربية فكانت تقدم حقائقه للقارىء في اسلوب لا يجاوز الحد الادنى من الصنعة الادبية وصورا بليغه تؤثر فى النفوس عن طريق الاكثار من الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والاستشهاد بأبيات من الشعر العربى الرصين لاظهار العرض التاريخى فى الشكل الادبى المطلوب .

فلا عجب اذا رأينا شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، النويرى ، المتوفى سنة ٧٣٣هـ وصاحب كتاب "نهاية الارب في فنون الادب " يعد التاريخ في كتابه هذا فنا من فنون الادب ، واستحوذ التاريخ على قسم كبير من مباحث موسوعته المطولة فقد استغرقت مباحثه نحو عشرين مجلدا من أصل اثنين وثلاثين مجلدا (من ١٣ ـ ٣٢) وجاءت الاولى من هذه الموسوعة من١ حتى ١٢ فى الفنون الاخرى الخاصة بالمباحث التى تتعلق بالفلك والطبيعة والانسان والحيوان والنبات .

كتب الرجال :

ونعنى بها كتب الرجال التي تتحدث عن تراجم رجال الكتب الستة المعروفة فى الحديث ، والمقصود بالرجال هم الذين وردت اسماؤهم كرواة

للاحاديث التى جمعها احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) في مسنده ، ومحمد ابن اسماعيل البخارى (ت٢٥٦هـ) في صحيحه ، ومسلم بن الحجاج القشيرى (ت٢٦١هـ) فى صحيحه ، واحمد بن على بن شعيب النسائى (ت٣٠٣هـ) فى صحيحه وسليمان بن الاشعث السجستانى (ت٢٧٥هـ) فى صحيحه ومحمد بن عيسى السلمى الترمذى (ت٢٧٩هـ) في صحيحه .

(١) وأول كتاب تناول رجال هذه الكتب السالفة بالجرح والتعديل هو كتاب الحافظ المقدسى ، عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى الدمشقى (ت ٦٠٠هـ) فقد ألف كتابه المشهور الذي سماه " الكمال فى أسماء الرجال " فى عشرة مجلدات وظل هذا الكتاب مرجعا اساسيا للرجال يزيد فيه علماء الرجال ويختصرون ، وأشهر هؤلاء المؤلفين الحافظ المزى والحافظ الذهبى ، والحافظ الحلبى ، والحافظ ابن حجر العسقلانى .

(٢) فأما الحافظ المزى (نسبة الى المزة التى ولد بها) من ضواحى دمشق وهو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ابو الحجاج جمال الدين بن الزكى ابى محمد القضاعى الكلبى المزى ، وهو شافعى المذهب (ت٧٤٢هـ) وقبل سنة(٧٤٤هـ) ، وهو شيخ ابن كثير صاحب البداية والنهاية (ت٧٤٤هـ) وتزوج ابن كثير بابنته زينب ، وأفاد منه في الحديث ورجاله[١] .

والشيخ المزى هو شيخ تاج الدين السبكى أيضا (ت٧٧١هـ) صاحب طبقات الشافعية ، وكان الشيخ المزى اكبر علماء الحديث وأعظمهم شأنا في عصره تناول كتاب المقدسى (الكمال فى اسماء الرجال) وأضاف اليه وهذبه وسمى مؤلفه الجديد " تهذيب الكمال فى اسماء الرجال " وأخرجه فى إثنى عشر مجلدا .

---

(١) مقدمة البداية والنهاية لابن كثير .

(٣) الحافظ الذهبى هو محمد بن أحمد الذهبى الحنبلى (ت٧٤٨هـ) صاحب الانتاج الوفير فى التاريخ فله كتاب "تاريخ الاسلام" الذى يقع فى عشرة مجلدات وله كتاب " تذكيرة الحفاظ" وكتاب "سير أعلام النبلاء" وغيرها من الكتب وهو تلميذ الحافظ المزى ، وشيخ تاج الدين السبكى ، تناول هو الآخر كتاب أستاذه المزى (تهذيب الكمال فى اسماء الرجال) وأخرج عليه كتاباً سماه (تذهيب التهذيب) اختصر فيه كتاب التهذيب ثم اختصر كتابه هو فى كتاب سماه " الكاشف فى اسماء رجال الكتب الستة " وهو مختصر لكتابه سالف الذكر يرجع اليه الباحث المتعجل .

(٤) الحافظ الحلبى (ت٨٤١هـ) وهو عالم من علماء الشام ، وهو شافعى المذهب ، توفر على الكتب السالفة للحافظ المقدسى ، والحافظ المزى والحافظ الذهبى ، وأخرج منها كتابه الذى سماه : " نهاية السول في رواة الستة الاصول " .

(٥) الحافظ ابن حجر ، وهو أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى (ت٨٥٢هـ) وهو أعظم علماء القرن التاسع الهجرى ، بل اعظم من كتب في الحديث ، وهو صاحب كتاب " فتح البارى بشرح صحيح البخارى "وله كتاب" الدرر الكامنة فى اعيان المائه الثامنة " وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة " وغيرها من كتب التاريخ والحديث ، وقد تناول ابن حجر كتاب " تهذيب الكمال " للمزى ، وعمل منه مختصرين هما :

١ ـ (تهذيب التهذيب) وقد أخرجه فى اثنا عشر مجلدا وهو أعظم كتاب في الرجال ، زاد فيه وأفاض .

٢ – " تقريب التهذيب " أخرجه فى مجلدين ، وكان يريد به افادة الباحث المطلع المسرع وهو مختصر لكتابه السابق .

(٦) الحافظ الخزرجي هو أحمد بن عبد الله الخزرجي (ت٩٥٠هـ تقريبا) وهو مدنى ، عاش بالاسكندرية ، وكان متبحرا فى علوم الحديث ورجاله وتناول كتاب الذهبى " تذهيب التهذيب " وعمل خلاصة له سماها : "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال" وتعرف لدى علماء الحديث باسم "خلاصة الخزرجى" وقد استفدنا من مقدمة كتاب الخلاصة التى كتبها المحقق .

ولقد استتبع التفرق السياسى الذى سبق ان تحدثنا عنه ضعف العالم الاسلامى فطمع فيه أعداؤه فيما وراء الحدود من الصليبين والمغول فسقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ودمرت معالم الحضارة الاسلامية في القارة الأسيوية تدميرا ، وفى غضون ذلك كانت مدن الاندلس تتهاوى الواحدة تلو الاخرى فى ايدى الاسبان حتى انحصر ملك المسلمين فى رقعة ضيقة من الارض هى غرناطة وماحولها ، وبذلك دخل العالم الاسلامى كله فى طور جديد من تاريخه يختلف عن الطور السابق عليه اختلافا بعيدا .

وبذلك اتضحت صروف الزمن وعبر التاريخ بعد تلك الاحداث الجسام والخطوب العظام ، فكان طبيعيا ان ينحو المؤرخ الاسلامى فى التاريخ تلقاء ذلك كله منحي فلسفيا عميقا فيتعرف علل الحوادث واسباب قيام الدول وعلل سقوطها ومظاهر العمران وأصول الاجتماع ونحو ذلك ، وهذا ما صنعه فليسوف مؤرخي العرب قاطبة (عبد الرحمن بن خلدون) [١] المتوفى سنة ٨٠٨هـ ، فكتاباته بحق تعتبر مرحلة جديدة في تاريخ الكتابة التاريخية تستحق منا أن نلقى عليها كثيرا من الضوء ، وان نقف عندها بعض الوقت فى الفصل الثانى .

---

(١) أنظر : هرنشو : علم التاريخ فى الفصل الثالث الذي اضافه عبد الحميد العبادى الى الكتاب .

كتب الطبقات وتراجم القرون

كتب الطبقات هى الكتب التى عالج مؤلفوها تاريخ الصحابة والتابعين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم وعصورهم جيلاً بعد جيل وطبقة بعد طبقة ، والتاريخ حسب الطبقات اسلامى أصيل لم تسبق إليه أمة قبل الأمة الاسلامية ، وذلك لأنه ارتبط بعلم الحديث أرتباطا وثيقا [1] .

وأول هذه الطبقات طبقات بن سعد ، وهو محمد بن سعد كاتب الواقدى ، وهى موسوعة تاريخية عظيمة ومرجعاً للمحدثين والمؤرخين والنسابين وسيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخبار الصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم الى عصر محمد بن عبد الله بن سعد صاحب الطبقات (ت ٢٣٠هـ) [2] .

وهى عمل ضخم متنوع الثقافة شملت أكثر ما كتبه محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧هـ) الذى كان ابن سعد كاتبا له ، ويخصص ابن سعد جزءاً كبيرا من طبقاته لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وباقى أجزاء الكتاب تراجم للصحابة والتابعين رضى الله عنهم والجزء الأخير من كتابه خصصه للنساء ، وقد رتب الصحابة رضى الله عنهم على أساس السبق الى الاسلام وحضور بدر الكبرى ، وقد بدأ بالمهاجرين البدريين ثم بالأنصار البدريين ، ثم بمن سبق الى الاسلام ولم يشهد بدراً ولكنه هاجر الى الحبشة أو شهد غزوة أحد ثم من أسلم قبل فتح مكة .

ومن هنا يتضح لنا ضخامة طبقات بن سعد وأهميتها لدى العلماء لصلتها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجاله وبالروات وأسانيدهم وأخذ عنها كثير من العلماء والمؤرخين وأختصرها السيوطى فى كتاب سماه :

---

[1] السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص٩٥ .

[2] كان مولد بن سعد فى البصرة ورحل الى المدينة وبغداد .

" إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد " . واعتمد عليها كثير من الذين كتبوا في التاريخ العربى والاسلامى وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق" ، والذهبى في كتابه "تاريخ الاسلام" ، والمقريزى في كتابه "امتاع الاسماع" ، وابن حجر في كتابه "الاصابة في تمييز الصحابة " وكتابه "تهذيب التهذيب " .

وابن سعد من الرواة الناقدين فهو يروى الرواية ثم يعقب عليها بوجهة نظره ، فمثلاً يروى رواية تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم بكى عند قبر أمه لما فتح مكة ثم يقول : وهذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء [1] .

وطبقات ابن سعد ليست تاريخاً فقط لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وللقرنين الأولين من تاريخ الاسلام ، وإنما هى فوق ذلك كله سجل حافل بالأحاديث النبوية والأحكام الفقهية وكثير من الأمور الاجتماعية المتعلقة بالبيت والسوق والمهن والتجارة وشتى الثقافات في لغة سهلة يفهمها الخاص والعام [2] .

ولا يذكر صاحب الفهرست من مؤلفات ابن سعد سوى كتاب : "أخبار النبى " ، ويبدو أن هذه السيرة وحدها كتبها ابن سعد بالصورة التى وصلت إلينا بعد أن رواها لتلاميذه ، في حين حفظ كتابه " الطبقات الكبرى " بصورته المعروفة للمرة الأولى على يد حسين بن محمد بن فهم المتوفى سنة ٢٨٩هـ (٩٠٢م) وجمع بن معروف الكتابين في كتاب واحد نحو سنة ٣٠٠هـ (٩١٣م) وتؤلف سيرة النبى الجزء الأول منه ، ويلى ذلك تراجم الصحابة والتابعين .

---

[1] الأبواء موضع قريب من المدينة .

[2] أنظر : مقدمة طبقات بن سعد التى كتبها الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر في تقديمه لطبعة الطبقات التى أخرجتها دار التحرير بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .

وفي الجزء الخاص بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام يعطينا ابن سعد تفاصيل أوفى من ابن هشام في سيرته ، كما أن " أخبار النبى" في طبقات ابن سعد تضيف كثيرا من رسائل النبى وسفاراته وتعنى ببابين جديدين هما . ١-علامات النبوة ٢-وصفة أخلاق رسول الله . ويمتاز ابن سعد بأنه يذكر النص الكامل للكثير من الوثائق الأصلية . وهذا الاهتمام بالوثائق وتوثيق الأخبار نادر في كتب الأوائل من المؤرخين .

وقد جاء بعد ابن سعد من سار على طريقه في كتابة الطبقات كثيرون وأولهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ في كتابه "طبقات الشعراء" .

وتوسع المؤرخون في هذا المجال فكتبوا في طبقات النجاه والأدباء والمحدثين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسابين والأطباء والفقهاء وصنفوا الفقهاء على المذاهب كطبقات الشافعية والمالكية والحنابلة والحنفية . حتى أنهم كتبوا في طبقات المغنين والندماء . وقد وصل إلينا من كتب الطبقات طائفة كبيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- طبقات الشعراء لابن سلام .

٢- طبقات النحاة لابن الأنبارى .

٣- طبقات الأدباء لياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ) .

٤- طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

٥- طبقات الحفاظ المعروف " بتذكرة الحفاظ " لشمس الدين الذهبى (ت٧٤٨هـ) .

٦- طبقات الفقهاء للشيرازى .

٧- طبقات الشافعية لتاج الدين السبكى (٧٧١هـ) .

٨- [illegible]ت المفسرين للسيوطى (ت ٩١١هـ) .

[illegible]من هذه الكتب الخاصة بالطبقات استخرج المؤرخون كتب التراجم على اختـ[illegible] [illegible]واعها وأهمها تراجم الرجال وفق القرون .

ترا[illegible] [illegible]قرون :

كان أول رائد لتراجم الرجال وفق القرون هو المؤرخ المصرى أحمد بـن حـ[illegible] [illegible]سقلانى المتوفى (ت ٨٥٢هـ) في كتابه " الدرر الكامنة في أعيان المائة الثـ[illegible] [illegible] ويمتاز هذا الكتاب بأنه ترجم فيه لطائفة كبيرة من أعلام النساء في القرن الثامـ[illegible] [illegible]كتاب مطبوع في أربعة مجلدات . وابن حجر كان أول من قـام بعمـل تراجـ[illegible] [illegible]الرجال وفق القرون ، وكانت قبله للطبقات على مـدى العصـور ، دون النظر [illegible]لى قرن معين ، ويمتاز بأنه ترجم فيه لطائفة كبيرة جدا من أعلام النسـاء في القر[illegible] [illegible]الثامن ممن اشتهرن بالعلم والحديث والرواية والفضل .

وجاء بعده السخاوى (٩٠٢هـ) فألف كتابا لـتراجم أعـلام القـرن التـ[illegible]ـسع وسماه : " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " في ١٢ جزءاً ، ويمتاز كتاب السخـ[illegible]ـاوى في أنه ترجم للنساء النابهات وأفرد لها جزءاً بتمامه وهو الجزء الأخـير ولا شـ[illegible]ـك أن هذا الكتاب فخر مؤلفات السخاوى رغم ما أبتلى به من تصغير الكبير وتكـ[illegible]ـبير الصغير وكان مشهوراً بتجريح من يترجم لهم وخاصة الذين عاصروه .لكن لا نـ[illegible]ـسى أنه أول مؤرخ بعد ابن خلدون ينقد الأعمال السابقة له والمعـاصرة ، في وقت [illegible]كان المؤرخون يتورعون ولا يصرحون بهذا النـوع مـن النقـد ، فكـان السخـ[illegible]ـاوى بذلك من الرواد الأوائل لنقد المؤرخين وأعمالهم .

وأتى بعده نجم الدين الغزى المتوفى سنة (١٠٦١هـ) فألف كتابـا في أعيان القرن العاشر سماه : " الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة " وضع هـذا الكتـ[illegible]ـب في ثلاثة اجزاء – اسماها المؤلف طبقات – يدور الأول منها على تراجـم

الاعيان المتوفين من اول سنة تسعمئة وواحدة الى آخر سنة تسعمئة وثلاث وثلاثين – اى الثلث الأول من القرن العاشر ، ويدور الجزء الثانى على المتوفين في الثلث الثانى من القرن المذكور ، ويدور الثالث على المتوفين في الثلث الثالث ، وقد رتب المؤلف التراجم في كل جزء على حروف المعجم ولم يستثن من اسماء المترجين الا المحمدين فقد وضعهم في أول كل طبقة ثم بدأ بعدهم بالاعلام التى أولها حرف ألف حتى انتهى الى الياء .

وجاء بعده محمد المحبى المتوفى سنة (ت١١١١هـ) فألف كتابا في تراجم القرن الحادى عشر سماه : " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر " في أربعة أجزاء.

ثم جاء بعد المحبى محمد خليل المرادى المتوفى في سنة (١٢٠٦هـ) فكتب كتابه المسمى : " سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر " لتراجم رجال القرن ١٢ الهجرى ، ويقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء في طبعة دار البشائر الاسلامية في بيروت بلبنان في سنة ١٩٨٨م.

وأتى بعده البيطار ، الشيخ عبد الرازق البيطار (ت ١٩١٦م) ١٣٣٥هـ فألف كتابا في تراجم أعيان القرن الثالث عشر عنوانه : " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " في ثلاثة أجزاء .[1]

والسبب الذى دفع العلماء والمؤرخين للكتابة في التراجم والطبقات هو خدمة لرجال الحديث والفقه في البداية ، وعندما وجد العلماء كثيرا من المؤرخين يحومون حول الحكام والأسر الحاكمة ويتحدثون عن حياتهم السياسية وحروبهم وصراعاتهم نأوا بأنفسهم عن هذا الجو السياسى وتوسعوا في كتابة تاريخ العلماء في كتب الطبقات والتراجم .

---

[1] سلك الدرر ، مقدمة الناشر ، ج١ طبعة دار الفكر ، بيروت .

وعلى ذلك فكتب الطبقات والتراجم تؤرخ للعلماء وللحياة العلمية والثقافية ، يجد فيها الطالب الحديث عن العلماء وحياتهم وإنتاجهم العلمى ، والمراكز العلمية التى تلقوا فيها علومهم وأساتذتهم ، والكتب المتداولة على عهدهم . فالذى يؤرخ للحياة العلمية والثقافية في أى عصر من العصور عليه بكتب الطبقات والتراجم ففيها أفرغ مؤلفوها خبرة العلماء في هذه التراجم .

كتب الأمالى:

نشأة الأمالى : ذهب بعض العلماء في مناهج تأليفهم الى املاء الموضوعات التى يريدون طرحها على أسماع تلاميذهم ، فمثلا كتاب : " مجالس ثعلب " أطلق عليه أيضا " أمالى ثعلب " وليس في ذلك كبير مبالغة ، فالكتاب مجموعة من الأمالى التى تضم ألوانا من الأدب والتاريخ واللغة وإن كان للغة فيه النصيب الأوفى .

والدكتور الشكعة لا يرى كبير فرق بين عنوان " الأمالى " أو عنوان " المجالس " فلقد كان الأدباء في واقع الأمر يجلسون متحلقين حول أستاذهم وأمامهم المحابر وبأيديهم الأقلام والدفاتر . يحسنون الاستماع ، ويقيدون ما يجرى على لسان أستاذهم الذى يكون في العادة من كبار العلماء الثقات ، فإذا جمعت هذه الأمالى لكى تصدر في شكل كتاب كانت إما أن تعرض على الاستاذ نفسه أو يقوم على مراجعتها بعض النابهين من تلامذته الذين يقومون بدورهم بروايتها منسوبة إليه .

وكتب الأمالى في ميدان الدراسات العربية والاسلامية من الكثرة بمكان ، وتشمل بعض الموضوعات المتخصصة كالتفسير حينا والحديث حينا والنحو حينا ثالثا والأخبار التاريخية والفلسفة في بعض الأحيان وهكذا .



١– وكتاب " مجالس ثعلب [١] " أول كتاب أنشىء في هذا المجال ، وقد عاش ثعلب بين سنتي ٢٠٠ ، ٢٩١هـ .

٢– ويليه في نفس الميدان " أمالي اليزيدى " أبي عبد الله بن العباس المتوفى سنة ٣١٠هـ وفيها كثير من الأخبار التاريخية . ويكثر اليزيدى من ذكر الأخبار والأحداث التاريخية مثل بعض الغزوات ويوم الجمل وعدد القتلى فيه وأسماء بعضهم كما يذكر أخبار بعض الخوارج ، وأخبار الخلفاء الراشدين وعلى الأخص عمر وعثمان وعلى .

ويتحدث عن بنى أمية وخاصة معاوية وعبد الملك بن مروان وسليمان بن عبد الملك ، وكان هواه أمويا فإذا ما عرض لبنى العباس فإنه يكثر من ذكر مساوئ أبي جعفر المنصور ويأتى له بالأخبار التى تنال منه مثل نسبة اللحن إليه في القرآن أو سيرة بخله (٨٩–٩١) ، ويورد بعض الأخبار التى تصور المجتمع البدوى [٢].

٣– ويليه (أمالي الزجاج) أبي اسحاق ابراهيم بن السرى ابن سهل المتوفى سنة ٣١١هـ ، وكان معاصراً لليزيدى وتلميذا ومريداً للمبرد .

٤– وتلى هذه الأمالي الثلاث (أمالي جحظة البرمكى) المتوفى سنة ٣٢٤هـ واسمه الحقيقى (أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى البرمكى) الوزير الخطير ، وإنما لقب بجحظة لنتوء كان في عينيه فأطلق عليه (عبدُ الله بن المعتز) لقب جحظة لهذا السبب فاشتهر به ونسى المتأدبون حقيقة اسمه وقد كان جحظة

---

[١] ثعلب : هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانى بالولاء ولد سنة ٢٠٠هـ وتوفى سنة ٢٩١هـ وكان زعيم مدرسة الكوفيين في مجال علوم اللغة العربية (انظر وفيات الأعيان ١٠٢/١ وتاريخ بغداد ٢٠٥/٥ الألبا ٢٢٩)

[٢] مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، نشر دار العلم للملايين بيروت ، ص٣٥٥–٣٥٨.

أديبا ظريفا موسيقيا شاعرا راوية ، وكثيرا ما روى عنه أبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني" .

٥- وتلي أمالي جحظة من حيث الزمان (أمالي أبي بكر بن الأنباري) المتوفى سنة ٣٢٨هـ وابن الأنبارى أحد أعلام الأنباريين الذين عرفوا بعلوم الأدب واللغة والنحو والرواية .

٦- ويعاصر جحظة البرمكي عالم كبير وأديب لغوى وشاعر هو أبو بكر (بن دريد) المتوفى سنة ٣٢١هـ في الثامنة والتسعين من عمره ، وقد أجمع المؤرخون على أنه أملى كتابه الكبير " الجمهرة " الذى يعد من أنفس كتب العربية ، كما يعد واحدا من الأمالي المرموقة ، على أن أحاديث ابن دريد ذات الشهرة الواسعة أيضا والتي نهج فيها المنهج الأدبي لكي يصل من خلالها الى أهدافه اللغوية من تلقين وشرح وتدريس وتعليق تعتبر بدورها أمالي أخرى لأن الأديب الكبير أملاها على تلاميذه بنفس الطريقة التي أملى بها " الجمهرة " بل لقد ذهب كثير من المترجمين الى تسميتها فعلا بالأمالي .

٧- إن هذه الأحاديث أعنى أحاديث إبن دريد بل أماليه لم تصل إلينا منفردة في كتاب ، وإنما جاءت متفرقة في ثنايا أشهر كتاب بين كتب الأمالي هو (أمالي القالي) الذى أملاها أبو على اسماعيل بن القاسم القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ والذى لم تطب له الحياة في (بغداد) بعد اقامة خمسة وعشرين عاما فيها ، فهاجر الى المغرب فالأندلس حيث استقبل فيها استقبالا كريما من عبد الرحمن الناصر ، فلما مات الناصر وتولى بعده أبنه الحكم المستنصر زاد في تكريمه وجعله مستشاراً له لشئون الثقافة ووضع له تحت يديه الأموال والوفيرة التي كانت تشترى بها نفائس كتب المشرق كي تضمها وتزدان بها (مكتبة قرطبة) التي كانت تعتبر على ايام المستنصر من أكبر مكتبات العالم .

٨- ويلى أمالى القالى من حيث الأهمية والزمن كتاب عظيم لأديب مفكر عظيم هو (الأمتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى المتوفى سنة ٤٠٠هـ الذى ألقاه سلسلة محاضرات في ندوة الوزير "أبى عبد الله العارض بن سعدان" وزير بنى بويه في بغداد ، وقد ألفه سنة ٣٧٤هـ ويقع في ثلاثة أجزاء وأصله مسامرات كان يلقيها في مجلس الوزير على مدى سبع وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ، ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان .

وهذه الأمالى ممتعة مؤنسة كأسمها تلقى ضوءاً كثيرا على العراق في النصف الثانى من القرن الرابع في العصر البويهى ، ويتعرض للكثير من الشئون الاجتماعية في ثنايا حديثه فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن العميد وابن سعدان ، ومحاسنهم ومساويهم ، ويصف العلماء ويحلل شخصياتهم ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب ، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين كالمناظرة الممتعة التى جرت بين أبى سعد السيرافى ومتّى بن يونس القُنائى في المفاضلة بين المنطق اليونانى والنحو العربى ، ورأى العلماء في الشعوبية والمفاضلة بين الأمم [١] .

وفي الكتاب نص وحيد كشف لنا عن مؤلفى كتاب : "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا " [٢] وقد نقله القفطى منه ، حيث كان الوزير قد سأل أبا حيان عن رسائل إخوان الصفا ومن ألفها ، وعن القفطى نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفا . وهؤلاء المؤلفون لرسائل إخوان الصفا هم "زيد بن رفاعة" ، "وأبو

---

[١] مقدمة الأمتاع والمؤانسة لأحمد أمين ، ص (ف) .

[٢] ج٢ ص٤-٦ من الأمتاع ، طبعة دار مكتبة الحياة بيروت .

سليمان محمد بن معشر البيستي " المعروف بالمقدسي ، "وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني" ، "وأبو محمد المهرجاني" ، والعوفي[1] .

وفيه فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيرا حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك ، وهيجانهم واضطرابهم وأسباب ذلك ، كما يعرض أحيانا للحياة الاجتماعية الشعبية فيذكر عدد القينات في الكرخ فيقول : " ولقد أحصينا في سنة ٣٦٠هـ ٤٦٠ جارية من القينات ومائة وعشرين من الحرائر ، وخمسة وتسعين من الصبيان الذين يجمعون بين الحذق والحسن . هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهرون بالغناء وبالضرب إلا إذا نشط أو ثمل في حال أو خلع العذار في هوى "

وكتاب الأمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ، كيف يبحثون ، وفيم يفكرون إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلاسفة ، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما الى ذلك ، كما يتعرض لمشاكل البلغاء كالحديث عن النثر والنظم والمفاضلة بينهما ومزايا كل ونقصه .[2]

٩- وتأتي بعد ذلك (أمالي الشريف المرتضى) نقيب الطالبيين في بغداد ، صاحب مجالس الأدب ومنتدى الثقافة الذى عاش بين سنتي ٣٥٥-٤٣٦هـ .

١٠- ثم (أمالي ابن الشجرى) (٤٥٠-٥٤٤هـ) وهو هبة الله بن الشجرى وهي أمالي جيدة فياضة بأنماط العلم مترعة بأسباب الأدب .

وبعد فإن أكثر الشيوخ والمحدثين والعلماء والمؤدبين كانت لهم مجالس أملوا فيها أماليهم ، وهي من الكثرة بمكان بحيث يصعب إحصاؤها ويجهد استقصاؤها ،

---

[1] أبو حيان التوحيدى ، الأمتاع والمؤانسة ، ج ، ص٥-٦ .

[2] مقدمة الأمتاع والمؤانسة .

وأكثر الأمالي عددا هي ما كان في علم الحديث ، ولكن ذلك لم يمنع عددا كبيرا من رجال الأدب والتاريخ واللغة على مر عصور ازدهار الثقافة العربية من أن يجلسوا الى تلاميذهم ويسمعوهم ما في صدورهم من علم وما في عقولهم من معرفة وما تجود به خواطرهم من آداب .[1]

[1] الشكعة ، ص٣٤١ - ٣٤٤ .

الفصل الثانى

فلسفة التاريخ

وصلت الكتابة التاريخية الى درجة عالية من الرقى والتقدم فى القرن التاسع الهجرى ، والفضل فى ذلك يرجع الى ابن خلدون ومدرسته ، ومن اشهر تلاميذ ابن خلدون المقريزى والسخاوى وابو المحاسن ابن تغرى بردى، وابن حجر العسقلانى وغيرهم .

ولكي نفهم المنهج الذي وضعه ابن خلدون لكتابه التاريخ لا مفر من أن نلقى نظرة سريعة على حياة ابن خلدون :

ابن خلدون (٧٣٢ . ٨٠٨هـ)

هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى الاصل من أسرة عربية رحلت الى الاندلس ونشأت بها ثم رحلت منها الى تونس بعدما أذنت شمس الاندلس بالمغيب وقد ولد عبد الرحمن بن خلدون بتونس سنة ٧٣٢هـ فى بيت كان اسلافه يتقلبون فى المناصب العلمية والسياسية ، فمولد صاحبنا يحمل النزعتين حب المنصب والجاه من ناحية وحب الدرس والعلم من ناحية أخرى ، بالإضافة الى انه كان يتمتع بذكاء نادر وحيوية محيرة للعقول .

وتلقى العلم فى بداية حياته على والده من كتب التراث الاسلامى ، وما أن بلغ العشرين حتى انتزعه تيار الحياة السياسية والمناصب العامه ، فخاض غمار السياسية وأخذ يتقلب فى المناصب السياسية قرابة ربع قرن من الزمان من سن ٢٠ حتى سن ٤٥ ، وفى هذه الفترة عاش عيشة حافلة بشتى الحوادث السياسية في ظل مناصب الكتابة والسفارة والوزارة والحجابة ، وذاق مرارة السجن والنفى ، وما الى ذلك من صنوف الحياة السياسية المضطربة .

وكان ابن خلدون مع ذلك يختلس بعض الوقت من حين لآخر للانكباب على العلم للاستزادة منه مرة ، وتدريسه مرة أخرى وكان يشعر من وقت لآخر برغبة شـديدة الي التخلص من هذه الحياة المضطربة والتـفرغ للعلم الذي كان يشعر فى قرارة نفسه دائما أنه خلق من أجله ، ولكن ساقته المقادير الى الحياة السياسية بكل ما فيها من تقلبات وأخطار .

وأتيحت لابن خلدون الفرصـة التي ينتظرها فى سنة ٧٧٦هـ حين رغب عن الحيـاة السيـاسية والـقى عصى التـسيار واعـتكف فى (قلعة ابن سـلامة) بالجزائر منعزلا عن الحياة العامة تماما نحو أربعة أعوام أنجز فيها كتابة الضخم فى صورته الاولى وهو كتاب :

" العبر وديوان المبتدأ والخـبر فى ايام والعجم والبربر ومن عاصرها من ذوى السلطان الأكبر " ..

وقد جرت العادة باخـتصاره فى كلمتى " كتاب الـعبر" . وقد ابدى ابن خلدون دهشـته من إنجـاز هذا الكتاب فى هذه المـدة الوجيـزة فقـال فى هذا الصدد :

" فاقـمت بها أربعة اعـوام متخليـا عن الشواغل كلهـا ، وشرعت فى تأليف هذا الكتـاب وأنا مقـيم بها ، وأكـملت المقـدمه منه على ذلك النـحو الغريب الذى أهتديت اليه فى تلك الخلوة "[1] .

والكتاب حسب طبعـه بولاق (تم طبعها سنة ١٨٦٨م) ، يستغـرق سبعة مجلدات تشـغل المقدمه التى درس فيـها ابن خلدون ظواهر الاجتـماع مجلدا واحدا ، وتشغل البـحوث التاريخيـة الخالصة الستة الـباقية ، وقد قـسمه ابن

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا .

خلدون تقسيما آخر فجعله مكونا من مقدمة وثلاثة كتب .

جعل المقدمة " في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بمغالط المؤرخين " .. وجعل الكتاب الاول (في العمران) وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ، وما لذلك من العلل والاسباب " .

وقد جمعت المقدمة والكتاب الاول مع الخطبة التى افتتح بها هذا المؤلف في مجلد واحد مانسميه الآن : " مقدمه ابن خلدون " كما تقدم بيان ذلك .

وقد أوقف الكتاب الثانى على (اخبار العرب) وأجيالهم ودولهم من بداية الخليقة الى عصره ، والاشارة الى تاريخ من عاصرهم من النبط والسريانين والفرس وبنى اسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والافرنجة (كما هى عبارة ابن خلدون) ويستغرق هذا الكتاب أربعة مجلدات من المجلد الثانى لغاية المجلد الخامس .

أما الكتاب الثالث من مؤلف ابن خلدون فقد وقفه على (تاريخ البربر) ومن اليهم من زناته وذكر اجيالهم وماكان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول (كما هى عبارة ابن خلدون) وبعبارة اخرى وقفه على ما نسميه الآن شمال افريقيا منذ نشأة شعوبها حتى عصره ، ويقع هذا الكتاب فى مجلدين هما السادس والسابع من مؤلفه .

وقد نهج ابن خلدون في تنظيم مؤلفه نهجا جديدا يختلف عن نهج كثير ممن كتبوا فى التاريخ من قبله ، فقد كان الغالب فى المؤلفات التاريخية الإسلامية قبل عصره أن توضع فى صورة جداول تاريخية مرتبة وفق السنين ،

وتجمع حوادث كل سنة فى جدول واحد ، على الرغم من تباعد مواطنها وعدم ارتباطها بعضها ببعض ، ولكن ابن خلدون عدل من هذه الطريقة الى طريقة أخرى أدنى الى الدقة والتنسيق ، فقسم مؤلفه الى كتب وقسم كل كتاب الى فصول متصلة ، وتتبع تاريخ كل دولة على حدة من البداية الى النهاية ، مع مراعاة نقط الوصل والتدخل بين مختلف الدول .

صحيح انه ليس مبتدع هذه الطريقة فقد سبقه اليها منذ القرنين الثالث والرابع الواقدى والبلاذرى وابن عبد الحكم المصرى والمسعودى وابن الاثير واليعقوبى ، الا ان ابن خلدون يمتاز عن اسلافه ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك والوضوح والدقة فى تبويب الموضوعات والفهارس .

التجديد فى منهج البحث التاريخى : (١)

أول من جدد فى منهج البحث التاريخي هو عبد الرحمن ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) فقد كانت الكتابة التاريخية قبله مجرد سرد للاحداث ، وندر أن تجد المؤرخ يتدخل فيما يروى بالنقد والتعليلى واستخلاص الاسباب والنتائج للاحداث ان ابن خلدون رأى أهمية مناقشة الروايات التاريخية وضرورة نقدها ، ورد الاخبار الواهية منها ، وكتب تمهيدا في مقدمة كتابه " العبر " للحديث عما يعرف الآن بفلسفة التاريخ ، وسمى هذا التمهيد " المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بمغالط المؤرخين " ..

ذلك أن ابن خلدون قد رأى أن كتب المؤرخين قبله قد اشتملت على كثير من الاخبار غير الصحيحة ، وأن من الواجب أن يتخلص التاريخ من هذه الطائفة من الاخبار حتى يعطى صورة صادقة لاحوال المجتمعات ، وحتى

(١) استفدنا فى هذا الموضوع من محاضرات استاذنا د / على عبد الواحد فى علم الاجتماع ، وكتابه عن ابن خلدون فى سلسلة أعلام العرب .

لاتختلط فى اذهان الناس الحقائق الصادقة بالامور الملفقة الزائفة ، ورأى انه لعلاج ذلك يجب البحث عن الاسباب التى تدعو الى الكذب فى الاخبار أو نقل إخبار غير صحيحة ، فانه متى وقفنا على هذه الاسباب امكننا علاجها والقاء ما يصدر عنها ، وقد هداه تأمله فى مؤلفات المؤرخين من قبله وما أندلس فيها من حوادث غير صحيحة الى آن اسباب الكذب في الخبر ، وقبول الخبر غير الصحيح ترجع الى ثلاث طوائف .

أحدها : تتمثل في أمور ذاتية تتعلق بشخص المؤرخ وميوله وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم ومدى إنقياده الى هذه الميول والاهواء وتصديقه ما يصدر عنها ، ومن ذلك : " التشيعات للاراء ، والمذاهب ، فان النفس اذا كانت على حالة من الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقه من الاخبار لاول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها من الانتقاد والتحمص فتقع فى قبول الكذب ونقله .

ومن ذلك أيضا : " تقرب الناس فى الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر فينسبون اليهم من الاعمال والمآثر ما ليس لهم " وتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة ، وليسوا فى الأكثر راغبين في الفضائل ولا متنافسين فى اهلها " وذلك كما يحدث فيما يكتبه كثير من المؤرخين عن الاسرات المالكة والبيوتات الكبيرة فى عصور حكمها ومجدها .

ويقول ابن خلدون بعد ان ناقش ماذكره المؤرخون من أخبار واهية عن ملوك التبابعة ملوك اليمن وغزواتهم خارج الجزيرة العربية في شمال افريقيا

وبلاد الترك والروم والصيـن وغيرها من الاقاليم : " فلا تثـقن بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعراضـها على القوانين الصحيحة يقع لك تمـحيصها بأحسـن وجه .. والله الهادى الى الصواب " .

وعلاج هذه الطائفة من الاسباب يكون بتجرد نفس المؤرخ ، من الهوى والتشيـع وعوامل الانحراف عن الحق ، وان يقدم على بحـوث التاريخ بدون رأى مبيت من قبل ، وان يعنى بتمحـيص كل خبر تحـوطه ريبة من هوى أو تشيع لرأى أو تزلف لعظيم[1] .

ويجب على المؤرخ أن يدقق فيما ينقله عن المؤرخين الآخرين لكي لا يقع في خطأ يتعلق بهوى من ينقل عنهم وميولهم وانحيازهم فى كتابتهم والذى يساعده على ذلك الـنظر والرجوع الى كتب تراجم المؤلفيـن والمؤرخين التي تتحدث عن تاريخ حياتهم فانها تساعده على معرفة هوية المؤرخ .

ثانيتها: تتمـثل في الجهل بالقوانين التي تخـضع لها الظواهر الطبيعـية كظواهر الفلك والكيمياء والطبيعة والحيوان والنبات ، وما الى ذلك .

فكثيـر ما يجهل المـؤرخون هذه القوانين فـيسجلون اخبارا تحكم هذه القوانين باستحالة حدوثهـا ، وذلك مثل : " ما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر (الشيـاطين البحرية) عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذنا تابوتاً من الخشب وفى باطنه صندوق من الزجاج لينزل به الى قـاع البحر حتى رسم صورة تلـك الدواب الشيطانيـه التى رآها وعمل تمـاثيل لها من المـعدن ونصبهـا بجانب المبانى ، فـفرت تلك الدواب حينما خـرجت ورأتها وتم له بناؤها فى حكاية طويلة من أحـاديث خرافة مـستحـيلة . ثم يدلل ابن خلدون على استـحالة هذه الأخـبار فـيقول : إن المـنغمس في المـاء ، ولو كان في

(١) د . على عبد الواحد ، عبد الرحمن بن خلدون ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

الصندوق ، يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئه والروح القلبى ويهلك مكانه ، وهذا هو السببْ في هلاك أهل الحمامات اذا طبقت عليهم وقل الهواء البارد والمتدلين فى الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواؤها بالعفونة ولم تداخلها الرياح بتخلخلها فان المتدلى فيها يهلك لحينه (أنظر مقدمة ابن خلدون) .[1] ...

وعلاج هذه الطائفة من الاخبار فى نظر ابن خلدون يكون بالمام المؤرخين بالعلوم الطبيعية وقوانينها واستبعاد كل ما يتنافى مع هذه القوانين ، فلو كان المسعودى واقفا على علم وظائف الاعضاء وقوانينه وطبيعة التنفس فى الانسان والحيوان ما نقل هذا الخبر المستحيل عن الاسكندر .

والواقع ان العلوم الطبيعية أى العلوم التى تدرس ظواهر الطبيعة كانت قد وصلت الى عهد ابن خلدون الى درجة كبيرة من التقدم والنضج ، وكان علماؤها قد تمكنوا من الاهتداء الى كشف طائفة كبيرة من القوانين التى تخضع لها ظواهر الطبيعة فلا عذر للمؤرخين فى الجهل بهذه القوانين ، ولا عذر لهم فيما رووا من أخبار تتعارض معها فقد كان الواجب عليهم قبل أن يبدأوا بحوثهم التاريخية ان يكونوا على المام بالنتائج التى انتهى الى كشفها الباحثون فى العلوم الطبيعية .

ثالثها: تتمثل فى الجهل بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى ، وذلك أن الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الأهواء ، والمصادفات وانما تحكمها قوانين ثابتة مطردة شأنها فى ذلك شأن الظواهر الطبيعية ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : " ومن الاخبار المقتضية له أيضاً

---

(١) ص ٣٢٩ من تحقيق د . على عبد الواحد ، طبعة نهضة مصر .

(أى المقتضبة للكذب فى الاخبار) الجهل بطبائع الاحوال فى العمران فان كل حادث لابد له من طبيعةتخصه فى ذاته ، وفيما يعرض له من أحواله فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال فى الوجود ومقتضياتها اعانة ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب " (انظر مقدمة أبن خلدون)"...

وأما اذا اعتمد فى الأخبار " على مجرد النقل ولم تحكم طبيعة العمران .. والاحوال فى الجتماعى الانسانى .. فربما لم يؤمن من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصواب " ..

وهذا هو ما حدث بالفعل ، فقد نشأ عن جهل المؤرخين بالقوانين التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية ان زلت أقدامهم وحادوا عن جادة الصواب ، فسجلوا اخبارا تحكم هذه القوانين باستحالة حدوثها لتنافرها مع طبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ، فمن ذلك مثلا : " ما نقله المسعودى وكثير من المؤرخين عن جيوش بنى اسرائيل ، وان موسى عليه السلام احصاهم فى التبة (فى شبة جزيرة سيناء) بعد أن أجار من يحمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة الف او يزيدون " .

واعتمد المسعودى فى ذلك على ماورد فى الفقرة ٣٧ من الاصحاح ١٢ من سفر الخروج من التوراة ، فقد جاء فيها أن عدد بني اسرائيل عند خروجهم من مصر كانوا ستمائه الف من الرجال غير الاطفال .

وهذا الرقم تحكم القوانين التى يخضع لها تزايد السكان فى المجتمع الانسانى بعدم امكان صحته ، ويستدل ابن خلدون على عدم صحته على النحو التالى : فالذى بين موسى واسرائيل انما هو اربعة آباء علي ماذكره المحققون ، فان موسى بن عمران ابن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب ، وهو اسرائيل الله هكذا نسبته فى التوراة والمدة بينهما على مانقله المسعودى

قال : " دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفسا ، وكان مقامهم بمصر الى ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التبة (مائتين وعشرين سنة)[1] تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد أن يتشعب النسل فى أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد بحسب القوانين التى يسير عليها التزايد فى النوع الانسانى فلو كان المسعودى على علم بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى ما وقع فى مثل هذا الخطأ .

ويمكن لنا أن نستدل على صحة رفض أبن خلدون لهذا العدد فى ضوء (علم الاحصاء السكانى) الذى تقدم بعد ابن خلدون فنقول : ان مالتس .

وهو من علماء الاقتصاد الانجليز (١٧٦٦ ـ ١٨٤٣) ، ويعتبر من المنشئين لعلم الديموجرافيا أو علم احصاء السكان قد استخلص من دراساته لظاهرة التزايد فى النوع الانسانى فى كتابه : " تزايد السكان " الذى ظهر سنة ١٨٠٣ ان السكان يتزايدون كل خمس وعشرين سنة بنسبة متوالية هندسية (=، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ .. الخ) .. اذا لم يعق تزايدهم أى عائق خارجى ، وبمقتضى هذا القانون يصل عدد بنى اسرائيل رجالا ونساء واطفالا بعد (مائتين وعشرين سنة) الى نحو ستة وثلاثين ألفا (٣٥٨٤٠) على فرض أن تزايدهم لم يعقه فى اثناء اقامتهم بمصر اى عائق خارجى ، وهذا غير مسلم به، لانهم في اثناء اقامتهم بمصر كما ذكر القرآن الكريم ويذكر العهد القديم نفسه ذلك وكما يشير الى ذلك ابن خلدون فى عبارته التى نعلق عليها ـ كانوا يسامون سوء العذاب وكان الفراعنة يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم فأين

(١) المذكور فى التوراة ان مقامهم بمصر كان ٤٣٠ سنة (انظر الفقرة ٤٠ من الاصحاح ١٢ سفر الخروج) ولا غرابة فى أن يكونوا قد قضوا بمصر هذه المدة الطويلة مع ان بين موسى ويعقوب ثلاثة آباء فقط (كما جاء فى التوراة) لان التوراة تذكر ان ابوين من هؤلاء قد عاش كل منهما ١٣٧ سنة ، وان الثالث عاش ١٣٣ سنة .

هذا مما ذكره المسعودى من أن أفراد جيشهم وحده كانوا اكثر من ستمائة الف؟

ومن هذا يظهر ان ابن خلدون كانت لديه فكرة واضحة عن قوانين التزايد السكانى قبل ان يظهر (مالتس) بأكثر من أربعة قرون ، وان كان لم يعن فى مقدمته بتحرير هذه الفكرة ووضعها فى صيغة دقيقة وفى صورة قانون كما فعل مالتس هذا ، واذا ذهبنا الى أن مقام بنى اسرائيل بمصر الى ان خرجوا مع موسى كان ٤٣٠ سنة بحسب رواية سفر الخروج (اصحاح ١٢ آية ٤٠) أمكن أن يبلغ مجموعهم زهاء اربعة ملايين بحسب قانون مالتس(٤٠ ، ٠٤٠ ، ٣,٩٧٥) فيمكن أن يبلغ جيشهم سبعمائة الف ، غير ان الاعتراض على المسعودى ، على الرغم من ذلك لا يزال قائما لانه قد ذكر الرقم السابق مع تقرير ، ان المدة التى انقضت عليهم كانت مائتين وعشرين سنة[1] .

غير أن للمؤرخين العذر فى الوقوع فى مثل هذه الاخطاء وذلك لجهلهم بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى ذلك أنه الى عهد ابن خلدون لم تكن هذه القوانين قد اكتشفت بعد ، لان ظاهرات الاجتماع لم تدرس من قبله دراسة وضعية ترمى الى بيان طبيعتها وما تخضع له من قوانين، وانما درست لاغراض اخرى .

رابعتها : تتمثل في الخرافات والاساطير المستحيلة ، وهذه الطائفة وردت في كثير من روايات القصاص التى هى محض اختلاف ، منها ما نقله المسعودى أيضا عن " تمثال الزرزور الذى برومه تجتمع اليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ، ومنه يتخذون زيتهم " .

---

(١) د . على عبد الواحد ، عبد الرحمن بن خلدون ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٩ - ١٦٢ .

ويعلق ابن خلدون على هذه الرواية بقوله : " وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت ! " [1] ومنها ما نقله البكرى " في بناء المدينة المسماة ذات الأبواب تحيط بأقصر من ثلاثين مرحلة ، وتشتمل على عشرة آلاف باب " فيعلق ابن خلدون على هذه الأخبار فيقول : " والمدن إنما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتى ، وهذه خرجت عن أن يحاط بها ، فلا يكون فيها حصن ولا معتصم " .

ومنها ما نقله المسعودى أيضا في حديثه عن مدينة النحاس ، "وأنها مدينة كل بنائها نحاس بصحراء سجلماسة ، ظفر بها موسى بن نصير في غزوته الى المغرب ، وأنها مغلقة الأبواب وأن الصاعد اليها من أسوارها إذا أشرف على الحائط صفق ورمى نفسه ، فلا يرجع آخر أرضها ، في حديث عادة " قال عنه ابن خلدون أنه من خرافات القصاص ، لأن صحراء سلجلماسة قد عرفها الركاب والأدلاء وجابوها ولم يقفوا بهذه المدينة على خبر [2].ويقول : " إن هذه الأحوال التى ذكروا عنها كلها مستحيل عادة مناف للأمور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها ؛ وأن المعادن غاية الموجود منها أن يصرف في الآنية (وغيرها) وأما تشييد مدينة منها فكما تراه من الإستحالة والبعد " ويقول : " وأمثال ذلك كثير ؛ وتمحيصه إنما بمعرفة طبائع العمران ، وهو أحسن الوجوه ، وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها [3] "

ويذكر ابن خلدون أن تمحيص الأخبار التاريخية : أى نقدها من ناحية المتن ، أى معرفة مدى صحة الخبر في ذاته ومدى مطابقته للواقع ولطبائع الاجتماع الانسانى أو عدم مطابقته ، هذا النوع من التمحيص إنما هو مقدم على التمحيص الذى ينصب

---

[1] المقدمة ص٣٣٠ .

[2] المصدر السابق ص٣٣٠ .

[3] المرجع السابق ، ص٣٣١ .

على تعديل الرواة وجرحهم اى وصفهم بالجرح والعدالة ، وذلك حتى يعلم المؤرخ أن ذلك الخبر ممكن في نفسه أو غير ممكن لأنه إذا كان مستحيلا فلا فائدة في النظـــر في التعديل والتجريح للرواة .

ويقول : " ولقد عد أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلـــول اللفـــظ ، وتأويله بما لا يقبله العقل " أما في حالة الأخبار الشرعية : " فإن تعديـــل الـــرواة وتجريحهم هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجـــب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها ، وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط "

خلاصة النظرية :يذكر ابن خلدون في نهاية عرضه خلاصة نظريته فيقول : " فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والإســتحالة أن ننظـــر في الاجتمـــاع البشرى الذى هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعـــه ومـــا يكون عارضا لا يعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له ، وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنـــا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه ، وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنـــا مـــا نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه ، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى بـــه المؤرخـــون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه "[1]

وترجع الطرائق التى سلكهـا المؤرخون فى دراسة الـظواهر الاجتماعـية قبل ابن خلدون الى ثلاث طرائق :

(١) الوصفية : أحداها : الطريـقة التاريخـية الخالصـة التى يقتـصر اصحابها على وصف هذه الظواهر وبيان ماكانت عليه وما هى عليه ، بدون ان

[1] المرجع السابق ص١٣١ .

يحاولوا استخلاص الظواهر وقوانينها ، وقد سار على هذه الطريقة جميع المؤرخين من قبل ابن خلدون ، فنراهم فى أثناء علاجهم لمسائل التاريخ العام يعرجون من حين لاخر وبحسب المناسبات على نظم السياسة ، والقضاء، والاقتصاد والاسرة ، والتربية ، واللغة وما الى ذلك من ظواهر الاجتماع ، فيصفون ما كانت عليه فى الشعب الذى يدرسون تاريخه ، أو فى الشعوب التى يدرسون ، تاريخها ، وسار على هذه الطريقة ايضا طائفة ممن درسوا تاريخ ظواهر الاجتماع فى صورة مستقلة عن حوادث التاريخ كظواهر السياسة أو القضاء أو الاقتصاد أو التربية أو الدين ، فقد اقتصر هؤلاء ، وذلك كما فعل (ابن حزم) فى دراسته للملل والنحل وكما فعل الفقهاء فى دراستهم للشرائع وكما فعل الباحثون فى تاريخ التشريع او تاريخ القضاء .. وما الى ذلك .

(٢)**الدعوة:** والطريقة الثانية : هى طريقة الدعوة الى المبادىء التى تقررها الظواهر الاجتماعية وتقرها معتقدات الأمة ونظمها وتقاليدها ، ويرتضيها عرفها الخلقى ، وذلك ببيان محاسنها وترغيب الناس فيها وتثبيتها في نفوسهم وحثهم على التمسك بها وتحذيرهم من تعدى حدودها وما يجب أن يسلكوه في تطبيقها وهلم جرا ، وهذه هى الطريقة التى سلكها علماء الدين والخطابة والاخلاق وبعض الباحثين فى شئون السياسة والملك كأبن مسكوية فى كتابة : (تهذيب الاخلاق) والغزالى فى كتابيه : (احياء علوم الدين) و (التبر المسبوك فى نصيحة الملوك) ، وابن قتيبة الدينورى فى كتابه (عيون الاخبار) ، والماوردى فى كتابه : (الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية) ، ونظام الملك فى " سياسة نامة" كتاب السياسة .

(٣)**المثالية:** الطريقة الثالثة : التى سلكها بعض الباحثين من قبل ابن

خلدون فى دراسة الظواهر الاجتماعية هى التى يوجه اصحابها كل عنايتهم الى ما ينبغى ان تكون عليه هذه الظواهر بحسب المبادىء المثالية التى يرتضيها كل منهم ، كما فعل (افلاطون) فى كتابيه (الجمهورية) و(القوانين) وكما فعل أرسطو فى كتابيه : (الأخلاق) و (السياسة) (وكما فعل الفارابى فى كتابه : (آراء أهل المدينة الفاضلة) فقد عمل كل باحث من هؤلاء على بيان ما ينبغى أن يكون عليه المجتمع فى مختلف ظواهره الاجتماعية حتى يكون مجتمعا فاضلا فى نظره ، بحسب مايذهب اليه من آراء فلسفية عن الفضيلة والرذيلة ومقومات الحكم ومختلف شئون الاجتماع .

ويبقى بعد ذلك كله وجه آخر لدراسة الظواهر الاجتماعية لم يعرض له احد من قبل ابن خلدون ، مع أنه أهم هذه الوجوه جميعها وأحقها بالبحث ، وذلك أن تدرس هذه الظواهر لا لمجرد وصفها ولا للدعوة اليها ، ولا لبيان ما ينبغى أن تكون عليه ، ولكن لتحليلها تحليلاً يؤدى الى الكشف عن طبيعتها والأسس التى تقوم عليها والقوانين التى تخضع لها ، أى تدرس كما يدرس العلماء ظواهر ألفلك والطبيعة والكيمياء ووظائف الاعضاء وما الى ذلك من مسائل العلوم .

وهذا الوجه من الدراسة لا يتاح الا لمن ثبت لديه ان الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الاهواء والمصادفات ولا حسب مايراه لها الأفراد وانما تسير فى نشأتها وتطورها ومختلف احوالها حسب قوانين ثابتة مطردة كالقوانين الخاضع لها القمر فى تزايده وتناقصه ، والنهار والليل فى اختلافهما باختلاف الفصول وهذه الحقيقة لم يصل اليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون، بل أن نقيضها كان هو المسيطر على أفكارهم جميعا ، فقد كان المعتقد أن ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين ، وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات

الزعماء والمشرعين ودعاة الاصلاح ، ولذلك لم يكن من الممكن حينئذ أن تدرس الظواهر الاجتماعية على الوجه الذى تدرس به الطبيعيات والرياضات .

ولكن ابن خلدون قد هدته مشاهداته وتأملاته العميقة لشئون الاجتماع الانسانى الى أن الظواهر الاجتماعية لاتشذ عن بقية ظواهر الكون وأنها محكومة فى مختلف نواحيها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التى تحكم ماعداها من مظاهر الكون ، كظواهر اللفك والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات .

ومن ثم رأى أنه من الواجب أن تدرس هذه الظواهر دراسة وضعية كما تدرس ظاهرات العلوم الأخرى للوقوف على طبيعتها وما يحكمها من قوانين ، وعلى هذا البحث وقف دراسته في الكتاب الأول الذى نسميه الآن : (المقدمة)، فمن بحوث ابن خلدون فى المقدمة يتألف اذن علم جديد لم يعرض له أحد من قبل وقد سماه ابن خلدون (علم العمران) وهو ما نسميه الآن (علم الاجتماع) لأن قوامه دراسة الظواهر الإجتماعية وهو علم لم يسبقه احد اليه[1] .

الاسباب التى دعته الى انشاء علم الإجتماع :

كان أهم سبب دعا ابن خلدون الى انشاء هذا العلم الجديد هو حرصه على تخليص البحوث التاريخية من الاخبار الكاذبة ، وعلى انشاء أداة يستطيع بفضلها الباحثون والمؤلفون فى علم التاريخ أن يميزوا بين ما يحتمل الصدق ، وما لا يمكن أن يكون صادقا من الاخبار المتعلقة بظواهر الاجتماع ، فيستبعدوا ما لا يحتمل الصدق استبعادا تاما من أو الأمر ، وتقتصر جهودهم وتحرياتهم التاريخية على القسم الثانى وحدة وهو ما يحتمل الصدق أى ما يمكن وقوعه من شئون الاجتماع الانسانى وحوادثه .

(١) المرجع السابق ، ١٤٩ ـ ١٥١ .

وهذه الفائدة التى يحققها علم الاجتماع وهى : " عصمة المؤرخين من الوقوع فى الأخطاء ، ومن قبول الاخبار التي تحكم طبيعة العمران باستحالة حدوثها ، هى فائدة غير مباشرة وغير ذاتية ، وإن كانت على رأس الاسباب التى دعت ابن خلدون الى انشاء هذا العلم .

أما فائدته المباشرة : أى غرضه الذاتى فيتمثل فى الوقوف على طبيعة الظواهر الاجتماعية وما يحكمها من قوانين ، وكذلك شأن جميع العلوم ، فالغرض الذاتى والمباشر لكل علم هو مجرد الوقوف علي طبيعة طائفة من الظواهر والالمام بقوانينها ، وبجانب هذا الغرض المباشر يحقق كل علم أغراضا أخري غير مباشرة .

علم فلسفة التاريخ :

خلاصة القول أن ابن خلدون أنشأ من حيث لا يدرى (وهو بصدد أنشاء علم الإجتماع) علما جديدا لم يشر إليه ، وأعنى به علم فلسفة التاريخ ، وذلك العلم هو الذى يعنى بدراسة التاريخ دراسة لا تعتمد على مجرد سرد الأحداث التاريخية فحسب ، وانما تعتمد على أعمال الفكر فى الاخبار ومناقشتها ونقدها وتحليلها ورفض ما يتصل منها بتعصب المؤرخ أو الراوى وميوله وميول من ينقل عنهم ورفض ما يتعارض مع القوانين التى تخضع لها ظواهر الطبيعة ، ورفض ما يتعارض مع القوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى .

ولهذا يقول ابن خلدون بعد أن ناقش ما ذكره المؤرخون من أخبار واهية دون تمحيص . " فلا تثقن بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين لصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادى الى

الصواب .(١).

ما يؤخذه على ابن خلدون :

مما يؤسف له أن ابن خلدون لم يأخذ بالمنهج الذي وضعه للكتابة التاريخية عندما كتب كتابه (العبر) وأشار على المؤرخين باتباعه لتمييز الصحيح من الاخبار من كاذبها ، بل نقل روايات ضعيفة لاتثبت أمام النقد الاجتماعي، وليس لها سند موثوق به ، وهذا ما دعى العلامة (روبرت فلينت) المؤرخ الانجليزى الى القول : " اذا نظرنا الى ابن خلدون كمؤرخ وجدنا من يتفوق عليه من كتاب العرب أنفسهم وأما كواضع لنظريات فى التاريخ فانه منقطع النظير فى كل زمان ومكان(٢) .

ولكن ذلك لايقلل أبدا من قيمته ولا من قيمة ما أتى به من أفكار فلسفية جديدة ، فابن خلدون شيخ المؤرخين دون جدال ، واذا لم يكن قد طبق المنهج والافكار الفلسفية التى نادى بها حين عرض هو لكتابة التاريخ ، فان ذلك المنهج وتلك الافكار التى استحدثها قد وجدت سبيلها الى كتابات اللاحقين له من المؤرخين .

وهكذا يتضح لنا من العرض السالف أن ابن خلدون يعتبر أهم مؤرخ للحضارة الاسلامية من المؤرخين المسلمين القدماء . فبينما نرى أن غيره من المؤرخين المسلمين اتجه الى مجرد سرد الاحداث التاريخية والتاريخ للشخصيات ، ولم يعن بدراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية اذا بابن خلدون يعد فى مقدمته المشهورة فصولا طويلة للكلام عن نظم الحكم والسياسة فى العالم الاسلامى ، ويبحث ما عرفه المسلمون من مهن وصنائع

(١) المقدمة ، تحقيق د . على عبد الواحد ، ص ٢٩٩ .

(٢) د . على عبد الواحد ، عبد الرحمن بن خلدون ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٧

ونظم اقتصادية وعلوم وفنون ، وعلى الجملة فانه يجعل المجتمع وتكوينه ونظمه وتطورها موضوعا لدراسة المؤرخ كأنه يشير الى العلوم التى يجب على المؤرخ أن يتسلح بها قبل دراسة التاريخ لكى تأتى احكامه مضبوطة وغير متعارضة مع القوانين التي تخضع لها هذه النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

أشارته الى المفهوم القديم :

ولذلك يشير ابن خلدون فى مقدمته الي المفهوم القديم عن التاريخ فى رأى السابقين فيقول : " فى ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الأولى تنمو فيها الاقوال وتضرب فيها الامثال ، وتطوف بها الأندية اذا غضها الاحتفال واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الأرتجال وحان منهم الزوال ... " .

مفهوم ابن خلدون :

أما فى رأى ابن خلدون فان لعلم التاريخ باطنا .. فيقول عن مفهومه لذلك الباطن : " وفى باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومباءنها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق وجدير بأن يعد فى علومها وخليق " ...

ويشير ابن خلدون الى ما حدث للروايات التاريخية من الخلط والدس فيقول : " وأن فحول المؤرخين فى الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس الباطل ، وهموا فيها أو أبتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها

الينا كما سمعوها ، ولم يلاحظو أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها ......

فالتحقيق قليل وطرف التنقيح فى الغالب كليل والتقليد عريق فى الآدميين وسليل ، والتطفل على الفنون عريض وطويل، ومرعى الجهل بين الانام وخيم وبيل ، والحق لا يقام سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو يملى وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل "(١) .

" ثم لم يأت من بعد هؤلاء الا مقلد ، وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسخ على ذلك المنوال ، ويحتذى منه بالمثال " .

" ولما طالعت كتب القوم وسيرت غور الامس واليوم نبهت عين القريحة عن سنة الغفلة والنوم ، وسميت التصنيف من نفسى ـ وأنا المفلس ـ أحسن اليوم ، فأنشأت في التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الاجيال حجابا ، وفصلته فى الاخبار والاعجاز باباً باباً وأبديت فيه لأولوية الدول والعمران عللا وأسباباً " .

وبعد : فهذا هو منهج ابن خلدون الذى وضعه منذ ستة قرون ، وكان رائدا فى هذا الميدان ، فلا عجب اذا قال المؤرخ الانجليزى أرنولد توينبى عن مقدمته : " انها أعظم عمل من نوعه أمكن أن يبتكره عقل من العقول فى أى عصر من العصور فى أى رجا من أرجاء الأرض "(٢).

ولم يلبث التاريخ بعد ابن خلدون أن نظر اليه على أنه يمكن أن يكون علما مستقلا فيكون هو نفسه محلا للبحث والدراسة ، فوضع فى ذلك

---

(١) المقدمة ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) أرجاء جمع رجا .... المعجم الوسيط مادة (رجا) ..

السخاوى (٩٠٢هـ) ، كتابه المشهور : " الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ "...
وفى مقدمة تلاميذ ابن خلدون يأتى أحمد بن على المقريزى الذى ولد بالقاهرة بحارة برجوان المتفرعة من شارع المعز لدين الله الفاطمى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢م) والذى كتب كتابا مهما فى الخطط المصرية .

اعادة دراسة التاريخ الاسلامى

إن من بين الأشياء التى شكلت خطراً على الثقافة الإسلامية فى العصر الحديث هى أن العالم الإسلامى بعد أن بدأ يصحوا وينهض بعد فترة طويلة من التأخر والخمول . وجد زاداً من الثقافة المستوردة صاغها المستشرقون عن تاريخ الإسلام وأوضاعه السياسية بأقلام حاقدة على الإسلام أظهرت الإسلام بصورة تختلف عن حقيقته وأبرزت عيوب التجربة الإسلامية وأولت مزايا التراث الإسلامى وأبرزتها فى ثوب المساوىء .

وخرجت طليعة المثقفين المسلمين فى عصر النهضة الحديث لتقرأ هذا الإنتاج العلمى فى كتب يسرت لهم ترجماتها وفى حيز ضيق من المجلدات فعرفت الإسلام وتاريخه من وجهة نظر المستشرقين دون الرجوع الى مصادر الإسلام الأصلية .

وخطورة هذه المؤلفات أنها ركزت على جانب واحد وهو الجانب السياسى بعد عصر الخلفاء الراشدين ، وهو أسوأ ما فى التاريخ الإسلامى ، وهذا ظلم للتاريخ الإسلامى فهناك التاريخ العلمى والتاريخ الإقتصادى والتاريخ الإجتماعى والثقافى فدراسة هذه النواحى كلها مجتمعة تنهض بتجلية الفكرة عن التاريخ الإسلامى ودور المسلمين فى تاريخ الحضارة الإنسانية لما فى الحياة الإنسانية من وحدة .

ونحن لا نكر خطر الإنحراف بل نثبته لكى نستفيد به وندرسه للعبرة ، إتساقا مع قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ [النساء / ١٣٥] .

وقوله : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونو قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾** [المائده / ٨] ثم نركز على النقاط البيضاء لكى تعتبر أجيالنا بها ويعرفوا اسلامهم .

وإن قضية إعادة دراسة التاريخ الاسلامى لها وجهان :

أولهما : مقبول وهو تنقية الروايات التاريخية وتمحيصها للوصول إلى الحقائق بعيداً عن تعصب الرواة وتزيدهم .

ثانيهما : غير مقبول وهو الذى يطرحه الغرب بقصد تفسير الحقائق والوقائع على حسب هوى المؤرخ تفسيراً مادياً بحتاً بعيداً عن القواعد الإسلامية والروح الإسلامية التى يفتقدها المؤرخ الغربى أو من لف لفه وسار على منواله .

وإعادة كتابة التاريخ الإسلامى على هذا النمط تنطوى على خطورة قد رأينا نتائجها فى الكتابات الغربية المطروحة فى دائرة المعارف الإسلامية وغيرها .

الكتابات المتداولة :

والكتابات التاريخية الإسلامية المتداولة على نوعين :

أ - ما هو مدون فى كتب التاريخ الإسلامى التقليدية الموروثة .

ب – ماهو مدون فى كتب المحدثين سواء كانوا مستشرقين أو مسلمين من نقلوا بالنص والفكرة من كتب المستشرقين .

وكلا النوعين لا ينهض بتجليه الفكرة عن التاريخ الإسلامى والكشف عن دور المسلمين الحضارى فى تاريخ الحضارة الإنسانية ، وعلى الأخص النوع الثانى .

ومن ثم فمن الضرورى إعادة دراسة التاريخ الإسلامى من جديد بشرط عدم سيطرة النظريات التى طرحها المستشرقون والكتاب الغربيين عن التاريخ الإسلامى فى كتبهم .

ولنأخذ مثلا لهذا التناول الناقص من كتابات بعض الكتاب الغربيين عن الإسلام وعن نبيه عليه الصلاة والسلام فى ما كتبه الكاتب الامريكى " ول ديورانت" صاحب كتاب قصة الحضارة الذى ترجم الى العربية بمعرفة جامعة الدول العربية بتوجيه من السفارة الأمريكية بالقاهرة فى ثوب هيئة اليونسكو ونفذتها بيد طه حسين الذى كان يرأس اللجنة الثقافية فى جامعة الدول العربية، وعمم هذا الكتاب فى مكتبات العالم العربى كله بلا إستثناء .

يقول ولد يورانت فى كتابه هذا عن شخص سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (ج ١٣) :

« كان النبى ينشئ حكومة مدنية فى المدينة واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءا متزايدا من وقته للمشاكل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعى والأخلاقى والعلاقات السياسية بين القبائل[١] ولشئون الحرب ، لأنه لم يكن ثمه حد فاصل بين الشئون الدينية والدنيوية بل اجتمعت هذه الشئون كلها فى

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ، ج ١٣ ، ص ٣٣ .

يد الزعيم الدينى »

ويقول : « وحتى شئون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض فى بعض الأحيان كأنها موصى بها من عند الله وكان إضطراره الى تكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشئون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية ، ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحيه القليلة جعل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة[1] »

فانت تلاحظ أن ول ديورانت يتحدث عن الرسول (ص) حديثه عن أى مصلح سياسى تصدر اصلاحاته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه ، ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغرارهم ، حين يرون الكاتب ، وهو غير مسلم يبدى ميلا مصطنعا إلى أنصاف نبى لا يدين بدينه ، فهذا الكلام المشبع فى ظاهرة بروح المودة يخدع كثيرا من القراء المسلمين فيتقبلونه بقبول حسن وينتهى بهم ذلك الى اعتبار نبيهم واحد من الزعماء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب فى العصور القديمة والوسطى فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لان الشخص لا يكون مسلما حتى يعتقد اعتقادا خالصا بأن نبوة سيدنا محمد كانت بوحى يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله .

ومع هذه الروح الظاهرة فى إظهار النبى كمصلح يقرر محمد بدران مترجم هذا الجزء فى مقدمته بأن المؤلف قد انصف الحضارة الاسلامية فشاد بفضلها .

ويتحدث عن هجرة الرسول وغزواته بروح حاقدة فيقول « وهاجرت الى

(١) المرجع السابق ج ١٣ ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفى أهلها من الطعام . وحل محمد المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالاغارة على القوافل المارة بالمدينة(١) » وتجنب الكاتب مسألة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وهى من القيم الاسلامية التى كانت عاملا أساسيا لتلاحم المهاجرين والانصار وحل به الرسول مشكلة المهاجرين .

ويقول فى دوافع الفتوح الاسلامية :

« واجتمعت أسباب عدة عملت كلها على اتساع ملك العرب فمن الأسباب الاقتصادية ... ادى انهيار نظم الرى فى جزيرة العرب إلى ضعف غلات الأرض الزراعية فحافت بالسكان المتزايدين أشد الأخطار ، فقد تكون الحاجة إلى أرض صالحة للزراعة والرعى من العوامل التى دفعت جيوش المسلمين إلى الفتح والغزو(٢) »

فهو بذلك يفسر دوافع الفتح النبيلة الى أغراض مادية ، ويظهر هؤلاء المجاهدين الأولين لنشر دين الله ودعوة رسوله فى ثوب الباحثين عن موارد جديدة للرزق بعد أن إزداد السكان وشحت عليهم الأرض بسبب انهيار نظم الرى .

وهذا هو التفسير المادى للتاريخ . وهو بذلك يتجنب القيم الاسلامية وفى مقدمتها قيمة التأخى بين المهاجرين والأنصار الذى حل به الرسول مشكلة المهاجرين .

ويقصد المؤرخ بانهيار نظم الرى فى الجزيرة العربية الاشارة الى انهيار

---

(١) السابق ص ٣٤ .

(٢) السابق ص ٧١ ـ ٧٢ .

سد مأرب الذى يحدده المؤرخون أنه وقع فى سنة ١١٥[١] قبل الميلاد فيكون بين انهيار سد مأرب وبداية الفتوح حوالى ٧٥٠ سنة كانت القبائل الأزدية التى خرجت من اليمن قد استقرت بعضها بالحجاز وبعضها فى شمال جزيرة العرب وبعضها فى شرقى الجزيرة وبعضها فى وسطها وحلت مشكلتها الاقتصادية قبل الفتوح بحوالى ٧٥٠ سنة .

فكيف يقال بأن (انهيار نظم الرى يعنى انهيار سد مأرب) كان من أسباب الفتوح إنه خلط متعمد واستغلال لجهل القراء . هذا نموذج لتزييف التاريخ الاسلامى فى صدر الاسلام .

ونعطى نموذجا آخر فى القرن العاشر الهجرى وهو من الفترات المهجورة فى دراستنا للتاريخ الاسلامى وتركنا المجال فيها للمستشرقين وكتاب الغرب الذين يقولون بأن هجمة الغرب علينا فى مطلع هذا القرن كانت "كشوف جغرافية" من أجل الأخذ بيد الشرق المتخلف ودرست هذه الفترة في كتب الجغرافيا على يد الشرق المتخلف ودرست هذه الفترة فى كتب الجغرافيا على هذا الأساس ودرست فى عصر النهضة الأوربى على هذا الأساس غير أن المدقق يجد أن هذه كانت حملات صليبية جديدة على الشرق الاسلامى كانت طليعتها الحملات البرتغالية التى قادها فاسكودا جاما والبوكيرك وغيره من المتعصبين لنشر المسيحية والقضاء على الاسلام .

اقلاع المؤرخين عن تسجيل يومياتهم وأثره :

فى الماضى كان المؤرخون المسلون يسجلون الأحداث التاريخية على هيئة يوميات أو حوليات نعتمد عليها الآن فى اعادة دراسة التاريخ الاسلامى

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى والدنى والثقافى والاجتماعى ج ١ ص ٢٤ .

وتمدنا بفيض من المعلومات تسجل الأحداث والحياة اليومية فى كثير من أقطار الاسلام.

وقد اختفت هذه اليوميات والحوليات هذه الأيام وحلت محلها الصحافه اليومية والاسبوعية التى تعتمد على وكالات الأنباء العالمية ، وهذا يشكل خطورة على التاريخ الاسلامى الحديث والمعاصر .

لأن وكالات الأنباء العالمية تسيطر عليها الصهيونية العالمية .

وهى خمس وكالات رئيسية :

١. أسو شيتد برس الأمريكية .

٢. يونيتد برس انترناشيونال الأمريكية .

٣. رويتر البريطانية .

٤. أجنس فرانس برس الفرنسية .

٥. تاس السوفياتية (إيتار تاس حاليا) .

فالوكالات الأمريكية والانجليزية فى الأساس صهيونية والفرنسية والروسية تحت سلطان اليهود وهؤلاء يقومون بتزييف أخبار العالم الاسلامى.

وكذلك اجتمع الغرب المسيحى فى موجة الغزو الفكرى في العالم الاسلامى على كتابة تاريخ المسلمين فى دائرة معارف تسمى دائرة المعارف الاسلامية .

وقال المستشرقون فى هذه الدائرة ما قالوه عن تاريخ المسلمين فى مواد سيئة يسهل الرجوع اليها لدى المشغولين فى زماننا هذا ، ووضعوا السم فى العسل .

خطورة إيقاف التاريخ الاسلامى حتى العصر العباسى :

لما كنا قد وقفنا بتاريخ الاسلام حتى سقوط بغداد أمام الزحف المغولى وندر أن نوجه الباحثين الى ما بعد ذلك من موضوعات فى القرون السبعة الباقية من التاريخ الاسلامى الممتدة الى يومنا هذا .

فقد ترك المجال فى هذه الفترات للمستشرقين لدرجة أن الباحثين فى شتى مجالات المعرفة الاسلامية ليس أمامهم إذا أرادوا الحديث عن العصور اللاحقة سوى النقل من كتب المستشرقين ، فها هو مقدم كتاب ابن تيمية :

« موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول »

ينقل عن "بروكلمان" فى كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية » وينقل أيضا عن "جولد زيهر" فى كتابه : « العقيدة والشريعة » لأنه يريد أن يتحدث عن عصر ابن تيميه ، وهو معذور لأننا هجرنا هذه الفترات التاريخيه ، وندر أن نتعرض لها فى مناهج الجامعات أو فى توجيه الباحثين فى موضوعات الماجستير والدكتوراه .

لابد من اعادة دراسة التاريخ بعد انقشاع الاستعمار :

وأمتنا الاسلامية أتى عليها حين من الدهر نسيت تاريخها لأنها كانت تغط فى نوم عميق ، فوقعت فى أخطاء سبق لها أن وقعت فيها ، وسيطر عليها الاستعمار بحقده وكراهيته للمسلمين واستلمت له عدة قرون وعندما حاولت النهضة أراد الاستعمار أن تكون النهضة غربية لحسابه ولمصلحته ، وبدأت هذه النهضة فى بعض البلدان الاسلامية بإشراف الغرب ، حتى إعادة دراسة التاريخ كانت بإشراف وتفسيرات المستشرقين الذين لا يخفون حقدهم على الاسلام .

ولما كان التاريخ هو ذاكرة الشعوب فإن مهمة المؤرخ اعادة الذاكرة لأمتنا ، ولنا فى ذلك أسوة حسنة فى أسلافنا بعد موجة الزحف المغولى والغزو الصليبى فإنهم قاموا بإعادة النظر فى التاريخ الاسلامى ودراسته لأخذ الدروس المستفادة منه .

كان العالم الاسلامى قد أفزعته أشباح الطمع الصليبى والمغولى فى أراضيه ، وأفزعته موجة التزييف العقائدى التى قام بها الروافض الذين تعاونوا مع المغول ، وشاهد "ابن تيمية" آثار هذا التدمير والتزييف فهب لإعادة دراسة وكتابة تاريخ العقيدة الاسلامية ونبذ التزييف الذى أدخلة الروافض فى ظل أعداء الاسلام ، وكان "ابن تيمية" دائرة معارف فى العلوم الاسلامية ومنها التاريخ الاسلامى .

وكان أحد علماء الشيعة الأثنى عشريه وهو : الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلى (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) المشهور عند الشيعه بالعلاقة قد كتب كتابه « منهاج الكرامة فى معرفة الامامة » وقدمه الى ملك التتار (أو ليجاخدا بند محمد خان) الذى كان قد تشيع بفضل جهود ابن المطهر المعتزلى[(١)] ومحور كتاب منهاج الكرامة يدور حول أهم أصول الشيعة وهو موضوع الامامة وتعرض للكلام عن عقائد الشيعة بصفة عامه .

وقد تصدى ابن تيميه له بكتاب سماه : « منهاج السنة فى نقض كلام الشيعة والقدرية » دافع فيه دفاعا قويا عن السنة وعقائد أهل السنة وعن الخلفاء الراشدين والصحابه رضوان الله عليهم ، واضعا بذلك منهاجه السديد لدراسة السنة وعصر الراشدين والأمويين ، وهذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية ،

---

(١) راجع د . مصطفى طه بدر ، مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، ص ٣٣ و د. محمد رشاد سالم ، مقدمة منهاج السنة ص ٨٨ .

ومع ذلك لا يرجع اليه المؤرخون ظنا منهم أنه كتاب فى العقيدة فقط .

وكان الروافض والمسيحيون قد تعاونوا مع المغول والصليبيين فى بلاد الشام وعاد الشيعة إلى مواكبهم القديمة وأظهروا عقيدتهم لأهل السنة وكان أحد علماء الشيعة وهو **نصير الدين الطوسى** (٦٧٢ هـ) مرافقا لهولاكو فى حملته على العراق ولم يتورع الشيعة عن نهب بغداد[١] ووجدوها فرصه لتصفية الحساب بينهم وبين أهل السنة ، وأصبح الطوسى وزيرا لهولاكو بعد دخوله بغداد[٢] .

وكانت هذه هى الظروف التى دعت ابن تيمية لإعادة دراسة تاريخ العقيدة الاسلامية ونبذ التزييف الذى أدخلة الروافض فى ظل أعداء الاسلام .

وهناك عالم آخر أتى من المغرب وهو ابن خلدون واستقر فى مصر بعد أن وجدت الخلافة العباسية لنفسها ملجأ بها بعد سقوطها فى بغداد ، وشاهد ابن خلدون مدن الأندلس تتهاوى الواحدة تلو الأخرى فى أيدى الصليبيين ، وشاهد فى رحلته شرقا آثار تدمير الصليبيين والمغول واتضحت أمامه صروف الزمن وعبر التاريخ بعد تلك الاحداث الجسام والخطوب العظام فنحى فى كتابه منحا جديدا تعرف فيه على علل الحوادث وأسباب قيام الدول وعوامل سقوطها ومظاهر العمران وأصول الاجتماع الانسانى ونحو ذلك مما يجعله أول من فكر فى إعادة دراسة التاريخ الاسلامى .

وكانت الكتابة التاريخية قبله مجرد سرد للأحداث وندر أن يتدخل المؤرخون فيما يروى بالنقد والتعليل واستخلاص الأسباب والنتائج للأحداث.

(١) بارتولد ، العالم الاسلامى فى العصر المغولى ، ص ٦٥ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ص ٢٦٧ ، والمقريزى ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ من كتاب السلوك .

فرأى ابن خلدون ضرورة مناقشة الروايات التاريخية ونقدها ورد الأخبار الواهية منها ، وكتب تمهيدا لذلك سماه : « المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالمام بمغالط المؤرخين »

وأشار إلى أخطاء المؤرخين قبله نلخصها فى ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى:

- تتعلق بشخص المؤرخ وميوله وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم كالتشيعات للأحزاب والمذاهب مما يشكل غطاء على عين بصيرة المؤرخ يعميه عن النقد والتمحيص .

الطائفة الثانية:

- الجهل بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الطبيعة كالفلك والطبيعة والكيمياء والحيزان والبنات وما شابه ذلك .

الطائفة الثالثة:

- الجهل بالقوانين التى تخضع لها ظواهر الاجتماع الانسانى وذلك مثل ما نقل المسعودى وغيره من المؤرخين عن جيوش بنى اسرائيل عند خروجهم مع موسى من مصر وأن موسى عليه السلام أحصاهم فى التيه فكانوا ستمائة ألف من الرجال غير النساء والأطفال .

إنشاء أداة لعصمة المؤرخ:

ولما كان ابن خلدون حريصا على تخليص الكتب التاريخية من الأخبار الكاذبة وعلى عصمة المؤرخين فى المستقبل من الوقوع فى الخطأ .

عمل على انشاء أداة يستطيع بفضلها المؤرخون فى علم التاريخ أن

يميزوا بين ما يحتمل الصدق ومالا يمكن أن يكون صادقا من الأخبار المتعلقة بظواهر الاجتماع الانسانى ، فقام بإنشاء دراسة جديدة لظواهر الاجتماع هدفه منها الكشف عن القوانين التى تخضع لها هذه الظواهر وذلك لعصمة المؤرخين من الوقوع فى الأخطاء التى تحكم قوانين الاجتماع باستحالة حدوثها .

وهذا النوع من النقد وأعنى به نقد الخبر فى ذاته سابق على تعديل الرواة ، ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر فى ذاته ممكن أم لا ، وأما إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر فى التعديل والتجريح .

أما فى مجال الأخبار الشرعية « فإن تعديل الرواة وتجريحهم هو المعتبر فى صحة الأخبار الشرعية لان معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها ، وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط »[1] .

القاعدة:

« فالقانون فى تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالامكان والاستحالة أن تنظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ، وتميز ما يلحقه من الأصول لذاته وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتد به ومالا يمكن أن يعرض له ، وإذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه ، وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة فى العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه ، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق

(١) المقدمة ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

الصدق والصواب فيما ينقلونه[1] »

ولما كان الاستعمار قد سيطر على العالم الاسلامى واستسلمت له عدة قرون فكان لابد لنا من اعادة دراسة تاريخنا لأخذ العبرة من الماضى وترشيد الحاضر وإنارة الطريق الى المستقبل ، وإماطة التزييف الذى لحق بالكتابات التى أشرف عليها الغرب .

(١) المقدمة ، ص ٣٣١ .

جاءت فكره هذه الندوة[1] بسبب ملاحظتنا على طلاب الماجستير والدكتوراه أنه يغلب عليهم فى تقديمهم لرسائلهم الأسلوب الدفاعى عن الدراسات التاريخية ومكانتها بين آداب اللغة العربية ، وأهميتها فى مجال الفكر الإسلامى ، وسبب هذا نظرة بعض المتخصصين إلى الدراسات التاريخية ووصفهم لها بعد الأهمية . يحدث هذا على الرغم من ارتقاء علم التاريخ لدى جميع الشعوب لدرجة أنه غدا يمثل ذاكره الشعوب التى يحفظ تجارب الماضى ويقوم بترشيد الحاضر وينير الطريق إلى المستقبل .

ولهذا أصبح علماء التاريخ فى زماننا هذا فى الدول المتقدمة يعينون خبراء ومستشارين فى وزارات الخارجية لدولهم يبصرون الساسة بتاريخ الشعوب التى يتعاملون معها وطبائعها لكى لا يخطىء السياسى فى فهم أى شعب تتعامل معه دولته فى زمن السلم والحرب .

بينما شعوبنا العربية والإسلامية ما زالت تنظر الى الدراسات التاريخية بعدم الأهمية .

ومما يؤسف له أن هذه النظرة الى الدراسات التاريخية لم تتغير منذ مطلع العصر العباسى فعلى الرغم من ارتقاء الكتابة التاريخية فى هذا العصر وفوائدها إلا أن الاخبارى أى المؤرخ ظل عند جمهور ذلك الزمان أقل مرتبة من الفقية والمحدث وذلك لأن الفقية والمحدث أشرف موضوعا من الإخبارى.

---

(١) هذا البحث ثم القاؤه فى ندوة عقدت بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى العام الدراسى ٨٩ / ١٩٩٠ وكان عنوان الندوة : « أثر الدراسات التاريخية فى العلوم الإسلامية »

ولقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يضعفون المحدث إذا مال الى الأخبار فقد ضعفوا محمد بن اسحق وكان أصلا راوية للحديث ولم يستحسنوا للفقية المختص باستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة أن يتوفر على طلب الأخبار .

فقد روى ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان [١] أن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة وتلميذه كان يحفظ المغازى وأيام العرب ، وأنه كان يختلف الى حلقة محمد بن اسحاق ، وكثيرا ما كان يمضى ليستمع المغازى من ابن اسحق ويتأخر عن مجلس أبى حنيفة فلما أتاه متأخرا يوما أراد الشيخ أن يضع حدا لهذه الهواية فبدأ يسخر من المعلومات التاريخية التى يحصلها أبو يوسف من شيخة ابن اسحق فقال له أمام زملائه :

يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ (يريد الاستهزاء به) فقال له أبو يوسف : إنك امام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والى على رؤوس الملأ : أيما كان أولا "وقعة بدر" أو "أحد" فإنك لا تدرى أيهما كان قبل الآخر وهى أهون مسائل التاريخ فأمسك عنه[٢] .

ولقد كانت تلمذة أبى يوسف على ابن اسحق خيرا وبركة عليه أفادته فى مجال الفقه فقوت فيه الملكة التاريخية وتتبع الظاهرة عصرا بعد عصر ، وكان من ثمرة هذا أن أخرج لنا أبو يوسف « كتاب الخراج » الذى هو أعظم كتاب فى التاريخ الاقتصادى حتى عصره تظهر فيه تتبع الظاهرة الاقتصادية تتبعا تاريخيا ، وهو مصدر لمؤرخى التاريخ الاقتصادى وللفقهاء أيضا وغيرهم .

ولولا تمرس أبى يوسف ومعرفته بالتاريخ على يد استاذه ابن اسحاق ما

---

(١) والسخاوى فى كتابه الاعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ ، ص ٨٠ .
(٢) السخاوى ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

صاغ هذا الكتاب هذه الصياغة التاريخية. المفيدة والسهلة .

وأراد الفقهاء الطعن فى فقه أبى يوسف وقالوا بأنه يحفظ المغازى وأيام العرب وأقل علومه الفقه ، وكان شيخه أبو حنيفه يعرف قدره ومكانته الفقهيه فتدخل لوضع الأمور فى نصابها ، فيروى الخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد أن أبا حنيفه جلس يوما فى حلقته وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر (زفر بن الهذيل بن قيس العنبرى ت ١٥٨ هـ) وهما يتجادلان فى مسألة ، فلا يقول أبو يوسف قولا إلا أفسده زفر ، ولا يقول زفر قولا إلا أفسده أبو يوسف إلى وقت الظهر ، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها على فخذ زفر وقال له : لا تطمع فى رياسة ببلده فيها أبو يوسف وقضى لأبى يوسف على زفر(١) وانحسم النزاع بين أقوى تلاميذ أبى حنيفه .

وروى البغدادى أيضا أن أبا حنيفة قال يوما : أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلا منهم ٢٨ يصلحون للقضاء ، ومنهم ستة يصلحون للفتوى ، ومنهم إثنان يصلحان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى وأشار إلى أبى يوسف وزفر(٢) .

وصحت فراسة أبى حنيفة فقد تولى أبو يوسف منصب قاضى القضاة لثلاثة من الخلفاء فى بغداد المهدى والهادى وهارون الرشيد على التوالى ، وهو أول من دعى بقاضى القضاه ، وهو منصب شبيه بوزير العدل فى زماننا هذا .

وروى الخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٢٤٤) أن أبا يوسف قال كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاء أبى

(١) تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ وفيات الأعيان ج ٦ ، ص ٣٨٣ .
(٢) تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

يوما وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه ، فقال يا بنى لا تمد رجلك مع أبى حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزة مشوى وأنت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبى ، فتفقدنى أبو حنيفة وسأل عنى ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى : ما شغلك عنا ؟ قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدى . فجلست فلما انصرف الناس دفع الى بصرة وقال : استمتع بها فنظرت فإذا فيها مائة درهم فقال لى : الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمنى ، فلزمت الحلقة ، فلما مضيت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدنى ، وما أعلمته بخله قط ولا أخبرته بنفاد شيئ ، وكأنه كان يخبر بنفادها ، حتى استغنيت وتمولت .

وحكى الخطيب فى رواية أخرى أن والد أبى يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا ، وأن أمه هى التى أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ، ثم روى الخطيب بإسناد يتصل إلى على بن الجعد قال : أخبرنى أبو يوسف القاضى قال : توفى أبى وخلفنى صغيرا فى حجر أمى فأسلمتنى إلى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبى حنيفة فأجلس أستمع ، فكانت أمى تجئ خلفى إلى الحلقة فتأخذ بيدى فتذهب بى الى القصار ، وكان أبو حنيفة يعنى بى لما يرى من حضورى وحرصى على التعلم ، فلما كثر ذلك على أمى وطال عليها هربى قالت لأبى حنيفة ما لهذا الصبى فساد غيرك ، هذا صبى يتيم لا شيئ له وإنما أطعمه من مغزلى ، وآمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه ، فقال لها أبو حنيفة : « مرى يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق » فانصرفت عنه وقالت له أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ثم لزمته فنفعنى الله تعالى بالعلم رفعنى حتى تقلدت القضاء ، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته ، فلما كان فى بعض الأيام قدم الى هارون الرشيد فالوذجة فقال لى : يا يعقوب كل منها فليس فى كل يوم

يعمل لنا مثلها فقلت : وما هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال مما ضحكت فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين ، قال : لتخبرنى وألح على فأخبرته بالقصه فعجب من ذلك وقال لعمرى إن العلم لينفع دنيا ودينا ، وترحم على أبى حنيفة وقال : كان ينظربعين عقله مالا يراه بعين رأسه[1].

تاج الدين أبو النصر (الفقيه)

عبد الوهاب بن على تقى الدين السبكى

٧٢٧ . ٧٧١ هـ

كان والده عالما من علماء الأزهر وعين قاضيا لقضاة الشام وهو تقى الدين على السبكى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ وحين تولى والده منصب قاضى قضاه الشام رحل معه إلى دمشق فقدمها سنة ٧٣٩ هـ وفى دمشق سمع من علمائها ويهمنا منهم فى هذا المجال الذهبى المؤرخ (ت ٧٤٨ هـ) الذى قال عنه فى كتابه طبقات الشافعية :

« وكنت أنا كثير الملازمة للذهبى أمضى إليه فى كل يوم مرتين بكرة والعصر ، وأما المزى (يعنى △ المحدث) فما كنت أمضى إليه غير مرتين فى الأسبوع ، كان سبب ذلك أن الذهبى كان كثير الملاطفة والمحبة فىَّ بحيث يعرف من عرف حالى معه أنه لم يكن يحب أحداً كمحبته لى وكنت أنا شابا فيقع ذلك منى موقعا عظيما ، وأما المزى فكان رجلا عبوسا مهيبا ، وكان

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٧٩ .

(١) مقدمة تحقيق طبقات الشافعية ص ٤ ـ ٨ .

△ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزى المحدث (ت ٧٤٢ هـ) محدث الديارا الشامية صاحب : تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، يقع فى ١٢ مجلدا .

الوالد يحب أن ألازم المزى أكثر من ملازمة الذهبى لعظمة المزى عنده ، وكنت إذا جئت غالبا من عند الشيخ يقول : هات ما استفدت ما قرأت ما سمعت ؟ فأحكى له مجلسى معه ، وكنت إذا جئت من عند الذهبى يقول : جئت من عند شيخك ، وأما إذا جئت من عند المزى فيقول جئت من عند الشيخ ويفصح بلفظ الشيخ ويرفع بها صوته ليثبت فى قلبى عظمته ويحثنى على ملازمته يقول عنه فى الطبقات :

شيخنا تخرجنا عليه فى هذه الصناعة (يعنى العلم بالرجال)

وكانت هذه التلمذة من السبكى على الذهبى نافعة جدا في مجال الفقه والتاريخ فقد أوجدت لديه ملكة ملاحظة أحوال الأمة الاسلامية فى عصرة ، ودرس الظواهر الاجتماعية ، ونقد طوائف الناس وأوضح أخطاءهم ورسم السبيل إلى اصلاحهم فى كتابه العظيم « **معيد النعم ومبيد النقم** » .

واستطاع عبد الوهاب السبكى أن يعالج مشكلات الأمة الاسلامية فى هذا الكتاب فى أثنى عشر ومائة مسألة بادئا بالسلطان والمناصب السلطانية والعسكرية متدرجا الى كل الوظائف العامة حتى يصل الى الفلاح فى حقله وارضه ويقرر فى صراحة ندر أن نجدها فى عصره « أن الفلاح حر لا يد لآدمى عليه[1] » وكان ذلك سببا فى اضطهاد السلطان له فى عصره .

وقال ابن كثير المؤرخ فى ذلك : « جرى عليه من المحن والشدائد مالم يجر على قاضى قبله ، وعندما تعرض لاضطهاد بعض فقهاء المالكية والحنابلة وقف معه الحافظ بن كثير وشهد له أنه ما رأى فيه إلا خيرا[2] .

---

(١) مقدمة تحقيق الطبقات ص ١٠ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، طبعة الريان ، ج ١٤ ص ٣٣١ .

واهتم بمعرفة الحوادث التاريخية وسير الرجال ودفعه هذا الى الاحاطة بالتاريخ الاسلامى وتاريخ العلماء والاستفادة من تجاربهم فكتب فى ذلك كتابه الضخم طبقات الشافعية فأرخ لعلماء هذا المذهب حتى عصره .

ورغم محبته لشيخه الذهبى وإعزازه له فقد أخذ عليه أمورا فى تاريخه ، يقول فى ترجمة أحمد بن صالح المصرى « وأما تاريخ شيخنا الذهبى - غفر الله له - فإنه على حسنه مشحون بالتعصب المفرط » فقد أخذ عليه الاستطالة على كثير من أئمة الشافعية والحنفية ، ومدح فزاد فى الحنابله[1] . « هذا وهو الحافظ المدره والامام المبجل ، فما ظنك بعوام المؤرخين »

ومن أسباب محنه التاج السبكى عداوة البيت السبكى لابن تيمية ، ولابن تيمية أنصار كثيرون بالشام فأجمعوا أمرهم على الكيد له وتربصوا به فكان الذى قضىٰ بسجنه فى قلعة دمشق ابن قاضى الجبل قاضى قضاة الحنابلة فكان من تلاميذ ابن تيمية .

ولكنه عاد الى القضاء مرة أخرى وعفا عمن تعصب ضده ، وفى هذا يقول الحافظ بن حجر فى كتابه : الدرر الكامنه :

« وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة مرة بعد مرة وهو مع ذلك فى غاية الثبات ، ولما عاد إلى منصبه صفح عن كل من أساء إليه[2] »

أما العالم الثالث فهو :

عميد المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) صاحب كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من

(١) مقدمة تحقيق الطبقات ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) ابن حجر ، الدرر الكامنه فى أعيان المائة الثامنه ، ج ٢ ص ٤٢٦ .

ذوى السلطان الاكبر » وأول من كتب فى فلسفة التاريخ كان يرحمه الله قاضى قضاة المالكية فى مصر ، وكان راسخ القدم فى مذهب الامام مالك بم أنس ، وكانت له حلقة فى الأزهر يدرس فيها موطأ الامام مالك .

وكتب فى مقدمته فصلين عن علوم الفقة والفرائض (المواريث) عرض فى أولها لمذهب الامام مالك ونشأته وانتشاره فى الشرق والغرب ورجاله وأهم ما ألف فيه ، وعالج هذا الموضوع فى صورة تنبئ عن سعة اطلاعة وتمكنه كل التمكن من تاريخ هذا المذهب وأصوله ومناهجه[1].

وأقطع من هذا كله فى الدلالة على رسوخ قدمه فى مذهب الامام مالك أنه عين فى مصر أستاذا للفقه المالكى بمدرستين من أرقى المدارس العالية أولهما المدرسة القمحية وهى التى بناها صلاح الدين فى مصر لتدعيم مذاهب أهل السنة فى مصر فى أعقاب القضاء على المذهب الفاطمى ، وثانيهما المدرسة البرقوقية التى أنشأها الظاهر برقوق الذى عاصره .

وعين قاضيا لقضاه المالكية فى مصر ست مرات ومصر فى ذلك العصر كانت أرقى البلاد الاسلامية جميعا حضارة وعلما وأغناها بمعاهدها العالية ومكتباتها وعلمائها وفقهائها فى جميع المذاهب وفى مذهب الامام مالك بوجه خاص ، ووظيفة تدريس الفقه فى المدارس العالية ومنصب قاضى قضاة المالكية كانا أرقى المناصب الجامعية والقضائية ، ولا يمكن أن يتولى هذين المنصبين إلا من كانت له قدم راسخة فى بحوث هذا المذهب .

وقد عرض ابن خلدون فى الفصل الخامس عشر من الباب السادس من مقدمته لعلم أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات فتكلم عن الأصول الأربعة التى تستمد منها أحكام الشريعة الاسلامية (القرآن والسنة

(١) على عبد الواحد وافى ، تمهيد لمقدمة ابن خلدون ص ١٤٢ .

والاجماع والقياس) وعلى القواعد التى يجب أن يراعيها المجتهد فى استنباط الأحكام من هذه الأصول ، وتحدث عن نشأة هذا العلم وتطورة وأهم ما ألف فيه .

فتحـدث عن الرساله للأمام الشافعى وهـى أول ما كتب فى هذا الفن ، وعن أربعة كتب من أقدم ما ألف فيه بعد هذه الرسالة وهى :

١ ـ كتاب القياس للدبوسى الحنفى (ت ٤٣٠ هـ)

٢ ـ والبرهان لإمام الحرمين (ت ٤٧٨ هـ)

٣ ـ والمستصفى للغزالى . (ت ٥٠٥ هـ)

٤ ـ والعهد لابن عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)

وتكلم عن الفرق بين مؤلفـات المتكلمين (علماء التوحـيد) ومؤلفات الفقهـاء فى علم أصول الفقه ،وبين طريقـة الحنفية وطريقة غـيرهم فى علاج مسـائله[١] .

وأهم من هذا استطاع ابن خلدون أن يؤرخ للعلوم الاسلامية حتى عصره فى الباب السادس من المقدمة ، تحدث فيه عن كل علم على حدة وعن أئمته وأمهات مراجعه واختلاف الباحثين فى أصوله ومسائله .

(١) المقدمة ، ص ١٥٦ .

الفصل الثالث

مصادر تاريخ مصر الحديث

الوثائق

تتعدد مصادر تاريخ مصر الحديث : فمنها الوثائق الرسمية التى وصلتنا عن فترة العصر العثمانى ووثائق القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ومنها المخطوطات الموزعة على مكتبات العالم ، وأخيرا الكتب المنشورة .

وتأتى فى مقدمة مصادر تاريخ مصر الحديث بطبيعة الحال الوثائق الرسمية فهي أدق المصادر التاريخية متى كانت صحيحة لازيف فيها ولا دس وهى تعتبر بذلك مصدرا من مصادر الدرجة الأولى لأنها بالحياد ولا يوجد شك فى أصالة الوثائق لأن كاتبها الذى فى الماضى لم يكن يدور بخلده يومئذ أنها ستصبح مرجعا تاريخا فى القرن العشرين ، ولا تخضع الوثيقة للمؤثرات الشخصية الموجودة فى الكتب الأدبية التقليدية التى أشار إليها عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته وهى ميول المؤرخ وأهوائة وميول من ينقل عنهم وأهوائهم .

ولا يشترط في الوثيقة من الناحية العلمية أن تكون وثيقة رسمية كنص معاهدة أو اتفاقية بين دولتين أو فرمان من الفرمانات السلطانية أو الأوامر الديوانية أو حجة شرعية وانما قد تكون الوثيقة خطابا من ابن لأبية أو من صديق إلي صديقه ، أو بيان حساب لأحد التجار أو وصفة طبية علاجية ، أو حجاب من الأحجبة أو تعويذة من التعاويذ ، أو ايصال دين أو قائمة بأسعار بعض السلع والمتاجر وما إلى ذلك من المعاملات اليومية ، وهذه الوثائق

السالفة كلها ذات أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاقتصادى والحربى والاجتماعى والثقافى وهى الميادين الجديدة لعلم التاريخ في الربع الأخير من القرن العشرين[1].

ووثائق تاريخ مصر الحديث منها المصري ومنها التركى ومنها الاوربى ، وسيكون تركيزنا على مجموعات الوثائق المصرية منها بصفة خاصة فهى تتعدى أحيانا نطاق الاقليمية ، فنجد بها مجموعات لا بأس بها خاصة بالعلاقات المصرية بالجزيرة العربية ، وأخرى بعلاقات مصر بأقليم الشام ، وثالثة بالسودان والحبشة والبحر الأحمر ، وغير ذلك من المجموعات .

وتتوزع تلك الوثائق فى العديد من دور المحفوظات المصرية ، وأهم هذه الدور حتى الآن (١٩٨٣) :

١ - محفوظات دفتر خانة الشهر العقارى بالقاهرة .

٢ - دار الوثائق القومية بالقاهرة .

٣ - دار المحفوظات العمومية بالقاهرة .

٤ - محفوظات وزارة الأوقاف المصرية .

أولا : محفوظات دفتر خانة الشهر العقارى بالقاهرة :

أما فيما يتعلق بوثائق أرشيف دفتر خانة الشهر العقارى ، فانها تنتمى زمنيا إلي العصر العثمانى (٩٢٣ - ١٢٢٠ هـ) وعصر أسرة محمد على (١٢٢٠ - ١٣٧٢ هـ / ١٨٠٥ - ١٩٥٢ م) ، وتشتمل على مجموعة ضخمة

(١) انظر : د . عبد اللطيف ابراهيم ، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، من أبحاث الندوة العالمية الأولي لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ، أبريل سنة ١٩٧٧ .

من سجـلات محاكم الشـرع بالقاهرة وضـواحيهـا ابان تلك الفترة وسـجلات الديوان العالى التى كانت تابعـة للوالى العثمانى ، وسجـلات اسقاط القرى ، وكانت هذه السّجلات محفوظة في محـاكمها الخاصة بها وفى القلعة فى بادئ الأمـر ، ثم جمـعت ونقلت فى أوائل عصـر مـحمـد على فى خزينة كـانت تسمى «خزينة السجلات العامرة » ومقرها فى محكمة الباب العالى بقصر الأمير مامـاى (أحد أمراء السلطـان قايتبـاى في العصر المـملوكى) بحى الجمـالية بالقاهرة وهذا القصر مـعروف الآن ببيت القاضى بجانب قسم الجمـالية ، فقد جاء فى كثير من صور الحجج الشرعية التى نقلت من سجلات محاكم مختلفة أنها نقلت من سجلات محفوظة بخزينة السجلات العامرة بالباب العالى (١).

ثم نقلت تلك السـجلات في تاريخ مجـهول إلى قصـر مصطفى رياض باشا بخط بـركة الفيل بالحلمـية الجـديدة بالقاهرة وكان به مـقر مـحكمة نور الظلام الشرعـية (وسميت نور الظلام لأنه يـوجد بالقرب منها ضـريح يسمى الشـيخ نور الظلام) وكان هذا النقل عـلى ما يبـدو لسهـولة التقـاضى ونقل الحجج الشرعية منها أو الرجوع اليهـا كلما اقتضى الأمر اذا ما طلبها الورثة أو المتقاضون .

وفى حوالى سنة ١٩٦٢ نقلت إلى دفتر خانة محكمة الأحوال الشخصية بشبرا بأول شارع جزيرة بدران بعد نفق شبرا مـباشرة وكان بهذة المحكمة قسم خاص بالمحفوظات ومن ثم اشتهرت تلـك السجلات لدى الباحثين (فترة من الزمن) بسجلات المحكمة الشرعية لترددهم عليها أولا فى محكمة نور الظلام الشرعية ببركة الفيل ثم فى محكمة شبرا الشرعية بعد ذلك حتي عام ١٩٧٠ .

(١) انظر : وثيقة رقم ٥٤١ بمحفوظات وزارة الأوقاف المصرية .
وانظر أيضا : نهاية سجل رقم ٣٠٩ من سجلات الباب العالى
وانظر أيضا : وثيقة رقم ٣٨٨ بمحفوظات الأوقاف المصرية .

وفي عام ١٩٧٠ نقلت تلك السجلات الى مكانها الحالى بدفتر خانة مصلحة التوثيق والشهر العقارى بالقاهرة بجوار مبنى دار القضاء العالى بشارع رمسيس ، ومن ثم عرفت أخيرا بسجلات دفتر خانة الشهر العقارى بالقاهرة .

وهذه السجلات عبارة عن نوعين من السجلات :

(١) سجلات الديوان العالى .

(٢) سجلات محاكم الشرع بالقاهرة ابان العصر العثمانى .

أما فيما يتعلق بسجلات الديوان العالى والتى كانت تتبع والى مصر ابان العصر العثمانى فالموجود منها عبارة عن ستة عشر سجلا يبدأ السجل الأول منها بتاريخ ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) وينتهى السجل رقم ١٦ بتاريخ ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) .

ويلاحظ أن سجلات الديوان العالى فقد منها الكثير ، فعلى الرغم من أن السجل رقم(١) منها قد بدأ بتاريخ ١١٥٤ هـ أى بعد الفتح العثمانى بقرنيين وربع من الزمان مما يدل على أن هناك سجلات كثيرة مفقودة من هذه الوحدة الأرشيفية[١] .

على الرغم من ذلك الا أن هناك فترات مفقودة بين السجلات الموجودة

---

(١) تطلق كلمة أرشيف على الوثائق القديمة، وكذلك على المكان الذى تحفظ فيه تلك الوثائق وهى بالمعنى الاول عبارة عن كل الأوراق والسجلات المكتوبة الناتجة عن نشاط ادارة عامة أو خاصة واستحقت الحفظ الدائم للرجوع اليها لأغراض البحث .
والوحدة الأرشيفية هى مجموعة السجلات والوثائق وغيرها الناتجة عن نشاط ادارة أو هيئة معينة مدة حياتها والوديعة الأرشيفية تتكون من عدة وحدات أرشيفية تبحث عن نشاط عدد من الإدارات معاصرة لبعضها تجمعت ووضعت فى دار من دور الوثائق، وذلك مثل الوديعة الأرشيفية للأزهر الموجودة في حوزة دار الوثائق =

مما يدل على ضياع سجلاتها أيضا ، وذلك مثل الفترة من ١١٥٧ هـ حتى عام ١١٧٧هـ وتقع تلك الفترة بين السجل رقم ١ والسجل رقم ٢ .

ومن ناحية أخرى فإن سجلات الديوان العالى من حيث شكلها فكلها تقريبا من النوع المستطيل مقياسها في المتوسط ١٧ سم عرضا × ٤٦ سم طولا ومسطرتها (ما بين ٦٠ ، ٩٠ سطرا) فى الصفحة الواحدة ، ويتراوح عدد الكلمات في السطر ما بين ٢٠ ، ٢٥ كلمة .

واللغة التى كتبت بها تلك السجلات عربية وتركية ، أما الكتابة العربية فمكتوبة بخط سريع قليل الاعجام تصعب قراءته فى كثير من الأحيان وذلك بسبب صغره المتناهى وتلاصق كلماته بعضها بالبعض ، ومن ثم فان قراءة هذه السجلات تحتاج إلى مران طويل وجهد كبير حتى يستطيع الباحث قراءتها .

أما الوثائق المسجلة باللغة التركية فمعظمها مكتوب بخط واضح جميل تأنق فيه كاتبه نظرا لأنها تتعلق بأوامر وفرامانات سلطانية ، وقد استعملت اللغة التركية عند تسجيل الأوامر والفرامانات السلطانية وأوامر والى مصر وقرارته ، استعملت اللغة العربية فى تسجيل وثائق الصرة الشريفة وبعض وثائق الكسوة التى كانت ترسل كل عام إلى الحرمين الشريفين [١] والاشهادات والاعلانات

= القومية بالقاهرة وهي عبارة عن وديعة تضم عدة وحدات أرشيفية عن أروقة الأزهر وحاراته وسجلات مجلس ادارة الأزهر وسجلات المجلس الأعلى للأزهر ودفاتر القرارات والمنشورات الخاصة بالوزارات المختلفة وغيرها من الدفاتر والمحافظ الخاصة بأنشطة الأزهر المختلفة ابان عصر أسرة محمد على .

(١) وثائق الصرة هى الاشهادات الشرعية التى كانت تؤخذ على أمير الحج كل عام وهى عبارة عن وثيقة مكتوبة لكل وقف من أوقاف الحرمين بمصر عبارة عن إقرار على أمير الحج بأنه تسلم هذه الأموال لتسليمها إلى اربابها بالحجاز ، وكانت تلك =

الشرعية ، ووثائق وفاء النيل ورؤية أهلة الشهود العربية واشهادات ارسال مخصصات الدولة العثمانية التى تسمى الخزنة أو الخزينة ووثائق أوقاف الأمراء من أسرة محمد على .

وعلي الرغم من أن سجلات الديوان العالى وصلت الينا ناقصة الا أنها تمثل وحدة أرشيفية متكاملة ، وتمثل هذه الوحدة الأرشيفية مع وحدات المحاكم المصرية في العصر العثمانى المعاصرة لها الوديعة الأرشيفية المحفوظة مؤقتا في دفتر خانة مصلحة التوثيق والشهر العقارى بالقاهرة .

أما لماذا نقلت سجلات الديوان العالى الى دفتر خانة الشهر العقارى بمصاحبة الوحدات الأرشيفية القضائية ، فذلك نظرا لما فيها من بعض وثائق الوقفيات المسجلة فى سجلاتها وبعض الاعلامات الشرعية مما يقتضى الرجوع إليها لمصالح الجمهور عند التقاضي .

وأما سجلات محاكم الشرع بالقاهرة ابان العصر العثمانى ، فهى عبارة عن سجلات لخمس عشرة محكمة ومحافظ دشت من سجلات المحاكم المختلفة ، وفيما يلى نورد جدولا بأسماء تلك المحاكم وعدد سجلاتها وبداية العمل بها وانتهاؤه :

= الوثائق تكتب فى مجلس شرع شريف بحضور شهود من كبار رجال الدولة وكان هذا المجلس ينعقد بصيوان (خيمة) أمير الحج بمكان خارج القاهرة يسمى بركة الحج وسميت كذلك لنزول الحجاج بها عند سيرهم من القاهرة الي الحج في كل سنة ونزولهم بها عند العودة ومنها يدخلون القاهرة .

م	إسم المحكمة	بداية العمل فيها	إنتهاء العمل	عدد السجلات
١	محكمة الباب العالى	٩٣٧هـ (١٥٣٠م)	١٣٤٢هـ(١٩٢٣م)	١٦٨٦
٢	محكمة القسمة العسكرية	٩٦١هـ (١٥٥٣م)	١٢٩٢هـ(١٨٧٥م)	٤١٩
٣	محكمة القسمة العربية	٩٧٠هـ (١٥٦٢م)	١٢٩٨هـ(١٨٨٠م)	١٥٨
٤	محكمة مسجد الزينى ببولاق	٩٤٣هـ (١٥٣٦م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٨٣
٥	محكمة مصرْ القديمة	٩٣٤هـ (١٥٢٧م)	١٢٢٥هـ(١٨١٠م)	٣٤
٦	محكمة قناطر السباع	٩٥٧هـ (١٥٥٠م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٤٧
٧	محكمة الجامع الطولونى	٩٣٧هـ (١٥٣٠م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٩١
٨	محكمة جامع قوصون	٩٦٤ هـ (١٥٥٦م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٦٨
٩	محكمة الجامع الصالح طلائع	٩٥٣هـ (١٥٤٦م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٦٧
١٠	محكمة بابى سعادة والخرق	٩٨٨هـ(١٥٨٠م)	١٢١١هـ(١٧٩٦م)	٧١
١١	محكمة الصالحية النجمية	٩٣٤هـ(٥٢٧م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	١٠٧
١٢	محكمة جامع الحاكم	٩٤٤هـ (١٥٣٧م)	١٢٢٥هـ(١٨١٠م)	٧٨
١٣	محكمة باب الشعرية	٩٥٥هـ (١٥٤٨م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٧٥
١٤	محكمة جامع الزاهد	٩٧٢هـ(١٥٦٤م)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٤٧
١٥	محكمة البرمشية	٩٧٣هـ(١٥٦٥م)	١٢٢٧هـ(١٨١٢م)	٢٢
١٦	محافظ دشت	لمحاكم وسنوات مختلفة	(٣٥٣ محفظة)	

ولعل من المفيد أن نذكر أن الخط الذى كتبت به سجلات المحاكم الشرعية هو أسرع وأقل وضوحا من خط سجلات الديوان العالى السالفة ، ومن ثم فهو أصعب قراءة ويحتاج الباحث فى قراءته وتفهم وثائقه الي عناء كبير ، ويختلف حجم سجلات المحاكم عن سجلات الديوان العالى فبينما الأخيرة مستطيلة (١٧ × ٤٦ سم) فى المتوسط تكاد تتراوح الاولى فى المتوسط أيضا بين حجم الفلسكاب والكوارتو ، وهى من الضخامة بحيث أن صفحات بعضها تزيد على ألف صفحة .

وعلى الرغم من أهمية هذه الوثائق بنوعيهـا السالفين فى التاريخ الثقافى والدينى والاجتماعى والاقتصادى والسيـاسى ، الا أنها مهملة ولا يشرف عليها مختصون فى مـجال حفظ الوثائق وترميمها ، وتحتاج إلى فـهرسة جديدة بعد أن بليت فهارسـها الحالية من كثـرة التداول فى شئون التـقاضى والمواريث ، وذلك ليسهل على الباحـثين الاطلاع على ما فيها من ذخـائر وكنوز تاريخية ما زالت مجـالا بكرا تلقى الكثيـر من الضوء علي تاريخ فـترة العصـر العثـمانى المظلمة (وأن شئت فقل المظلومة) فى مصـر والحجاز والشام بوجه خاص ، وهذه الوثاذق موضوعة فى دواليب من الحديد مغلقـة ومعدومة التهوية بدرجة تضر بها كثيرا .

الحجج الشرعية :

كانت وثائق مـحاكم الشـرع تضم عددا ضـخما من الحـجج الشرعـية الأصليـة المـفـردة علي شكل ملف (Roll) أو طيـات(Folded) أو كتـيب (Codex) وهى كلها ترجع إلى عصور مختلفة من العصر الفاطمى إلى العصر العثـمانى ، وقد نقلت تلك الوثائق المـفردة إلى دار الوثائق القومـية بساحل روض الفرج بنفس ترتيبها وأرقامها بالمحكمة وذلك فى يناير سنة ١٩٧١ م .

وتعـتبر هذه الـوثائق مصـدرا هاما وأصـيلا لدراسة الـتاريخ الحـضارى والاقتـصادى والادارى والقضـائى والاجتمـاعى ، لمصر فى تلك العـصور ، وذلك لمـا تحتوى عليـه من معلومـات ضافـيه عن العـمائر والآثار الخـاصة والرسمية الدنيـوية منها والدينية ، وما بها من أنواع العملة والنقود المـستعملة خلال هذه العصور والنظم القضائية والاجتمـاعية فضلا عن فائدتها الكبيرة فى الدراسات الوثائقية والارشيفية وغير ذلك من موضوعات تاريخية هامة .

وتحفظ تلك الوثائق المـفردة الآن بدار الوثائق التاريخـيـة بساحل روض

الفرج داخل محافظ **وثائق السلاطين والأمراء** : منها تحفظ مستقلة داخل محافظ مرتبة ، ومسلسلة الأرقام من ١ ـ ٣٦٤ ، ويبلغ عددها ٣٦٤ وثيقة مفردة ، وهذه المجموعة خاصة بتصرفات السلاطين والامراء فى مصر ، **وثائق الافراد** : من عامة الشعب تحفظ داخل محافظ أخرى بها ومرقمة ترقيما مسلسلا من ١ ـ ٤٩٧٨ ، أى أن عددها ٤٩٧٨ وثيقة وغالبيتها ترجع إلى العصر العثمانى ، وتحتوى على العديد من المعاملات الشرعية كالوقف والبيع والشراء والهبة والاستبدال ، وغير ذلك من المعاملات .

ومن أهم الوثائق الخاصة بالسلاطين والأمراء ، وثيقة رقم ١ الخاصة بوقف الملك الصالح طلائع بن زريك وزير الخليفة الفاطمى الفائز ، ووثيقة رقم ٢ محفظة ١ خاصة بوقف السلطان قلاوون ، ووثيقة رقم ٦ محفظة ١ وقف باسم الملك المعز مجير الدين يعقوب بها وقف لاماكن بغوطة دمشق على أولاد الواقف ونسله ، وبعد انقراضهم يصرف على شئون الحرم النبوى.

ووثيقة رقم ٢٤ محفظة ٤ خاصة بوقف السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون ، كما تضم هذه المجموعة وثائق هامة خاصة بالسلاطين : بيبرس الجاشنكير ، والأشرف شعبان وأبو سعيد برقوق واينال السيفى والسلطان فرج بن الظاهر برقوق ، والأشرف برسباى ، والسلطان قايتباى ، إلى غير ذلك من الوثائق الخاصة بالسلاطين والأمراء ونسائهم والتى تعتبر من أقدم الوثائق المصرية .

أهمية وثائق محاكم الشرع فى الدراسات التاريخية

من المعروف أن وثائق محاكم الشرع لم تكتب لكى تكون سجلا تاريخيا يرجع إليه المؤرخون ، وانما كتبت لحفظ حقوق أصحابها ، وحبس الأوقاف

الخيرية على مصالحها التى أوقفت عليها حبسا مؤبدا ، ومن ثم فانها تحمل معلومات تاريخية صادقة تماما تختلف كل الاختلاف عن المعلومات التى تؤخذ من المصادر التارخية المعاصرة لها والتى سجلها أصحابها فى ظل عاملى الرغبة والرهبة والرغبة فى نوالهم ، والرهبة من سوطهم بالاضافة إلى العوامل الذاتية الأخرى للمؤرخ والتى تتعلق بميول المؤرخ وميول من ينقل عنهم ، فالمؤرخ المعاصر عندما يرجع إلى تلك الوثائق يطمئن إلى خلوها من العوامل السالفة التى تدخل التزييف على المادة التاريخية .

وتحتوى تلك الوثائق على معلومات ضافية فى شتى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والقضائية ومعلومات أخرى تهم الباحثين فى تاريخ تخطيط المدن حيث تصف لنا تلك الوثائق مواقع العقارات المبنية وصفا دقيقا تحدد فيه أبعاده المختلفة والشوارع والحارات والأزقة وغيرها من الطرق التى تحيط بالعقار من كل جانب واتساع هذه الطرق مقدرا بمقاييس عصرها ، فاذا أمكن لنا أن نتتبع هذه المعلومات على مر العصور فنستطيع من خلالها أن نرسم تخطيطا دقيقا لأحياء القاهرة المعزية وغيرها من الأحياء الملحقة بها .

وفى مجال المعاملات النقدية تلقى تلك الوثائق كثيرا من الضوء على تاريخ العملة والنقود ، حيث تعطينا العديد من أسماء النقود الفضية والذهبية التى كانت متداولة فى مصر وغيرها من البلدان العربية فى تلك العصور ، إلى جانب أسعار شتى المشتريات والمبيعات مما له أهمية قصوى فى مجال التطور الاقتصادى ، إلى غير ذلك من المعلومات الصادقة والحقيقية التى لم تشبها شائبة تحيز أو نقص فهى أصدق دليل على عصرها .

كما أن تلك الوثائق تعتبر مجالا لدراسة تطور اللغة العربية والكتابة العربية وصلتها باللغات الأخرى وعلى الأخص اللغة التركية ، وتأثرها بها

لأنها كانت لغة الفاتحين الأتراك ودخول كثير من الألفاظ التركية إلى الوثائق وإلى لغة الكلام فى ذلك العصر ، فبمقارنة وثائق تلك العصور يمكننا أن نتعرف على الدخيل من اللغات الأخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ولا يتسع المقام لذكرها .

ومن الجدير بالذكر أن كاتب هذه السطور اعتمد فى غالبية أبحاثه العلمية على تلك الوثائق وفى طليعتها الأبحاث التالية :

أولا . بحث لنيل درجة الدكتوراه فى التاريخ الحديث من قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ، تحت عنوان(دور الأزهر فى الحياة المصرية ابان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر) .

ثانيا . بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر ابان العصر العثمانى) وقد اشتركت بهذا البحث فى الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية ، حلقة المصادر ، والتى انعقدت فى جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية فى جمادى الأولى سنة ١٣٩٧ هـ (ابريل سنة ١٩٧٧ م) . وقد اعتمدت فى اخراج هذا البحث على نوعين من الوثائق : الأولى ويتعلق بوثائق الصرة الشريفة أى الأموال التى كانت ترسل كل عام من مصر إلى أهالى الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة فى سجلات الديوان العالى والتى كانت تتبع والى مصر ابان العصر العثمانى ونقلت أخيرا إلى دفتر خانة الشهر العقارى كما سبق أن ذكرنا ، والنوع الثانى : ويتعلق بوثائق موارد ومصادر اموال الصرة الشريفة فى مصر ، ونعنى بها وثائق أوقاف الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة فى سجلات محاكم الشرع ابان العصر العثمانى وبها العديد من الأوقاف المجموعة للصرف على أهالى الحرمين الشريفين .

ثالثا . بحث حول (وثائق الأزهر) اشتركت به فى الندوة العالمية التى

عقدت بالقاهرة بجامعة عين شمس والتى نظمها سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بكلية الآداب فى المدة من ٧ ـ ١٢ مايو ١٩٧٧ وموضوعها (وثائق تاريخ العرب الحديث) وذلك تحت اشراف شيخ المؤرخين الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم رئيس جامعة عين شمس سابقا ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ورئيس (السمنار) .

رابعا . بحث حول رواق الشوام بالأزهر ـ تقدمت به إلى المؤتمر الدولى الثانى لتاريخ بلاد الشام المنعقد بجامعة دمشق فى نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٧٨ .

خامسا . بحث حول : دور الأوقاف فى دعم الأزهر كمؤسسة علمية اسلامية ، قدم إلى الندوة التى نظمها معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، حول الأوقاف الاسلامية ، والتى أقيمت فى المغرب فى أبريل ١٩٨٣ م .

دار الوثائق القومية بالقاهرة :

تم انشاء هذه الدار بموجب القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ م على أن تنقل إليها وثائق دور الحفظ المختلفة فى مصر وأهمها : (١) دار المحفوظات العمومية بالقلعة (٢) محفوظات مجلس الوزراء (٣) محفوظات وزارة الخارجية المصرية ، (٤) محفوظات وزارة العدل (دفتر خانة الشهر العقارى) (٥) محفوظات وزارة الاوقاف (٦) محفوظات الازهر (٧) محفوظات القصر الجمهورى (أرشيف عابدين) على أن تكون هذه المحفوظات نواة لمجموعات دار الوثائق القومية ، وكانت هذه أول خطوة لانشاء دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وأهم ما يوجد فى حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة الآن هى

المجموعات التالية :

أولا . مجموعة وثائق الأزهر :

تأتى هذه المجموعة فى مقدمة وثائق الأزهر من حيث الأهمية (١) ، وهى عبارة عن وديعة أرشيفية تضم عدة وحدات أرشيفية ، عن أروقة الأزهر وحاراته وسجلات مجلس ادارة الأزهر منذ انشائة سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٥ م) وسجلات المجلس الأعلى للأزهر منذ انشائه فى سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ودفاتر القرارات والمنشورات الخاصة بمجلس النظار ونظارات الداخلية والحقانية والاشغال والمعارف وديوان عموم الاوقاف ودفاتر الكوبيا الخاصة بصور المكاتبات الصادرة عن الأزهر الى الجهات المختلفة ، ومجموعة المحافظ المحتوية على ملفات خاصة بأنشطة مجلس ادارة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر .

وتنتمى هذه الوديعة الأرشيفية زمنيا ـ بكافة وحداتها ـ الى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

وكانت هذه المجموعة فى حوزة الأزهر حتى عام ١٩٦٥ م ، وفى تلك السنة قام قسم الجمع والتسجيل بدار الوثائق القومية بالقاهرة بجمعها وتسجيلها، ثم أتم نقلها إلى دار الوثائق عام ١٩٧٠ م .

---

(١) توجد بالاضافة الى مجموعة دار الوثائق القومية عدة مجموعات أخرى تخص الأزهر أى تحتوى على وثائق خاصة بتاريخ الأزهر وأهمها حتى الان (١٩٧٨) :
١ ـ مجموعة مصلحة التوثيق والشهر العقارى بالقاهرة .
٢ ـ مجموعة أرشيف وزارة الأوقاف المصرية .
٣ ـ مجموعة المكتبة الأزهرية .
٤ ـ مجموعة محفوظات الأزهر بمبنى تكية أبى الذهب .

وسجلات الأزهر بهـا معلومات تهم الباحث والمـؤرخ فى نظام التعليم بالأزهر ونظام السكن بالأروقـة وجرايات (مـرتبات) المـجاورين من الخـبز والنقـود ، فى القرنين الأخـيريـن قبل قـانون تطوير الأزهر (سنة ١٩٦١ م) وتوجد بهـا معلومـات عن ايرادات أوقاف الأروقة ، ومـعلومات تاريخـية عن أصل بدل الكسـوة التى كان يتقاضاه بعض علماء الأزهر من الروزنامه كل عام، ومعلومات عن أماكن الدراسة مواعيدها والأماكن التى كانت ملحقة بالأزهر.

كما أن سـجلات الأزهر (وخاصة سجـلات الأروقة والحارات) تلقى الضوء على دور الأزهر فى العـالم الاسلامى ، فهى تعطى الباحث كـثيرا من قوائم العلماء والطلبة الوافدين الى الأزهر من جنسيات عديدة : اتراك ومغاربة وشوام وحجازيين وعراقيين وسودانيين وهنود ويمنيين وأندونيسـيين وغيرهم .

سجلات مجلس ادارة الأزهر :

كمـا أنها تعطى البـاحث مادة علميـة غزيرة عن الحـركة التى دبت في الأزهر بعد انشاء مجلس ادارة الأزهر فى عام ١٣١٢ هـ بعـضوية الشيخ محمد عبـده وصديقـة الشيخ عبـد الكريم سلمان ، والشـيخ سليم البشـرى والشيخ يوسف النابلسى ورئاسة شيخ الأزهر الشيخ حسونه النواوى .

وكـان هذا المجلـس بداية عهـد جـديد للأزهر بعد أن قـامت قـيامـة الأزهريين على المرحوم الشيخ محمد الامبابى شيخ الأزهر اذ ذاك (١٣٠٤ هـ ـ ١٣١٢ هـ) ورفعوا العـرائض الى الخديوى مفعـمة بأن شيخـهم عاجز عن ادارة شئونـهم ، وغير ذلك من الطعون التى طالبـوا فيها بتـغيير أوضـاعهم ، فصدر الأمر العالى بانشاء هذا المـجلس واقالة الشيخ الانبابى ، وتولية الشيخ حسـونة النواوى منصب مشـيخـة الأزهر ، وكان أول اجتماع لمـجلس ادارة الأزهر فى ١٦ من رجب سنة ١٣١٢ هـ ـ (١٢ من يناير سنة ١٨٩٥ م) .

وأهم ما فى سجلات مجلس ادراة الأزهر وضع قانون لتطوير نظام الامتحان بالأزهر ، ذلك النظام الذى ظل يتعثر منذ وضع عام ١٨٧٢ في عصر اسماعيل على عهد الشيخ محمد المهدى العباسى شيخ الأزهر يومئذ ، فعلى الرغم من صدور قانون الامتحان منذ ذلك التاريخ ، الا أنه لم يصبح وسيلة لتشجيع العلماء الشبان بقدر ما أصبح وسيلة للتسويق ، فما من شيخ تولى مشيخة الأزهر منذ عهد الشيخ العباسى حتى عهد الشيخ حسونة النواوي زاد فى عدد من يمتحنون فى كل عام على ستة طلاب ، وفى بعض السنوات كان العدد الذى يدخل لنيل الشهادة العالية من الأزهر لا يتجاوز أربعة طلاب والذين كان يساعدهم الحظ ، ويدخلون الامتحان كانوا لا يصلون الا بعناية الراجين والحاح الملحين ، ولم يكن للدور ولا للأقدمية ولا للذكاء ولا للشهرة فى التحصيل مدخل فى نيل الحق ، بل كان السلطان القوى هو شفاعة هؤلاء الشفعاء الذين لا يشفعون الا للغنى وان كان غبيا ، ويضيعون حق الفقير وان كان ذكيا .

وبذلك ترك فى قلم كتاب الأزهر عرائض لطلب الامتحان لا تحصى ، ويئس مقدموها من اجابتهم ففترت عزيمتهم عن التحصيل وانقطع معظمهم عن المجئ الى الأزهر وتعدى هذا اليأس الى من يليهم من الزمن فجفت آمالهم وعلموا أن الدوران وصل اليهم فانما يصل بعد الهرم وكان ذلك ظاهرا للعيان.

وقد تدارك مجلس ادارة الأزهر بزعامة الشيخ محمد عبده هذا الأمر وأعاد الى الطلاب آمالهم فقرر تصفية هذه التلال المتراكمة من العرائض ليتحقق وجود أصحابها فأعلن للجميع بأن الامتحان سيكون على غير تلك القاعدة السداسية أو الرباعية وصدر الأمر بذلك فى سنة ١٣١٤ هـ .

ويذكر لنا الشيخ عبد الكريم سلمان عضو مجلس ادارة الأزهر بيانا بعدد

من امتحنوا في السنوات التالية لصدور هذا القانون فيقول : « سنة ١٣١٥ هـ امتحن فيها ٢٩ طالبا نجح منهم ١٨ ورسب ١١ وسنة ١٣١٦ هـ امتحن فيها ٢٨ طالبا نجح منهم ١٣ ورسب ١٥ وسنة ١٣١٧ هـ امتحن فيها ٢٠ طالبا نجح منهم ١١ ورسب ٩ وسنة ١٣١٨ هـ امتحن فيها ٢٥ طالبا نجح منهم ١٦ ورسب ٩ وسنة ١٣١٩ هـ امتحن فيها ٣٧ طالبا نجح ٢٣ ورسب ١٤ وسنة ١٣٢٠ هـ امتحن فيها ٣٩ طالبا نجح منهم ١٧ ورسب ٢٢ وسنة ١٣٢١ هـ امتحن فيها ٩٥ طالبا نجح منهم ٣٤ ورسب ٦١ وفى سنة ١٣٢٢ هـ امتحن فيها ٦٨ طالبا نجح منهم ٣٤ ورسب ٣٤[1] .

ومن هذا البيان يتضح لنا مدى تأثير القانون الذى أصدره مجلس ادارة الأزهر والذى وضعه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ويوجد مدونا فى سجلات مجلس ادارة الأزهر المحفوظة ضمن الوديعة الأرشيفية للأزهر بدار الوثائق القومية[2] .

وصفوة القول أن سجلات مجلس ادارة الأهر تحتوي على فترة من أهم فترات تطوير الأهر وبداية دخول الأنظمة الحديثة به ولا غنى عنها لمن يتناول تاريخ الأزهر في تلك الفترة وما تلاها من فترات .

سجلات المجلس الأعلى للأزهر :

هذه السجلات كانت مخصصة لتسجيل محاضر المجلس الأعلى للأزهر وهو المجلس الذى تشكل بموجب القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكان انعقاد

---

(١) انظر هذا البيان الذى كتبه الشيخ عبد الكريم سلمان عن انجازات مجلس ادارة الأزهر وفى كتاب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ج ١ص ٤٤٠ ـ ٤٤٢ .

(٢) انظر سجل رقم / ١ لسنة ١٣١٢ هـ من سجلات محاضر مجلس ادارة الأزهرى وهذه السجلات كلها عبارة عن ١٧ سجلا تنتهى بتاريخ سنة ١٣٤٩ هـ(١٩٣٠م) .

هذا المجلس لأول مرة بدار مشيخة الأزهر برئاسة الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر وعضوية :

١) الشيخ بكرى عاشور الصدفى مفتي الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية .

٢) الشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية .

٣) الشيخ هارون عبد الرازق نائب شيخ السادة المالكية .

٤) الشيخ أحمد البسيونى شيخ السادة الحنابلة .

وكان هناك بعض أعضاء من خارج الأزهر فى المجلس لمتابعة سير الدراسة فى المواد الحديثة وكذلك متابعة النظم الحديثة التى ادخلت بالأزهر ، وهؤلاء الاعضاء هم :

١) أحمد فتحى زغلول باشا وكيل الحقانية .

٢) اسماعيل صدقى باشا وكيل الداخلية .

٣) أحمد ذهنى باشا الذى كان ناظرا لمهندس خانة .

٤) أحمد شفيق باشا مدير عموم الأوقاف المصرية .

(أنظر نص الادارة السنية الخاصة بتعيين بعض الأعضاء من خارج الأزهر فى المجلس الأعلى للأزهر سجل رقم / ١ من سجلات المجلس الأعلى للأزهر ص ٤) .

ولقد قام المجلس الأعلى للأزهر بعدة نشاطات لتوطيد دعائم التطوير بالأزهر كان على رأسها اللوائح الآتية :

١) مشروع لائحة التقاعد وأولاد العلماء (قرار رقم ٣٠ لسنة ١٩١١).

٢) مشـــروع لائحة كســاوى التشريف الخـاصة بالعلمـاء (قرار رقم ٣١ لسنة ١٩١١) .

٣) مـشروع لائحـة الكتـاتيب الملحـقـة بالأزهر (قـرار رقم ٣٢ لسنة ١٩١١).

٤) مشروع لائحة الميزانيـة الخاصة بالجامع الأزهر (قرار رقم ٣٣ لسنة ١٩١١) .

٥) تأليف لجنة لفـحص الكتب التى تؤلف حديثـا بالأزهر (قرار رقم٢٩ لسنة ١٩١١) .

٧) تأليف لجنة لفحص حـجج الأوقاف واستبدال الـجرايات (قرار رقم ٢٨ لسنة ١٩١١) .

الى غير ذلك من الأنشطة التى قام بها المجلس الأعلى للأزهر فى شتى ميـادين النظم الحديثـة التى نقل الأزهر بهـا من مجرد حلقـات بداخل الأزهر تقليدية الى دراسـة عملية منظمـة لها قوانين ونظم ثـابته وألحق بالأزهر بعض المدارس القريبة من الأزهر لالقاء الدروس بها .

توجد مـجموعة لمـحاضر المـجلس الأعلى للأزهر مطبوعة بمطبـعتى النهضة والاصلاح بالقاهرة في حوزة دار الوثائق القـومية وهى محاضر سنوات من ١٩١١ - ١٩٢٠ عـبارة عن ٣٢ جـزءا تشتـمل على محـاضر نحـو عشـر سنوات من عمر المجلس الأعلى للأزهر .

ويلاحظ أن لجنة الجمع والتسجيل بدار الوثائق قد خلطت بين سجلات

إدرة الأزهر وسجلات المجلس الأعلى للأزهر ، ولم تفرق بينهما وأطلقت على كلا النوعين : سجلات المجلس الأعلى للأزهر .

ومما هو جدير بالذكر أننى لفت نظر القائمين على تنظيم هذه الوثائق لهذا الخطأ الذى يوقع الباحثين فى لبس شديد ، وذلك أثناء قيامى ببعض الأبحاث العلمية التى تعتمد على وثائق الأزهر(١) .

ثانيا . مجموعة وثائق عابدين :

جمعت الوثائق التاريخية بالقصر الجمهورى (عابدين) من بين المحفوظات الموجودة بالقلعة فى دار أطلق عليها دار الوثائق المصرية والمحفوظات التاريخية سنة ١٩٣٣ ، وبذلك اقتصرت محفوظات الدار بادئ ذى بدء على الوثائق التاريخية من بداية حكم محمد على حتى بداية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ .

وقد حفظت السجلات والوثائق المفردة بتلك الدار بنفس أرقامها التى كانت تحفظ بها بالقلعة ، واقتصر عمل دار وثائق عابدين على نسخ أو تلخيص السجلات المتعلقة بالابحاث والترجمة من التركية الى العربية ، أما باقى السجلات والوثائق التى شاءت الظروف عدم قيام أبحاث تتعلق بموضوعاتها فقد بقيت كما هى لم تمس ، وبذلك يمكن القول أن المادة التاريخية فى الكثير من الوحدات والمجموعات الأرشيفية لا زالت حتى الآن في عالم الغيب وخاصة التركية منها ، وذلك لعدم معرفة جمهور الباحثين باللغة التركية (العثمانية) (٢) .

(١) توجد نماذج لوثائق الأزهر فى ملحق الوثائق .

(٢) اللغة التركية العثمانية هى التى كانت تكتب بحروف عربية حتى عصر الجمهورية التركية وذلك لتمييزا لها عن اللغة التركية الحديثة التى تكتب الآن بحروف لاتينية وذلك منذ الانقلاب التركى فى عهد مصطفى كمال أتاتورك .

وتفيد هذه المجموعات والوحدات الأرشيفية (عابدين) فى التعرف على الدور الذى قام به محمد على وخلفاؤه في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وتشتمل على سجلات ووثائق الدواوين والادارات والمجالس الآتية : ـ

١) الديوان العالى أو ديوان الخديوى ، ويختص بالزبينية والسخانات والصحة والروزنامة وبيت المال ، والمجاجر والضربخانة ، ومصالح الأخشاب والبريد وديوان الوواشى وغيرها ، وهناك صلة موضوعية بين ذلك الديوان وبين ديوان المعية السنية (وهو اسم اطلق على ديوان الوالى أى حاشية الوالى).

٢) ديوان الايرادات ، وبه حسابات كافة المديريات وجزيرة كريت والحجاز والسودان ، وايراد مدينتى مصر (القاهرة) والاسكندرية والجمارك والمقاطعات والزمامات .

٣) ديوان الجهاد ، وبه الوثائق التى تختص بالشئون العسكرية .

٤) ديوان البحر (ديوان البحرية) ويضم الوثائق الخاصة بأدارة وتنظيم الدونانمة (الأسطول) المصرية فى عهد اسرة محمد على وكل ما يتصل بها من شئون باللغتين العربية والتركية .

٥) ديوان المدارس ، ويتعلق بشئون المدارس فى عهد الأسرة العلوية والمكتبات والمطابع ، وتعتبر مصدر أصيلا فى تاريخ التعليم فى عصرها .

٦) ديوان الأمور الافرنكية والتجارة المصرية ، واليه يرجع النظر فى العلاقات الخارجية ومعاملة الأجانب والتجارة .

٧) ديوان الفابريقات (المصانع) وتفيد وثائقة فى دراسة تاريخ الصناعة

فى القرن التاسع عشر .

٨) المجلس الخصوص (أو المجلس المخصوص) والمجلس العمومى بالقاهرة (أو الجمعية العمومية) والمجلس العمومى بالأسكندرية والذى صدر أمر محمد على بانشائهم فى سنة ١٩٤٦ .

٩) وثائق مجلس الأحكام أو مجلس أحكام مصر وهو هيئة قضائية من اختصاصها محاكمة كبار الموظفين ، وقد خلفت هذه الهيئة جمعية الحقانية عند الغائها سنة ١٨٤٩ ، وتعتبر هذه الوثائق مصدرا هاما للدراسات القانونية والقضائية فى تلك الفترة ، وهى وثائق منفردة ومضابط (سجلات) .

١٠) سجلات مجالس الأقاليم ، وهى تلك المجالس التى تم أنشاؤها فى عصر عباس الأول ١٨٥١هـ وهى مجالس قضائية بالاقاليم للفصل فى القضايا غير الشرعية التى كانت موكولة الى الكشاف وغيرهم من الموظفين الاداريين .

١١) سجلات ووثائق مجالس الاستئناف (بالقاهرة والجيزة قليوبية) ومجلس استئناف بحرى (منوفية - دقهليه - شرقية - غربية) ومجلس بنى سويف (ويختص بقضايا بني سويف والفيوم والمنيا) واستئناف جرجا (اسيوط وجرجا وقنا واسنا) واستئناف الاسكندرية (اسكندرية والبحيرة) .

١٢) وثائق وسجلات مديريات القطر المصرى ومحافظاته في القرن ١٩ والتى بلغ عددها ١٥٤٠٧ سجلا بالاضافة الى المحافظ وعددها ٢٢٦ محفظة تحتوى كل منها على ٣٠٠ وثيقة .

ثالثا : مجموعة وثائق السودان :

مجموعة وثائق السودان : كانت تلك المجموعة موجودة في حوزة دار

المحفوظات العربية بالقلعة ثم نقلت الى دار الوثائق - وبقى البعض الآخر هناك في مخزن يطلق عليه مخزن السودان وتفيد تلك الوثائق فى دراسة تاريخ السودان ، وأغلبها يتعلق بالجيش المصرى بالسودان منذ دخول اسماعيل بن محمد على عام ١٨٢٠ م ،

وتفيد مجموعة وثائق السودان في دراسة تاريخ محافظات ومديريات وسواكن ووهرر والتاكا ودنقلة وزيلع وبربر والخرطوم وكردفان وسواحل البحر الأحمر وغيرها من أقاليم السودان وأريتريا .

رابعا : مجموعة وثائق الثورة العرابية :

وتضم مجموعة من التلدرافات المتبادلة بين عرابى وأنصارة فى الجيش ومن الشعب ، ومحاضر لجنة التحقيق بالقاهرة ولجنة تحقيق الأقاليم ، وقضايا المتهمين بالانتماء للثورة العرابية ، وتقارير عن حادث ضرب الاسكندرية سنة ١٨٨٢ ، وتقارير عن اجتماعات العرابيين ، وتقارير عن حادث ضرب الاسكندرية سنة ١٩٨٢ ، وتقارير عن اجتماعات العرابيين ، وقرارات الجمعية العمومية والمجلس العرفى للثورة العرابية ، ووثائق مصادرة أملاك زعماء الثورة العرابية ، ومراسلات بين نظارة الداخلية ومديرية الأمن وبين مأمور سجن العصاة (أى العرابيين) وسجلات بها قيد أملاك العرابيين مثل أحمد عرابى بالشرقية ومحمود سامى البارودى بالدقهلية وما يتعلق ببيع أملاك العرابيين .

خامسا : مجموعة وثائق صندوق الدين :

ضمت هذه المجموعة الى دار لوثائق فى عام ١٩٦٧ ،وهى عبارة عن سجلات صندوق الدين التى كانت بمبنى صندوق الدين بميدان الأوبرا ،

ومعظمها باللغة الفرنسية والقليل منها والنادر بالانجليزية أو العربية ، وتشمل أعمال صندوق الدين والمبالغ المحصلة لحسابه ، وملفات التعويضات التى صرفت للأفراد والهيئات التى أصابتها خسائر نتيجة لحوادث بالاسكندرية ١٨٨٢ ، والحبات العامة لصندوق الدين ، ووثائق تحويل الدين الموحد الى قرض وطني ، هذا بالاضافة الى مجموعة من المطبوعات الخاصة بصندوق الدين والتى أودعت بمكتبة دار الوثائق .

سادسا : وثائق قناة السويس :

وهى باللغة الفرنسية وتقع فى ٦٨ محفظة ، وهى خاصة بالشركة العالمية لقناة السويس البحرية ، وتحتوى علي عقود امتيازات حفر قناة السويس واتفاقيات بين الحكومة والشركة ، وانشاء مدينة بورفؤاد ووثائق تعيين أعضاء مصريين في مجلس ادارة الشركة ، وانشاء كوبرى الفردان وفنار البحر الأحمر ، وغيرها من وثائق الشركة .

سابعا : مجموعة وثائق الحجج الشرعية :

التى سبق أن أشرنا اليها .

ثامنا : مجموعة فرمانات وأوامر كريمة :

صادرة من السلطان الي محمد على وخلفائة بالتركية (العثمانية) وهناك ملخصات لها بالعربية .

تاسعا : وثائق الحجاز :

مجموعة ضخمة من الوثائق الخاصة بأعمال محمد على الحربية بالجزيرة العربية اطلق عليها مجموعة محافظ الحجاز ، وهى ليست خاصة

بالحجاز فحسب ، وانما تضم وثائق عن نجد والخليج العربى ، وأخرى عن عسير واليمن وهذه المجموعة من المجموعات المعتني بها فى الحفظ والتنظيم بدار الوثائق القومية ، وهناك بعض المحافظ والأوزان الخاصة بالحجاز بدار الوثائق ، ولم اتلحق بعد بهذه المجموعة وذلك مثل بعض محافظ للصرة الشريفة وأخرى خاصة بمرتبات بعض الأشخاص بمكة والمدينة.

عاشرا : وثائق أخرى :

بالأضافة الى المجموعات السالفة توجد مجموعات أخرى مهمة خاصة بالشام واليمن وأثيوبيا والحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) باللغة الفرنسية .

وثائق دار المحفوظات العمومية

توجد بدار المحفوظات القومية مجموعة ضخمة من الوثائق المصرية التى ترجع الى العصر العثمانى وعصر أسرة محمد على لم يتم حصرها وتنظيمها حتى الآن ويلاقى الباحثون عنتا ومشقة فى سبيل الاطلاع على محتوياتها ، وهذه الدار من أقدم دور الحفظ فى مصر فقد أنشئت فى عصر محمد على وكان الغرض من أنشائها أن تجمع بها وثائق الدولة في مكان واحد حتى تصان من التلف ويرجع اليها عند الحاجة ، وقد سميت دار المحفوظات العمومية منذ نشأتها الى وقتنا الحاضر بعدة تسميات وتقلبت تبعيتها بين عدة جهات فسميت لأول مرة عند انشاءها سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٩م) باسم الدفتر خانة وهى لفظة فارسية الأصل معناها المكان الذى تحفظ فيه الدفاتر أو دار الدفاتر ثم أصبحت تسمى بعد ذلك أحيانا بالدفتر خانه المصرية، وأحيانا أخرى بدار المحفوظات المصرية ، وأخيرا استقر اسمها الى اسم : دار

المحفوظات العمومية وهى تتبع مصلحة الضرائب العقارية التابعة لوزارة المالية المصرية حاليا ، وتقوم دار الوثائق حاليا بنقل الكثير من محتوياتها المهملة اليها ولكن بطريقة بطيئة .

وأهم ما تحتوى عليه هذه الدار من وثائق هى دفاتر الالتزام في العصر العثمانى وهي عبارة عن سجلات مستطيلة بها بيانات بأسماء النواحى والأموال المقررة عليها وأسماء الملتزمين بالاضافة الى دفاتر الترابيع وهى التى وضعها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ وبها مساحة لكل ناحية من نواحى الالتزام مقدرة بالفدان وأنواع أرض كل ناحية حسب جودتها والمال الميرى المقرر علي كل فدان وهى مكتوبة باللغة العربية ، ومما هو جدير بذكره أن أول من أكتشفها فى هذه الدار هو زميلنا الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن مدرس التاريخ بجامعة الأزهر (كلية البنات) .

وبهذه الدار أيضا دفاتر الرزق الاحباسية الموقوفة ، هذه الدفاتر تحتوى على معلومات هامة عن الأراضى الموقوفة وفيها تتبع لتاريخ كل رزقة وأصحاب حق الانتفاع بها والملتزمين وصور الحجج الشرعية خاصة بها والنزاعات التي دارت حول هذه الأوقاف الى غير ذلك من المعلومات ذات الأهمية القصوى لمن يتعرض لتاريخ الأوقاف المصرية وما يتعلق بها من نواحى اجتماعية ودينية واقتصادية ابان العصر العثمانى .

وهناك دفاتر خاصة بمرتبات موظفى الادارة المركزية والمحلية وغيرهم من الموظفين والتى يطبق عليها دفاتر خدمة الديوان العمومية ، وهناك أيضا دفاتر الجسور الخاصة بالجسور التى وجدت بمصر البلدية منها والسلطانية وبها معلومات كافية عن هذه الجسور طولها وعرضها وعدد فتحاتها وارتفاعها وغير ذلك من المعلومات وثمة وثائق خاصة بمضابط محاكم الاقاليم التى تحتوى

على تسجيل وقائع المحاكم في الريف وأهمها مضابط محاكم المنصورة والاسكندرية ورشيد ودمياط (١) .

مجموعة وزارة الأوقاف المصرية:

هذه المجموعة عبارة عن صور للحجج الشرعية الأصلية للأوقاف المصرية المختلفة التى أوقفها أهل البر والخير من الحكام والأمراء والأعيان وحررت بمحاكم مصر المختلفة في العصرين المملوكى والعثمانى ، وتحتوى هذه الحجج علي معلومات دقيقة خاصة بتحديد أماكن الوقف تحديدا دقيقا والدوافع التى دفعت أصحابة الى وقفه وأغراض هذا الوقف والوجوه التى يصرف ريعه فيها وهى على جانب كبير من الأهلية للباحثين فى تاريخ التعليم فى الأزهر وغيره من المدارس ابان العصر العثمانى .

ووثائق وزارة الأوقاف مجال للعديد من الدراسات فى التاريخ الثقافى والدينى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، فالباحث فى تاريخ الأوقاف الاسلامية يجد فيها مادة وغيره فى مجال اهتمام المسلمين بمؤسساتهم الثقافية والدينية والخيرية والباحث فى التاريخ الاقتصادى يحصل على كثير من المعلومات الهامة عن النقود ومعاملات البيع والشراء والهبة والرهن وغيرها من المعاملات الاسلامية خاصة فى العصر العثمانى،وهى ذات أهمية قصوى لمن يبحث فى تاريخ النظام القضابى،والباحث فى تاريخ الكتابة العربية وتطور الخط العربى يجد فيها نماذج خطية عديدة،وهى أخيرا تضع يدنا على مادة علمية وفيرة فى مجال الصلات الاجتماعية والأوضاع التاريخية والتضامن

(١) انظر بمحتويات المحفوظات العمومية في بحث للدكتور محمود عباس حمودة قدمه الى ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث والمعاصر جامعة عين شمس مايو سنة ١٩٧٧ وانظر أيضا د.عبد الرحيم عبد الرحمن الريف المصرى فى القرن١٨ص ٢٩٩ـ٣٠١ .

الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، والتضامن الأخوى بين بلاد العالم الاسلامى.

وثائق دير سانت كاترين :

دير سانت كاترين هو أحد الأديرة القديمة فى مصر بشبة جزيرة سيناء ، وقد بناه الامبراطور جسيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) على الطراز البيزنطى ، وعلى شكل قلعة من قلاع العصور الوسطى ، ليتفرغ فيه الرهبان لعبادتهم فى مأمن من العربان الذين كانوا يتعرضون لهم قبل بناء الدير ، ويحتوى هذا الدير على مجموعة هامة من المخطوطات والوثائق والأوانى والكئوس والتيجان والصلبان المصنوعة من الذهب والمطعمة بالاحجار الكريمة ، ومجموعة من الايفونات التى لا يوجد لها مثيل فى العالم (صور القديسين والمسيح وامه) .

ويعنينا من هذه الأشياء الوثائق، وهى التى تتعلق بتنظيم الدير والمقيمين فيه وعلاقتهم بالحكومات المتعاقبة والعلاقة بينهم وبين جيرانهم ، وأهمها عبود نبوية وفرمانات عثمانية ، وعهود ومراسيم اخرى ، ومعاهدات وحجج شرعية وفتاوى ، وأوامر صادرة من الحكام ، وتفيد هذه الوثائق فى العلاقات بين أهل الذمة والمسلمين ، مما يقف دليلا على سماحة الاسلام فى ترك هذه الجيوب المسيحية تعيش فى أمان ومنحها ضمانات وامتيازات ، وما لقى رهباتهم وأماقفتهم من تسامح وحماية ورعاية واحترام فى ظل الاسلام ، وهذه الوثائق ترجع الى عهود مختلفة من وقت بنائة حتى العصر الحديث (١).

وتضم مكتبة الدير ٣٣٣١ مخطوطا دونت بين القرنين ٦ـ١٩م ومكتوبة باحدى عشر لغة : العربية والسريانية والحبشة واليونانية والفارسية والسلافية ، والأرمينية والجورجيانية واللاتينية والبولندية ، والجانب الأعظم منها فى

---

(١) انظر د. محمود عباس حمودة ، الوثائق العربية الخاصة بمصر فى القرن ١٩ ، من أبحاث ندوة وثائق تاريخ العربى الحديث ، جامعة عين شمس (مايو ١٩٧٧) .

اللاهوت ، والباقى فلسفة وفلك وفى الرياضيات والموسيقى والتاريخ ، والجغرافيا والطب والقانون .

وتضم من الوثائق ١٧٤٢ وثيقة منها ١٠٤٢ وثيقة بالعربية ونحو ٧٠٠ وثيقة بالتركية ،، وتشتمل تلك الوثائق مختلف مراحل التاريخ : القديم ، عصور وسطى ، عصور حديثة ، ويبدأ الجزء الأخير بالغزو العثمانى لمصر فى أوائل القرن السادس عشر وينتهى بالقرن التاسع عشر .

والمجموعة الحديثة : مقسمة الى قسمين :

القسم الأول: عبارة عن فرامانات من العصر العثمانى وتحمل أرقام من ١٢٥ الى ١٩٩ .

القسم الثانى: عبارة عن معاهدات وتحمل أرقام من ٢٠٠ ـ ٢٦٦ .

وتوجد نسخة كاملة من هذه الوثائق مصورة (بالميكروفيلم) بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وصورة أخرى من تلك الوثائق محفوظة بمكتبة جامعة الاسكندرية بجانب (ميكروفيلم) للمحفوظات العربية والتركية ، وقد وفدت بعثة أمريكية واستطاعت أن تصور جميع الوثائق المحفوظة بمكتبة الدير وكذلك نحو نصف المخطوطات فى عام ١٩٥٠ بالتعاون مع جامعة الاسكندرية، كما قامت جامعة الاسكندرية فى عام ١٩٦٣ بالاشتراك مع جامعتى متشجاه وبرنستون بالولايات المتحدة الامريكية ببعض الدراسات الأثرية والفنية لمحتويات دير سانت كاترين[١] .

---

(١) انظر : د .محمد محمود السروجى ، وثائق دير سانت كاترين بسيناء ، من أبحاث ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس (مايو ١٩٧٧) .

مثال للبحث عن الوثائق :

ولنأخذ مثلا عن طريق جمع الوثائق والأصول التاريخية لموضوع معين مثل : « مخضصات الحرمين الشريفين فى مصر ابان العصر العثمانى » فالباحث فى هذا الموضوع فى دور الوثائق المصرية عليه أن يتجه إلى أرشيف الشهر العقارى بالقاهرة بجانب دار القضاء العالى ، فيجد بها سجلات الديوان العالى ابان العصر العثمانى ، والتى كانت تسجل بها وثائق الصرة الشريفة وغلال الحرمين ، وعليه أولا بالاطلاع على فهرس تلك السجلات لكى يوفر عليه جهدا فى البحث عن الوثائق فى شتى السجلات ، وبعد ذلك يتناول السجلات ،وسيجد بها معلومات وافية عن مخصصات الحرمين التى كانت ترسل من مصر كل عام من أموال وغلال صحبة أمير الحج المصرى سواء كانت هذه المخصصات حكومية أو أهلية .

وسيجد بهذا الأرشيف أيضا سجلات المحاكم الشرعية ابان العصر العثمانى وبها كانت تسجل أوقاف الحرمين الشريفين ، فعلية أن يتناول فهارس تلك السجلات أولا لكى تعينه في الوصول السريع الى مطلوبه ، وسيحصل فى النهاية على مادة علمية غزيرة في مجال موارد مخصصات الحرمين الشريفين وبذلك تتكامل لدية معلومات تاريخية أصلية لا بأس بها عن هذا الموضوع ابان العصر العثمانى .

ويذهب الى دار الوثائق القومية بالقاهرة فيجد بها بعض محافظ خاصة بالصرة الشريفة على أهل الحرمين الشريفين ، وبعض المعلومات المتناثرة فى محافظ الحجاز وسجلات دفاتر الميزانية ، وبعض الوقفيات فى محافظ الحجج الشرعية ، فينقل منها ما شاء وعليه أن يطلب تصوير جانب من تلك الوثائق .

ثم يذهب الباحث بعد ذلك الى أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة حيث يجد العديد من الوثائق الأصلية الخاصة بالأوقاف على الحرمين الشريفين ومنافع الحج وطريق الحج والحجاز بصفة عامة .

ويجب على الباحث أن يصور من هذه الأماكن المختلفة جزءا من الوثائق التى تهمه بطريقة (الفوتستاب) أو (الميكروفيلم) بحسب الضرورة حتى تكون نماذج يستدل بها فى بحثه ودليلا واضحا على كثير من الحقائق التى عرضها فى موضوعه .

وثائق مخصصات الحرمين الشريفين
في مصر إبان العصر العثماني

هذا بحث قدمته الى الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية "حلقة المصادر" والتى نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الرياض ، بتاريخ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ ابريل ١٩٧٧م ، وعنوانها " مصادر تاريخ الجزيرة العربية " ونشر ضمن المجلد الثانى الذى نشرته جامعة الرياض بعنوان "دراسات تاريخ الجزيرة العربية " وكان له وقع طيب في الأوساط العلمية وبعدها بدأت الدراسات تترى عن مخصصات الحرمين الشريفين في مصر في مختلف العصور ودورها في مجال التضامن الاسلامى بين الشعوب الاسلامية وفيما يلى نص البحث :

منذ زمن قديم ومصر تولى اهتماما كبيرا بالحرمين الشريفين ، حرم مكة المكرمة وحرم المدينة المنورة ، وتعلقت أفئدة مسلمى مصر بهما فأخذت تهوى اليهما في كل عام حاملة معها الحب والخير والزاد لأهالى الحرمين .

وتعددت أوجه عناية المصريين بالحرمين الشريفين ، فتعهدوا بكسوة الكعبة وارسال الصرة الشريفة والغلال الى اهالى الحرمين كل عام ، وعمل الكثيرون من الحكام والأمراء وأهل البذل من الأغنياء على وقف كثير من الأراضى الزراعية والعقارات المبنية وخصصوا ريعها (محصولها) لأهالى الحرمين يرسل كل عام على هيئة ما كان يسمى " الصرة الشريفة الى أهالى الحرمين " .

وبين أيدينا وثائق لمخصصات الحرمين في مصر إبان العصر العثمانى ، وهى مسجلة في سجلات محفوظة كوديعة أرشيفية ضمن محفوظات مصلحة التوثيق والشهر العقارى بالقاهرة التابعة لوزارة العدل المصرية ، وهذه السجلات عبارة عن نوعين :

(١) النوع الأول :

ويتعلق بوثائق الصرة الشريفة أى الأموال التى كانت ترسل كل عام من مصر الى أهالى الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة في سجلات الديوان العالى والتى كانت تتبع والى مصر في العصر العثمانى .

(٢) النوع الثانى :

ويتعلق بوثائق موارد ومصادر أموال الصرة الشريفة في مصر ، ونعنى بها وثائق أوقاف الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة في سجلات المحاكم المصرية إبان العصر العثمانى .

وقبل المضى في هذا البحث ينبغى التنويه بادىء ذى بدء بما يأتى :

أولا : أننا بصدد أثر تاريخى هام طالما أهمل في زاوية النسيان وتركت محتوياته دون اطلاع ، على الرغم من تنقلها في خزائن المحفوظات المصرية منذ العصر العثمانى حتى الآن ، وقد آن الأوان لكشف الستار عنها .

ثانيا : أن هذه الوثائق بنوعيها مهمة لمن يتعرضون للكتابة في تاريخ الحرمين وعناية المسلمين بهما ، وتاريخ الحرمين جزء أساسى من تاريخ الجزيرة العربية بل لا نكاد نعدو الحقيقة إذا قلنا : ان تاريخ الحرمين هو العمود الفقرى لتاريخ الجزيرة العربية منذ ظهور الاسلام حتى الآن .

ثالثا : اننى عندما أقدمت على هذه الدراسة كنت أصدر عن تقديس عظيم لنظام الاسلام في مجال التضامن الاجتماعى ليس بين شعب الاقليم الاسلامى الواحد ولكن بين شعوب الاقاليم الاسلامية المختلفة مهما بعدت بينهما الشقة .

وسنتناول في بحثنا هذا كلا النوعين المشار اليهما من الوثائق مع بيان أهميتها في تاريخ العلاقات الاقتصادية بين الحجاز ومصر ، وسنقسم بحثنا الى قسمين :

القسم الأول : ونتحدث فيه عن محتوى تلك الوثائق ومضمونها وأهميتها في تاريخ العلاقات الاقتصادية بين الحجاز ومصر ، والتى هى جزء من تاريخ الجزيرة العربية .

القسم الثاني : وهو دراسة ارشيفية نتحدث فيها عن طبيعة تلك الوثائق ، وكيفية الاطلاع عليها والاستفادة منها .

(القسم الأول)

أما فيما يتعلق بالقسم الأول من هذه الدراسة وأعنى به محتوى ومضمون تلك الوثائق وما اشتملت عليه من معلومات هامة في تاريخ العلاقات الاقتصادية الحجازية المصرية ، فبالنسبة لوثائق الصرة الشريفة أى الأموال المرسلة سنويا الى أهالى الحرمين ، وهى التى توجد مسجلة في سجلات الديوان العالى فإن هذه الوثائق على جانب كبير من الأهمية .

وأول ما وقع تحت أيدينا منها : وثائق صرة عام ١١٥٤هـ(١٧٤١م) ففى تلك السنة كان أمير قافلة الحج المصرية هو المملوك الكبير عمر بك غيطاس أمير اللوا.[١] وقد تسلم صرة لكل وقف من أوقاف الحرمين بمصر [٢] ، وأخذت الحكومة عليه اشهادا خاصا بكل صرة على حدة ، كما أخذت عليه أيضا إشهادا خاصا بالصرة الميرى (الحكومية) أى " المعتاد إرسالها من الحكومة المصرية الى أهالى الحرمين الشريفين.

وتلك الإشهادات عبارة عن وثيقة مكتوبة بحضور شهود من كبار رجال الدولة أمثال : كتخدا الوالى (وكيل الوالى) ودفتردار مصر(رئيس الشئون المالية) وقاضى العسكر (قاضى القضاة في مصر) أو وكيله وهو ما كان يشار اليه بقولهم : " مولانا أفندى " وبعض موظفى الديوان العالى وكتبة الصرة " وغيرهم من الحضار ممن يطول ذكرهم " وجرت العادة في العصر العثمانى أن هذه الاشهادات كانت تكتب بمجلس

---

[١] كان لقافلة الحج في الدولة المصرية شأن كبير ومقام خطير منذ عصر المماليك حتى العصر العثمانى ، وكانت مرتبة أمير الحج في العصر العثمانى في المرتبة الثالثة (بعد الوالى وشيخ البلد) ، وكان صاحبهامرشحا لمنصب شيخ البلد (حاكم القاهرة وزعيم المماليك قاطبة) ، فكان من الناحية الفعلية هو الرجل الثانى في الدولة المصرية بعد ضعف سلطان الوالى العثمانى وقوة المماليك .

[٢] سنتحدث فيما بعد عن هذه الأوقاف .

شرع شريف ينعقد بصيوان (خيمة) أمير الحج المنصوبة بمكان خارج القاهرة يسمى " بركة الحج ".[1]

وتحرر هذه الوثيقة باملاء رزنامجى الديوان العالى (رئيس الكتبة بالديوان) ويذكر فيها مبلغ الصرة (الميرى أو الخاصة بوقف معين من أوقاف الحرمين) مفقطة بالحروف بغير ذكر للارقام الحسابية وجملتها بالاكياس والأنصاف الفضة المصرية ثم تذكر قيمة العملة الذهبية وحساب كل دينار من الذهب (ان وجد) في تلك الأيام ، فعلى سبيل المثال جاء بعد ديباجة صرة الحكومة عام ١١٥٤هـ ما يلى :

" بعد أن تحرر بإملا فخر أرباب القلم الأمير "عبد الله أفندى الرزنامجى" المومى اليه أعلاه أن الصرة الشريفة الميرى الارسالية الى أهالى الحرمين الشريفين شرفهما الله تعالى وعظمهما الى يوم الدين عن واجب سنة أربع وخمسين ومائة وألف جملتها من الأكياس المصرية التى عبرة كل كيس خمسة وعشرون ألف نصف فضة ديوانى : ثلاثماية كيس وسبعة عشر كيسا مصرية وكسور عشرون ألف نصف وماية نصف وثلاثة وعشرون نصفا فضة بحساب الفندقلى[2] ماية نصف وستة وأربعون نصف فضة والزار محبوب ماية نصف وعشرة أنصاف فضة "[3] .

---

[1] بركة الحج : ويقال لها " البركة " و " بركة الحج " وعرفت بالبركة لانخفاض أرضها عن منسوب الأراضى الزراعية المجاورة لها ، ووردت في قوانين ابن مماتى وفي تحفة الارشاد باسم " بركة الجب " واسمها القديم " جب عميرة " وهى من ضواحى القاهرة تقع في الشمال الشرقى منها وتبعد عنها بنحو ١١ ميلا ، وقال عنها المقريزى :

"بركة الجب هى بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة في زماننا (بركة الحج) لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ونزولهم بها عند العودة ومنها يدخلون القاهرة ، وكانت متنزها للملوك والأمراء الفاطميين والايوبيين والمماليك ". أنظر : محمد رمزى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، القسم الثانى ، ج ص٣١. وانظر : المقريزى ، الخطط ، الجزء الثانى ص٢٧٣ طبعة دار التحرير . وانظر : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الجزء التاسع ص ١٦ ، ١٧ طبعة بولاق . وانظر : ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص٤٥ قسم ثانى ، طبعة بولاق القاهرة (١٣١٠هـ - ١٨٩٣م) .

[2] سيأتى الحديث عن أنواع العملة التى كانت متدوالة ابان العصر العثمانى .

[3] انظر : وثيقة رقم ١٨٨ صحيفة ٩١ سجل ١ من سجلات الديوان العالى .

ثم يلى ذلك توزيع هذه الصرة على أهالى الحرمين ، فيعين فيها ما هو لاهالى مكة المشرفة وما هو لاهالى المدينة المنورة ، ثم يعين نصيب شريف مكة منها وشريف جدة ، وأولاد وعيال شريف يحيى باشا وعوايد العربان وأولاد شريف عبد الله بركات وانعام شيخ الحرم النبوى وانعام شريف ينبع المبارك وغيرهم .

وقد فَرّغْتُ بيان توزيع الصرة الميرى لسنة ١١٥٤هـ على أهالى الحرمين من الوثيقة ، ونظمتها في الجدول التالى بالأرقام الحسابية :

أسماء اصحاب المرتبات من الصرة الميرى	كيس	نصف فضة
لأهالى مكة المشرفة والمدينة المنورة	٢٦١	١١٥٤
صرة شريف مكة	٢١	١٥٠٠٠
صرة الشريف حسين بن الشريف بركات	٣	١٠٠٠٠
ثمن ارزبرسم الشريف حسين المذكور	—	١٣٥٠٠
صرة شريف أرخان	١	١١٠٠٠
واجبات أولاد وعيال شريف يحيى باشا	٣	١٣٦٥٢
عوايد عربان	—	٦٤٠٠
صرة ألاد الشريف عبد الله بركات	٣	١٠٠٠٠
ثمن أرز شريف عبد الله بركات	—	١٣٥٠٠
ثمن أرز شريف مكة مع نولون	٦	٢٠٩١٧
عن أنعام شيخ الحرم النبوى	٨	—
انعام شريف أمير ينبع المبارك	٧	٥٠٠٠
جملة الصرة الميرى المرسلة من الحكومة المصريـــة الى أهالى الحرمين الشريفين في عام ١١٥٤هـ [١]	٣١٧	٢٠١٢٣

---

(١) انظر المصدر السابق .
وانظر : لوحة رقم (١) .

وفي نهاية الوثيقة تأتى صيغة الإشهاد وهى كما يلى :

" أشهد على نفسه قدوة الأمرا الكرام ..... الامير عمر بك أمير اللوا الشريف بمصر وأمير الحج الشريف حالا نجل المرحوم ... على بك غيطاس امير اللوا والحج الشريف المصرى كان شهوده الاشهاد الشرعى وهو بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض وتسلم ووصل إليه مبلغ الثلاثماية كيس والسبعة عشر كيسا والعشرون ألف نصف والماية نصف والثلاثة وعشرون نصف فضة مبلغ الصرة الميرى المذكورة أعلاه بالحساب المعين أعلاه قبضا وتسليما ووصولا شرعيات بتمام ذلك وكماله باعترافه بذلك الاعتراف الشرعى " .

" وعليه حمل ذلك وصوله وتسليمه لمن له ولاية تسليم ذلك لاربابه وعليه باحضار ما يشهد له بوصول ذلك حكم المعتاد والجارى به العادة [1] واقع ذلك بحضور (ثلاثة من كتبة الصرة) ... وثبت الاشهاد بذلك لدى مولانا أفندى المومى اليه اعلاه شهادة شهوده ثبوتا شرعيا ... وحرر في سادس عشرين شهر شوال الجارى سنة أربعة وخمسين وماية وألف [2] " .

وتكاد تكون هذه الصيغة هى الصيغة المعتادة التى ظلت تؤخذ على أمير الحج في كل سنة للصرة المرسلة الى أهالى الحرمين من مصر حتى عام ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) وكان يليها في السجل إشهادات اخرى ببقية الأموال المرسلة الى أهالى الحرمين ، فكان يكتب اشهاد بكل صرة مرسلة من أوقاف الحرمين في مصر ، واشهاد بصرة كل وقف من أوقاف سلاطين بنى عثمان وبعض أوقاف اخرى ، وذكرت في عام ١١٥٤هـ كما يلى :

---

[1] بناء على هذا التعهد كان أمير الحج عندما يسلم أموال الصرة الى أربابها يأخذ سندا بذلك ، فيذكر محمد بك صادق أمير أركان حرب سابق وأمين صرة سنة ١٣٠٢هـ في مذكراته : " وبوصولى الى مكة اجريت تسليم الجنيهات الى سعادة الوالى كأمر المالية وصار تفرقة حصة مكة لاربابها واخذت سندا ودفترا بذلك " انظر : محمد بك صادق " كوكب الحج " طبعة بولاق القاهرة سنة ١٣٠٣هـ ص٧٠ .

[2] انظر : وثيقة رقم ١٨٨ صحيفة ٩١ سجل ١ ديوان عالى .

اسم الوقف	صرته في عام ١١٥٤هـ
وقف السلطان مراد ، والسلطان محمود	٥٥٧٢٣٦ نصفا فضة
وقف الدشيشة [1] المحمدية	٤٩٧٩٨٤ نصفا فضة
وقف الحرمين الشريفين	٤٥٥٨٤٢ نصفا فضة
وقف الخاصكية [2] المستجدة	٥٣٧١٠٠ نصفا فضة
وقف السلطان أحمد خان	٢٢٥٠٤٠ نصفا فضة
وقف الدشيشة الكبرى	٧٠٨٧٤٢ نصفا فضة
وقف بشير أغا وكيل دار السعادة	١٥٠٦٧٥ نصفا فضة
وقف الخزينة	٨٠٠٠٠ نصفا فضة
وقف اسكندر باشا	١٢٦٠٠ نصفا فضة
وقف على باشا السبكى	٢٠٠٠٠ نصفا فضة
وقف سنان باشا	٢٢٠٠٠ نصفا فضة
وقف الخاصكية القديمة	١٢٥٠٠٠ [3]نصفا فضة

وذكر فى اشهاد كل صرة من الصرر السالفة بيان توزيعها ما هو لأهالى مكة وما هو لأهالى المدينة ولولا خوف الإطالة لذكرنا هنا بيان توزيع كل صرة.

---

[1] الدشيشة في الأصل (حسو يتخذ من برموضوض وكانت تطبخ بزيت طيب أو دهن كما جاء في الوثائق) وكان يطلق في مصر على أوقاف الحرمين وقال في المعجم الوسيط : الدشيشة طعام رقيق من قمح مدقوق أوقاف الدشايش مع أن الأوقاف كانت لإطعام اهالى الحرمين الدشيشة وغيرها .

[2] الخاصكية : ذكر على مبارك في خططه أن الخاصكية هم جماعة يلازمون السلطان في خلواته وجولاته فأسمهم مأخوذ من الاختصاص ، وهم الذين يسوقون المحمل الشريف ويجرون المهمات الشريفة ، وقد أطلق لفظ الخاصكية على نوعين من اوقاف الحرمين : ١- الخاصكية المستجدة لوالدة السلطان أحمد خان المدعوة عائشة (وهى بتاريخ ١٠٣٦هـ) . ٢- والخاصكية القديم . انظر : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الجزء الثانى عشر ص٢٧ .

[3] انظر وثائق هذه الصرر في سجل الديوان العالى بالأرقام الآتية : ١٨٩ ، ١٩٠ - ٢٠٠ . وانظر لوحات من ٢ - ٨ .

وصفوة القول أن سجلات الديوان العالى ظلت تفرد لصرة كل وقف اشـــهادا على حدة حتى سنة ١٢٢٨هـــ (١٨١٣م) ففى تلك السنة استولى محمد على باشـــا على أوقاف مصر كلها وأدخل ريع أوقاف الحرمين الى خزينة الروزنامة [1] المصريـــة ، وابتداء من تلك السنة كان يسجل على أمير الحج إشهاداً تذكر فيه جميع الاموال التى يحملها معه الى أهالى الحرمين بما فيها الصرة الحكومية وأوقـــاف الحرمـــين وأوقـــاف سلاطين آل عثمان فى مصر (والتى كانت تسمى بأوقاف أغـــات دار الســـعادة) وأوقاف أخرى ، وتليها وثيقة ثانية يذكر فيها بيان بتوزيع كل صرة بالنسبة لما يخـــص أهالى مكة وأهالى المدينة .

وهذه بيانات آخر صرة ذكرت في سجلات الديوان العالى لعـــام ١٢٧٤هـــ (١٨٥٦م) ومبلغها : ٤٢٣٤كيس ، ٨٧٤٦ نصف [2] .

نصف فضة	كيس	جهة الصرف وبيان التوزيع
٣٩٣٤	٨٣٤	من جهة الخزينة العامرة وهو مبلغ الصرة الميرى
١٤٢٥٤	١٢٧	من جهة اوقاف اغات دار السعادة واربـــاب خـــيرات واحكار بمصر توزيعها (٦٨كيس ، ١٦٥٤نصف فضـــة لأهالى مكة)،(٥٩كيس ، ١٢٦٥٠نصف فضة لأهالى المدينة).
٦/٠٥٥	٣٢	من جهة اوقاف برائية معتاد صرفها من الخزينة العـــامرة بالرزنامه توزيعها (٨كيس ، ١٨٧٣نصف فضة لأهـــالى مكة)،(٢٣ كيس ، ٨٣٨٢نصف فضة لأهالى المدينة)
١٩/٠٥١	٢٩٤	عوائد الاشراف والعربان بمكة والمدينة .
٤/٠٢٠	٦٣	انعامات باسم الاشراف والعربان بمكة والمدينة

[1] الروزنامة : كلمة فارسية مؤلفة من لفظتين : (روز) بمعنى نهار ، و (نامة) بمعنى سجل أو كتاب ، ومعناها سجلات الأحوال اليومية .

[2] انظر : وثيقة رقم ٩٤ صحيفة ١٠٧ سجل ديوان عالى ، ويلاحظ ان الكيس في عام ١٢٧٣هـــ اصبح يساوى ٢٠٠٠٠ فضة . وكان في سنة ١١٥٤هـــ يساوى ٢٥٠٠٠ فضة .

١٧١٦٧	١٢٨٦	مصاريف الزخاير بمكة والمدينة ومطلوب الابالة بجده لغاية سنة ١٢٧٠هـ .
١٦٦٤٠	٤٣٥	مرتب اطعام طعامية بتكيات مكة والمدينة عن ايراد وقف محمد على باشا . توزيعها (١٥٣كيس ، ١١٨٤٠نصف فضة مرتب تكيات مكة المكرمة) ،(٢٨٢ كيس ، ٤٨٠٠نصف فضة مرتب تكيات المدينة المنورة)
١١٣٨٥	٥٥٧	مرسل أمانات للمتقاعدين المجاورين بمكة والمدينة وجده من ديوان الرزنامه .
١٧٢٨٠	٥٣	مصاريف دايرة المحمل الشريف والصرة الشريفة ذهابا وايابا .
٨١٦٠	٥	بدل كسوة العلامة السيد محمد الكتبى .
١٩٠٠٠	٦٠	عن بدل غلال مرتب ارباب وظايف بالمدينة .
٨٠٠	٢٥	فائض التزام اشراف مكة والمدينة .
٣٥٠٠	٢٧	مرتب يومية عربان الحجاز البرابره الذى كان جارى صرفه بالمحروسة .
٥١٠٠	٢٥٥	عن غلال اجرة الجمال المستأجرة هذا العام .
	١٧٤	عن المستجد باسم حضرة شريف مكة المكرمة .

وإذا نظرنا الى الأموال المرسلة الى أهالى الحرمين الشريفين على مدى (١٢٠ عاما) نظرة مقارنة بين اول صرة مسجلة بسجلات الديوان العالى وآخر صرة به ، فإننا نجد ما يلى :

أن الصرة الميرى (أى المرسلة من ميزانية الحكومة المصرية قد تضاعفت بمرور السنين ، فقد كانت في عام ١١٥٤هـ ٣١٧ كيسا وكسورا [1] بينما اصبحت في

[1] انظر : وثيقة ١٨٨ صحيفة ٩١ سجل رقم ١ ديوان عالى .

عام ١٢٧٣هـ ٨٣٤ كيسا وكسورا [1] كما تضاعفت الأموال المرسلة بوجه عام ، حتى أصبحت اضعاف اضعاف ما كانت عليه في العصر العثماني المملوكي ، فبينما كان مجموع المرسل من أموال مع أمير الحج في عام ١١٥٤ هو مبلغا قدرة من الأكياس التي عبرة كل كيس منها خمسة وعشرون ألف نصف نحو ٤٣١ كيسا تساوي ٥٠٠ ,٢٣٢, ٣ جنيها مصريا بالعملة في الوقت الحالي أضحى في عام ١٢٧٣هـ مبلغا قدره من الاكياس التي عبرة كل كيس منها عشرون ألف نصف نحو ٤٢٣٤ كيسا [2]تساوي ٠٠٠, ٤٠٤, ٢٥ جنيها مصريا بالعملة في الوقت الحاضر [3]

أما بالنسبة إلى صرر اوقاف الحرمين وأوقاف سلاطين آل عثمان في مصر ، فإنها قد تناقصت وفي الجدول التالي ما يوضح ذلك :

الوقف	صرة عام ١١٥٤هـ	صرة عام ١٢٧٣هـ
وقف السلطان محمد	٤٩٧٩٨٤ فضة	٢٩٢٨٠٠ فضة
وقف السلطان أحمد	٢٢٥٠٤٠ فضة	٢٢٣٢٤٠ فضة
الخاصكية المستجدة	٥٣٧١٠٠ فضة	٥٣٢٧٨٠ فضة
وقف الحرمين	٤٥٥٨٤٢ فضة	٣٥١٣٦٨ فضة
الدشيشة الكبرى	٧٠٨٧٤٢ [4] فضة	٤٠٤٤٧٥ [5] فضة

[1] انظر : وثيقة رقم ٩٤ صحيفة ١٠٧ سجل رقم ١٠ ديوان عالي .

[2] قارن هذه المبالغ بما ذكره المقريزي عما كان يصرف زمن الفاطميين حين قال : "في كتاب الزخار والتحف ان المنفق على الموسم (الحج) كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة الف وعشرين ألف دينار وان النفقة كانت في ايام الوزير اليازوري قد زادت في كل سنة وبلغت مائتي ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول" . انظر : المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٢ ص٢٧٨ .

[3] هذا بحساب أن النصف فضة تساوي ١٦ قمحة من الفضة وهي تساوي تقريبا ٣٠ قرشا مصريا في الوقت الحاضر .

[4] انظر : إشهادات عام ١١٥٤هـ وثيقة ١٨٨ وما بعدها رقم ١ ديوان عالي .

وبمراجعة صرة عام ١٢٧٣هـ نجد أن بها أوقافا للحرمين لم تكن موجودة في عام ١١٥٤هـ وفي مقدمتها وقف " جنتمكان (ساكن الجنان) المغفور له الحاج محمد على باشا طاب ثراه " وذلك بنص ما جاء في إشهاد تلك الصرة وهو وقف عظيم المحصول يصرف ريعه على تكيات مكة والمدينة كما سلف .

أرقام حسين أفندى الرزنامجى [1] :

بالرجوع الى الارقام التى ذكرها مؤرخ النظم المصرية في العصر العثمانى " حسين افندى الرزنامجى " وجدنا أن أرقام المبالغ التى ذكرها تمثل الريع الأصلى لأوقاف الحرمين الشريفين في مصر أى أنها المبالغ المقبوضة من الملتزمين وذلك قبل خصم " مرتبات وخيرات وعوائد الناظر (ناظر الوقف) وعوائد الكتبة (كتبة الوقف) " وهناك فارق كبير بين ريع الوقف وبين الصرة المرسلى الى الحرمين كان يصرف في مصر على ادارة تلك الاوقاف .

فعلى سبيل المثال ذكر حسين افندى ان ما كان يقبض من الملتزمين على المحمدية (وقف السلطان محمد) هو مبلغ ٥٠ كيسا ، ٥٦٠٤ أنصاف من الفضة [2] =

---

[*] انظر : اشهاد سنة ١٢٧٣هـ وثيقة رقم ٩٤ ص١٠٧ سجل ١٠ ديوان عالى .

[1] ابان حوادث الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣هـ - ١٢١٦هـ (١٧٩٨-١٨٠١م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفية جباية اموالها ، ولقى الفرنسيون عناء شديدا تجاه جمع المعلومات المطلوبة وذلك لفرار الباشا والرزنامجى (كبير الادارة المالية) واستعان مدير المالية الفرنسة استيف (ESTEVE) برجل من رجال الرزنامة في مصر وهو (حسين افندى الرزنامجى) ، فاجابه على الأسئلة التى وجهها اليه ، ونظم حسين أفندى اجاباته في ستة عشر بابا ، وكان هذا بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦هـ (اواخر مايو سنة ١٨٠١م) أى قرب انتهاء العهد الفرنسى ، وتقع هذه الابواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ تاريخ ، وقد نشرها المرحوم المؤرخ شفيق غربال وعلق عليها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة .

انظر : شفيق غربال ، مصر عند مفترق الطرق مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الاول ، مايو سنة ١٩٣٦ ص٥ .

[2] المرجع السابق ص ٤٥ .

١٢٥٥٦٠٤ أنصاف من الفضة [1] ، وما أرسل منها صـــــرة الى الحرمـــين في عـــام ١٢١١هـــ اى قبل الحملة الفرنسية مباشرة طبقا لما ورد في سجلات الديوان العالى ، هو مبلغ ٦٩٦٤٨٠ نصفا فضة [2] أى بما يزيد عن نصف ريعها بمبلغ ٦٨٦٧٨ نصفا فضة .

وذكر أيضا ان ما كان يقبض من الملتزمين على وقف المرادية (السلطان مراد) [3] مبلغا قدره ٨٨ كيسا و ٥٦٠٤نصف فضة [4] تساوى ٢٢٠٥٦٠٤ فضــــة، ومـــا أرسل منها صرة الى أهالى الحرمين طبقا لسجلات الديوان العالى في عام ١٢١١هـــــ هو مبلغ ٥٨٨٨٨٦ فضة [5] أى ما يزيد عن ربع ريعها الأصلى بقليل .

وما كان يحصل من الملتزمين على وقف الاحمدية (وقف السلطان أحمد) مبلغـــا قدره (٢٣ كيسا و ٦٠٢٨نصف فضة) [6] تساوى ٥٨١٠٢٨ فضة ، وما أرســـل منها صرة الى أهالى الحرمين الشريفين طبقا لوثائق الديوان العالى في عام ١٢١١هـــــ هو مبلغ ٢٢٥٠٤٠ فضة [7] أى أقل من نصف ريعها الأصلى .

وذكر حسين أفندى أخيرا أن وقف الدشيشة الكبرى وهو وقف السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١هـــ) مبلغا قدره (٧٤ كيسا و ١٥٩٨٨نصف فضـــــة) تســـاوى

---

[1] كان حساب الكيس في تلك الايام يساوى ٢٥٠٠٠ نصف فضة .

[2] انظر : سجلات الديوان العالى سجل رقم ٢ وثيقة ٤٩١ صحيفة ٣٠٤ .

[3] يلاحظ أن الوثائق المتاحة حتى الآن تذكر نوعين من وقف الحرمين تحت اسم مراد : الاول باسم مراد فاتح بغداد (مراد الرابع ١٠٣٣ - ١٠٥٠هـــ) والثانى باسم مراد خان فقط وتذكر حجج وزارة الاوقاف المصرية انه مراد الثالث بن سليم . انظر : وثيقة رقم ١٣٢ ص٦٧ سجل ٥ ديوان عالى . وانظر أيضا : محفوظات وزارة الاوقـــاف المصرية وثيقة رقم ٩٠٦ .

[4] شفيق غربال ، مرجع سبق ذكره ص٤٦ .

[5] انظر سجلات الديوان العالى سجل رقم ٢ وثيقة ٤٩٠ ص٣٠٤ .

[6] شفيق غربال ، مرجع سبق ذكره ص٤٦ .

[7] انظر : وثيقة ٤٨٨ ص ٣٠٤ سجل ٢ ديوان عالى .

١٨٦٥٩٨٨ فضة [1] وما أرسل منها صرة الى أهالى الحرمين في سنة ١٢١١هـ هو مبلغ ٤١٦٤٧٥ فضة [2] ، أى أقل من ربعها الأصلى .

ويمكننا أن نخرج من هذه الدراسة المقارنة بأن محصول أوقاف الحرمين الشريفين في مصر كان يصرف نحو ثلثيه في المتوسط على إدارة تلك الاوقاف ويرسل منه صرة الى أهالى الحرمين في المتوسط نحو ثلث هذا المحصول .

غلال الحرمين :

على الرغم من أن حسين أفندى الرزنامجى يذكر أنه كانت هناك غلال معينة على بعض قرى وقف الحرمين تصرف كل عام لأهالى الحرمين ، فهو يذكر أن لوقف المحمدية تساوى ٥, ٢٠٧٨٩ اردب من القمح ، ولوقف المرادية تساوى ١٣٨٤٠ اردبا ولوقف الدشيشة الكبرى (قايتباى) تساوى ١/٣ ٣٣٣٣٣ اردب من القمح [3] ، على الرغم من ذلك الا أن ذكر الغلال في وثائق الصرة لم تكن منتظمة كل عام ، واذا ذكرت احيانا فانها تذكر على أنها من المتأخر .

ففى وثيقة صرة الدشيشة المحمدية في عام ١١٥٤هـ ان بقية ارسالية سنة ١١٥٣هـ من الغلال الحنطة لاهالى الحرمين : " ثلاثة آلاف اردب وسبعماية اردب وستة ارادب سعر كل اردب من ذلك اربعة وستون فضة " [4]

وفي وثيقة صرة الدشيشة الكبرى في عام ١١٥٤هـ ان بقية ارسالية سنة ١١٥٢هـ من الغلال لاهالى الحرمين هى = ٤٥٦٦ اردباً وثلثى إردب وزعت على الوجه التالى :

٤٠٠ اردب لاهالى مكة المشرفة

٥٠٠ اردب لسيد الجميع (شريف مكة)

---

[1] شفيق غربال ، ص٤٦ .

[2] وثيقة ٤٨٥ ص٣٠٣ سجل ٢ ديوان عالى .

[3] انظر : شفيق غربال مرجع سبق ذكره ص ص ٤٥-٤٧ .

[4] انظر : وثيقة رقم ١٩٠ ص٩٢ سجل ١ ديوان عالى .

٣٦٦٦ اردباً وثلثى إردب لاهالى المدينة المنورة [1]

وكان سبب تأخر غلال الحرمين هو انخفاض النيل أحيانا مما يعطل ارسال هذه الغلال لانخفاض انتاج الأراضى الزراعية ، وفي كتاب تقويم النيل نجد انه عندما ينخفض النيل تشح الأقوات في مصر وعلى الأخص الغلال : " ترتفع الغلال من العرصات والسواحل بالكلية وتزيد اثمانها " [2] لتوقع الغلاء وقلة الانتاج في المحصول القابل .

ومن ثم فإننا نجد في الحجة الشرعية التى كانت تؤخذ يوم عيد وفاء النيل إذا أوفى النيل بالزيادة المطلوبة نصا يقول : " فبلوغ ماء النيل المبارك سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع ... حل على ملتزمى القرى المصرية المال الميرى لجهة الديوان العالى ... وغلال الحرمين الشريفين والأنبار الشريفة " [3]

كسوة الكعبة :

منذ أن استقر إرسال الكسوة من مصر في عهد سلاطين المماليك ، أوقف عليها الملك الناصر محمد بن قلاوون قريتى باسوس وسندبيس من أعمال القليوبية [4] ومن ثم كانت ترسل كسوة الكعبة الخارجية السوداء سنويا ، وترسل كسوة داخلية من الحرير الأحمر وبأخرى خضراء للحجرة النبوية الشريفة .

ولما أستولى العثمانيون على مصر أختصوا بكسوة البيت الداخلية وكسوة الحجرة الشريفة النبوية ، واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية ، ومن ذلك الوقت صارت هذه الكسوة المباركة ترسل من مصر سنويا حتى سنة ١٩٦٢م حيث تعطل إرسالها من مصر الى الآن .

---

[1] انظر : وثيقة رقم ١٩٤ ص٩٤ سجل ١ ديوان عالى .

[2] انظر : امين سامى باشا ، تقويم النيل ، الجزء الثانى ، سنوات (١٠٥٠، ١٠٥١ ، ١٠٦٠،١١٠٦، ١٢١٨ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣هـ .

[3] انظر وثيقة رقم ٤٨٣ ، ص ٣٠٣ سجل ٢ ديوان عالى .

[4] لبيب البتانونى : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية ص ١٣٦ .

ولما ضعف ريع قريتي باسوس وسندبيس عن الوفاء بمصروفات الكسوة في عصر السلطان سليمان القانونى أمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثـم اضـاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخرى وقفها على كسوة الكعبة الشريفة ، فصار وقفـا عامرا فائضا مستمرا [1] .

وكان لها أشهاد مثل اشهاد الصرة يؤخذ على أمير الحج في ميدان القلعة بالقاهرة في مجلس يحضره العلماء ويبدأ موكبها من المكان المعروف بمصطبة المحمل الى مسـجد الحسين حيث يتسلمها المحاملى ثم توضع في صناديق وترسل مع قافلة الحج المصرية ، ويرسل معها غلايتان من النحاس مملوءتان بماء الورد النقى لغسيل الكعبة [2] .

وكانت اشهادات الكسوة تسجل في سجلات الديوان العالى ولغـة التسجيل غالبا ما كانت هى اللغة العربية ونادرا ما كانت تسجل باللغة التركية [3] ، ولم يكن باشهاد الكسوة تفصيل سوى أن يذكر أن فلانا " قد تسلم المحمل الشـريف [4] والكسوة الشريفة بتمامها وكمالها ليوصلها الى الحرم المكى على جـرى العـادة وعليه حفظ ذلك وتسليم الكسوة الشريفة لمن له ولاية تسليم ذلك وحفـظ المحمـل الشريف ذهابا وإيابا كما هو لازم عليه شرعا " [5] .

---

[1] انظر : كتاب : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام على هامش كتاب : " خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام " ص٤٧ ، طبعة المطبعة الخيرية ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ .

[2] المرجع السابق ص ١٤١ .

[3] انظر : وثيقة رقم ٥٠٢ ص ٣١٢ سجل ٢ ديوان عالى .

[4] المحمل : يطلق على الجمل الذى يحمل الهدايا الى الكعبة وكان يزين بأبهى زينة ، ولما باغلوا في زينتـه ، أصبـح الجمل لا يستطيع أن يحمل سوى كسوته فقد أصبحت كسوة المحمل في عام ١٣٢٨ هـ مع هيكله الخشبى لا تقل عن ١٤ قنطارا ، وصار ما كان يحمل عليه من الهدايا يحمل في صناديل على جمال أخرى تسير مع قافلة الحج . انظر : الرحلة الحجازية ، لبيب البتانونى ص ١٤٠ - ١٤٣ .

[5] انظر : اشهاد سنة ١٢٢٨ هـ وثيقة رقم ١٢٤ ص ٤٤ سجل ٤ ديوان عالى .

وفي القليل النادر كانت تذكر أوصاف الكسوة وعدد قطعها وألوانها ،وذلك مثل اشهاد كسوة سنة ١٢٣٩هـ فقد ذكرت فيه بعض تفصيلات من هذا القبيل [١] .

الأهمية الاقتصادية لتلك الوثائق :

تلقى وثائق الصرة الشريفة أضواء كثيرة على العلاقات الاقتصادية بين مصر والحجاز حيث تعطينا فكرة واضحة مدعمة بالأرقام على أن الوحدة التى كانت بين مصر والحجاز في العصر المملوكى لم تنفصم عراها نهائيا بالفتح العثمانى بل بقيت لها آثار قوية وملموسة في المجال الاقتصادى بسبب الروابط الاسلامية القوية ، فقد تكلفت مصر بجانب كبير من احتياجات أهل الحجاز بإرسال الأموال السنوية في شكل صرة وإرسال الغلال السنوية الى أهالى الحرمين .

ويمكننا من خلال المخصصات التى كانت ترسل الى أسر الأشراف في الحجاز أن نتتبع مدى قوتهم وضعفهم تبعاً لازدياد مخصصاتهم ونقصها من الصرة الشريفة كل عام مما يلقى ضوءا على تاريخ أشراف الحجاز في العصر العثمانى .

وحيث أن المعاملات في الحجاز منذ عصر المماليك [٢] ظلت كما هى في مصر فإن وثائق الصرة الشريفة لها أهمية في مجال المعاملات والأسعار والنقود ، فتعطينا تلك الوثائق أسماء لبعض النقود الفضية والذهبية التى كانت مستعملة في عام ١١٥٤هـ وما بعدها في مصر والحجاز وهى :

ـــ الفضة : (نصف فضة) وهى عملة تركية ضربت من الفضة وكانت تساوى واحد من أربعين من القرش الرومى (العثمانى) [٣] وقل ما فيها من فضة تدريجيا وزاد ما فيها من النحاس حتى أصبحت في عام ١٣٠٢ هـ تساوى في الحجاز واحد من

---

[١] انظر : وثيق رقم ٤١٢ ص١٠٧ سجل٦ ديوان عالى .

[٢] ذكر القلقشندى في كتابه " صبح الأعشى " عن معاملات الحجاز في عهده (المملوكى) قال :" أما عن معاملاتها (الحجاز) فعلى ما تقدم في الديار المصرية والبلاد الشامية من المعاملة " . انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، طبعة دار الكتب المصرية ج٤ ص٢٧٥ .

[٣] انظر : وثيقة رقم ١١١ ص ٢٦ سجل ٣٢ باب عالى .

سبعين من القرش العثمانى [1] وأطلق الأتراك على نصف الفضة "بارة" وهى تـرادف "الفضة " أو "نصف الفضة " وتساوى بالعملة الحالية ٣٠ قرشا مصريا .

ـــ الدينار الفندقلى أو " البندقى " وهو نقد تركى من الذهب أطلق عليـــه اسمـــه استنادا الى زخرفة الحبيبات التى تشبه البندق أو " الفندق " في أطراف هـــذا النقـــد قرب دائرة [2] وتذكر تلك الوثائق أن الفندقلى منه قديم وهو بسعر = ١٦٥ فضـــة وفندقلى جديد = ١٤٦ فضة [3] .

ـــ الدينار (زر محبوب) أو (زار محبوب) وزر لفظة فارسية تعنى الذهب وبهـــذا فإنه يعنى الذهب المحبوب ، وهو نقد تركى ضرب في عهد السلطان مصطفى الثـــانى (١١٠٧ – ١١١٥هـ) وهو يزن أربعين حبة أى ٦ ,٢ جرام وتذكر وثائق الصـــرة أن سعره في عام ١١٥٤هـ كان يساوى ١١٠ فضة [4] .

ـــ الدينار (الجنزرلى) أو (الزنجرلى) يكاد يكون مرادفا لدينـــار الـــزر محبـــوب ومساويا له ، ولذلك فهو في عام ١١٥٤ هـ يساوى أيضا ١١٠ فضة وسمى بذلـــك نسبة الى الحافة الشبيهة بالجنزير [5] .

ـــ القرش (الغرش) وهو من الفضة ضرب لأول مرة في تركيا في عهد الســـلطان سليمان الثانى (١٠٩٩– ١١٠٣ هـ) وضرب في مصر في عهد على بك الكبـــير لأول مرة في سنة ١١٣٣هـ (١٧٦٩م) وكانت قيمة القرش في سنة ١٢٧٢هـ =

---

[1] انظر : مذكرات محمد بك صادق ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٠ .

[2] انظر : النقود المتداولة أيام الجبرتى للدكتور عبد الرحمن فهمى ، بحث مقدم الى ندوة عبد الرحمن الجبرتى وعصره ١٦ – ٢٣ أبريل ١٩٧٤ .

[3] انظر : وثيقة رقم ١٨٨ ص ٩١ سجل ١ ديوان عالى .

[4] انظر : وثيقة رقم ١٩٠ ص ٩٢ سجل ١ ديوان عالى .

[5] عبد الرحمن فهمى مرجع سبق ذكره ، ص٣٠ .

٤٠ فضة ، وكان يطلق عليه أحيانا اسم "القرش الرومى" أو " القرش التركى [1] وفي سنة ١٣٠٢هـ كانت قيمته في مكة = ٧٠ فضة [2] .

ـــ الريال : (REAL) بمعنى ملكى وهو في الأصل عملة أسبانية ، وأطلق الريال في العالم العربى منذ القرن السابع عشر الميلادى على نقود فضية كبيرة فرنسية وأسبانية وهولندية وألمانية ونمساوية وكان الريال في عام ١١٥٤هـ يساوى (٩٠) فضة كما تذكر وثائق الصرة [3] .

ـــ الكيس : وهو عبارة عن عبوة من القماش تملأ بالنقد الفضى (نصف فضة) وكان الكيس يساوى أو يسع ٢٥٠٠٠ فضة في سنة ١١٥٤هـ ، وفي أول عصر محمد على أصبح الكيس يساوى ٢٠٠٠٠فضة ، وظل كذلك حتى عام ١٢٧٣هـ وكان يساوى من القروش التركية ٥٠٠ قرش .

وكانت توضع في الوثائق قيمة كل نقد من هذه العملات المتداولة مقدرا بالأنصاف الفضة العددية .

وأما فيما يتعلق بالنوع الثانى :

وهو وثائق مصادر وموارد مخصصات الحرمين في مصر ، فإنها عبارة عن عديد من الوثائق لم يتم حصرها بعد مسجلة في سجلات المحاكم المصرية في العصر العثمانى تتحدث عن أوقاف عديدة لاهالى الحرمين ، وهى في كثرتها إن دلت على شيء فإنما تدل على اهتمام المصريين بالعناية بالحرمين الشريفين ، وكان يطلق عليها أوقاف الدشايش (جمع دشيشة) وسنكتفى هنا بالإشارة الى الانواع الرئيسية منها ، ونرجىء الحديث عنها تفصيلا الى أبحاث قادمة بإذن الله وتوفيقه وفيما يلى أهم هذه الاوقاف :

[1] انظر : وثيقة رقم ٢٥ ص٦٨ سجل ٧ مبايعات الباب العالى .

[2] انظر : محمد بك صادق ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٠ .

[3] انظر : وثيقة رقم ١٩١ ص ٩٣ سجل ١ ديوان عالى .

١ – وقف الحرمين الشريفين ، وهي أوقاف عديدة منها الخيرى والأهلى ، مما كـــان يوقفه أهل البذل والخير في مصر على أهالى الحرمين ، وتوجد له وثـــائق – عديـــدة مسجلة في محاكم القاهرة إبان العصر العثمانى [١] ، وسنشير الى هذه المحاكم في جدول لاحق .

٢ – وقف السلطان قايتباى (٨٧٢ –٩٠١هـ) وهو ما كان يســـمى بالدشيشـــة الكبرى [٢] .

٣ – أوقاف سلاطين آل عثمان وهى ما كانت تسمى بأوقاف أغـــات دار الســـعادة وهم السلاطين : مراد الثالث بن سليم بتاريخ ٩٩٧هـ بوزارة الأوقاف (تحت رقـــم ٩٠٦) ، ومراد الرابع ومصطفى (؟) ومحمد (؟) وأحمد (؟) ومحمود بن مصطفى خان [٣] ووقف الخاصكية القديم (؟) ووقف والدة السلطان مراد خان [٤] (؟) ابن السلطان أحمد خان المدعوة عائشة وقفية بتاريخ ١٠٣٦هـ (تحت رقم ٩٠٧ بوزارة الأوقاف).

٤ – وقف اسكندر باشا (٩٦٣ – ٩٦٦هـ) .

٥ – وقف سنان باشا (٩٧٩ – ٩٨٠هـ) .

٦ – وقف عبد الرحمن كتخدا (ت ١١٩٠هـ) .

٧ – وقف محمد على باشا (١٢٢٠ – ١٢٦٤ هـ) .

---

[١] انظر منها على سبيل المثال : وثيقة رقم ١١١ ص٢٦ سجل ٣٢ محكمة الباب العالى ،ووثيقة رقـــم ٢٥٢٥ ، ص٤٢٥ ، سجل٤٢ محكمة الباب العالى ، ووثيقة رقم ١١٤٥ ، ص٢٠٥ ، سجل٤٩محكمة الباب العالى .

[٢] انظر منها على سبيل المثال : وثيقة رقم ٣٢٨ ص١١٦ سجل ١٤٨ محكمة الباب العالى ، ووثيقة رقم ٤٦٣ ، ص١٣٧ سجل ١١٥ محكمة الباب العالى .

[٣] انظر محفوظات وزارة الاوقاف وثيقة رقم ٩٠٨ .

[٤] ذكرت أسماء الســلاطين كما وردت في وثائق الصرة وأغلبها يحتاج الى ايضاح مثل : مصطفى هل هو الأول أو الثانى ... الخ وغيره من الســلاطين .

وكانت تلك الأوقاف في بدايتها مستقلة كل منها عن الآخر ولكل منهـــا ادارة خاصة بها تدير شئونها تتكون من ناظر للوقف [1] وخـــازندار وكتبـــة ومباشـــرين وغيرهم ، وعندما استولى محمد على باشا على الاوقاف في مصر في سنة ١٢٢٨هـــ اصبحت هناك إدارة واحدة لكل أوقاف الحرمين بأنواعها المختلفة ، وكان ناظرها في سنة ١٢٥٤هــ هو حسنى بك يكن ، وفي ١٢٧٢هــ هو ابراهيم باشـا ادهـم [2] وعلى الرغم من وجود خزينة خاصة بها وخازندار وديوان لموظفيها للإشراف علـــى أملاكها وعمائرها ، إلا أن أموالها كانت تورد لخزينة الرزنامة العامرة ثـــم تصـــرف الصرة بعد ذلك الى أمير الحج من الرزنامة .

وعلى كل حال فإن وثائق موارد أوقاف الحرمين (وثائق الموارد) تلقى ضـــوءا على أحوال تلك الأوقاف وإدارتها وكيفية تنميتها والمحافظة عليها لأهميتها الشريفة ، وتمدنا بمعلومات ضافية عن نشأة هذا الوقف ودوافعه وأهدافه الدينيـــة والاجتماعيـــة والاقتصادية وتطوره ثم انهياره فيما بعد عندما استولت عليه الدولة ، كما تمدنا تلك الوثائق بأسماء لكثير من الواقفين على الحرمين وكثير من الموظفين الذين تداولوا علـــى إدارة الأوقاف ، ويمكننا من خلال دراسة تلك الوثائق أن نخرج بتصور عـــام لتلـــك الأوقاف ، والنظام الذى كان متبعا للوقف على الحرمين.

ومن ناحية أخرى تعطينا فكرة عن الاجراءات القضائية التى كـــانت متبعـــة في التقاضى ونظام وتاريخ المؤسسات القضائية في العصر العثمانى ، كما كما توضح لنـــا تلك الوثائق جانبا كبيرا من الحياة العمرانية والاجتماعية ، ونظام الوقف بوجه عام .

---

[1] انظر : وثيقة ١١١ ص٢٦ سجل رقم ٣٢ باب عالى ، وفيها ان ناظر اوقاف الحرمين في عام ٩٧٩هـــ هـــو (فخر التجار المعتبرين أحمد جلبى بن عبد الرحمن) .

[2] انظر : وثيقة رقم ٢٥ ص٦٨ سجل ٧ مبايعات الباب العالى .

(القسم الثانى)

وأما فيما يتعلق بالقسم الثانى من هذه الدراسة وهى الدراسة الأرشيفية لوثائق الصرة بسجلات الديوان العالى ، ووثائق أوقاف الحرمين بسجلات المحاكم المصرية في العصر العثمانى ، فيمكننا أولا أن نشير في عجالة سريعة الى تاريخ تلك الوثائق .

كانت سجلات الديوان العالى محفوظة أولا بالقلعة مقر الديوان العالى نظرا لتبعيتها للوالى العثمانى ، كما كانت سجلات المحاكم محفوظة في محاكمها الخاصة بها كذلك وقد جمعت تلك السجلات ونقلت في أوائل عصر محمد علـى وأودعت في خزينة كانت تسمى : " خزينة السجلات العامرة " ومقرها محكمة الباب العالى [1] بقصر الأمير ماماى [2] بحى الجمالية بالقاهرة وهو المعروف ببيت القاضى .

ثم نقلت تلك السجلات في تاريخ مجهول الى قصر مصطفى رياض باشا بخط بركة الفيل بالحلمية الجديدة بالقاهرة وبه مقر محكمة نور الظلام الشرعية (وسميت نور الظلام لأنه يوجد بالقرب منها ضريح يسمى الشيخ نور الظلام) وكان هذا النقل على ما يبدو لسهولة التقاضى ونقل الحجج الشرعية منها عندما يطلبها الورثة والمتقاضون .

وفي حوالى سنة ١٩٦٢م نقلت الى دفترخانة محكمة الأحوال الشخصية بشبرا أول شارع جزيرة بدران بعد نفق شبرا مباشرة ، وكان بهذه المحكمة قسم خاص بالمحفوظات ، ومن ثم اشتهرت تلك السجلات لدى الباحثين بسجلات المحكمة الشرعية لترددهم عليها أولا في محكمة نور الظلام الشرعية بركة الفيل ثم في محكمة شبرا بعد ذلك حتى عام ١٩٧٠ .

---

[1] يدل على ذلك كثير من صور الحجج الشرعية التى نقلت من سجلات محاكم مختلفة وجاء فيها أنها نقلت من سجلات محفوظة بخزينة السجلات العامرة بالباب العالى .انظر : وثيقة رقم ٥٤١ بمحفوظات وزارة الأوقاف المصرية . وانظر نهاية سجل ٣٠٩ باب عالى ، وانظر وثيقة رقم ٣٨٨ بمحفوظات وزارة الأوقاف .

[2] الأمير ماماى أحد أمراء السلطان قايتباى .

وفي عام ١٩٧٠م نقلت تلك السجلات الى مكانها الحالى بدفترخانة مصلحة التوثيق والشهر العقارى بالقاهرة بجوار مبنى دار القضاء العالى بشارع رمسيس ، ومن ثم عرفت أخيرا بسجلات دفترخانة الشهر العقارى بالقاهرة .

وهذه السجلات عبارة عن نوعين :

١ - سجلات الديوان العالى .

٢ - سجلات محاكم القاهرة في العصر العثمانى .

أما سجلات الديوان العالى قد فقد منها الكثير ، فعلى الرغم من أن السجل رقم ١ منها قد بدأ بتاريخ ١١٥٤هـ أى بعد الفتح العثمانى بنحو قرنين وربع من الزمان مما يدل على أن هناك سجلات كثيرة مفقودة من هذه الوحدة الأرشيفية ، على الرغم من ذلك إلا أن هناك فترات مفقودة بين السجلات الموجودة مما يدل على ضياع سجلاتها أيضا ، وذلك مثل الفترة من عام ١١٥٧هـ حتى عام ١١٧٧هـ ، فالجبرتى لم يذكر شيئا عن قافلة الحج المصرية في السنوات من ١١٥٧ - ١١٦٦هـ وعلى الرغم من خروج قافلة الحج المصرية من ١١٦٦ - ١١٧٧هـ كل عام بانتظام كما تدل على ذلك حوليات الجبرتى لتلك السنين [1] إلا أنه لا توجد إشهادات بالصرة الشريفة نظرا لضياع سجلات تلك الفترة وتقع تلك الفترة بين السجل رقم ١ والسجل رقم ٢ .

كما أنه لا توجد وثائق للصرة لسنوات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٢١٥هـ لسبب مجهول بالنسبة لعام ١٢١٢هـ ولأسباب مجيء الحملة الفرنسية الى مصر بالنسبة لأعوام ١٣ ، ١٤ ، ١٥ وتعطل قافلة الحج المصرية .

ولا توجد وثائق للصرة لسنوات من ١٢٢٢ - ١٢٢٧ هـ وذلك لإنقطاع قافلة الحج المصرية بسبب الظروف السياسية التى كانت بالحجاز ، فقد أستولت

---

[1] انظر : عجائب الآثار ، عبد الرحمن الجبرتى ، ج١ ص١٩٨ ، ص٢١٢ ، ص٢٥٣،ص٢٥٤ ، ص٢٥٥ من الطبعة الشرقية .

القوات السعودية على الحرمين الشريفين في عـــام ١٢٢١هـــ وصـــدرت أوامـــر السعوديين بمنع محامل الحج التى كانت تأتى من مصر والشام والعراق لأن السعوديين كانوا يرون فيما يصحب هذه القوافل من المظاهر ما يخالف قواعد الدين في نظرهـــم ولا يتفق مع مبادىء الدعوة السلفية .

وتنتهى إشهادات الصرة في سجلات الديوان العالى بأنتهاء عام ١٢٧٣هـــ فآخر إشهاد مسجل بتاريخ ٢٣ من شوال ١٢٧٣هـــ بأسم الأمير جعفر أغا (عتيق محمـــد على باشا) أمير الحج يومئذ ، وسجلات إشهادات هذا العـــام في ســـجل رقـــم ١٠ (وثيقة ٩٣ ، ٩٤ ص١٠٦ -١٠٧) وسجل رقم ١٠ آخر سجل تنـــاول هـــذه الإشهادات .

ومن ناحية أخرى فإن هذه السجلات من حيث شكلها كلها تقريبا من النـــوع المستطيل مقياسها في المتوسط ١٧ سنتمترا عرضا في ٤٦ سنتمترا طولا ومســـطرتها (ما بين ٦٠ و ٩٠ سطرا) في الصفحة الواحدة ، ويتراوح عدد الكلماتت في السطر ما بين ٢٠ ، ٢٥ كلمة .

واللغة التى كتبت بها هذه السجلات عربية وتركية ، أما الكتابة العربية فمكتوبة بخط سريع قليل الاعجام تصعب قراءته في كثير من الأحيان ، وذلك بسبب صغـــره المتناهي وتلاصق كلماته بعضها بالبعض ، ومن ثم تحتاج الى مران طويل وجهد كبـــير حتى يستطيع الباحث قراءتها .

أما الوثائق المسجلة باللغة التركية فمعظمها مكتوب بخط واضح جميل تـــأنق في كتابته نظرا لانها تتعلق بأوامر وفرامانات سلطانية ، وقد استعملت اللغة التركية عند تسجيل الاوامر والفرمانات السلطانية واوامر والى مصر وقراراته ، واستعملت اللغـــة العربية في تسجيل وثائق الصرة الشريفة وبعض وثائق الكسوة الشريفة والاشـــهادات

والاعلامات الشرعية ووثائق وفاء النيل ورؤية اهله الشهور العربية واشهادات ارسال مخصصات الدولة العثمانية التي كانت تسمى (الخزنة) [1] .

وعلى الرغم من أن سجلات الديوان العالى وصلت الينا ناقصة إلا أنهـــا تمثـــل وحدة أرشيفية متكاملة ، وتمثل هذه الوحدة الارشيفية مع وحدات المحاكم المصرية في العصر العثمانى المعاصرة لها الوديعة الارشيفية المحفوظة مؤقتا في دفترخانـــة مصلحـــة التوثيق والشهر العقارى بالقاهرة .

أما لماذا نقلت سجلات الديوان العالى الى دفترخانة الشهر العقـــارى بمصاحبـــة الوحدات الارشيفية القضائية ، فنظرا لما فيها من بعض وثائق الوقفيـــات المســـجلة في سجلاتها وبعض الاعلامات الشرعية مما يقتضى الرجوع اليها لمصالح الجمهور .

وأما سجلات المحاكم بالقاهرة وضواحيها فهى عبارة عن سجلات لخمس عشرة محكمة ، ومحافظ دشت من سجلات المحاكم المختلفة ، وفيما يلى جدول باسماء تلـــك المحاكم وعدد سجلاتها وبداية العمل بها وانتهاؤه .

المحكمة	بداية العمـــل فيها	انتهاء العمل	عـــــدد السجلات
١-محكمة الباب العالى	٩٣٧هـ(١٥٣٠)	١٣٤٢هـ(١٩٢٣م)	١٦٨٦
٢-محكمـــة القســـــمة العسكرية	٩٦١هـ(١٥٥٣)	١٢٩٢هـ(١٨٧٥م)	٤٩١
٣-محكمة القسمة العربية	٩٧٠هـ(١٥٦٢)	١٢٩٨هـ(١٨٨٠م)	١٥٨
٤-محكمة مسجد الزينى ببولاق	٩٤٣هـ(١٥٣٦)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٨٣
٥-محكمة مصر القديمة	٩٣٤هـ(١٥٢٧)	١٢٢٥هـ(١٨١٠م)	٣٤

[1] الخزنة : أو الخزينة في الاصطلاح العثمانى هى مقدار ما يبقى مما يجبى من مصر بعد انفاق كل ما قرر السلطان انفاقه ويرسل هذا الباقى لعاصمة الدولة وكانت ترسل في احتفال كبير . انظر : شفيق غربال مرجع سبق ذكره ص١٥ حاشية (١) .

٦-محكمة قناطر السباع	٩٥٧هـ(١٥٥٠)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٤٧
٧-محكمة الجامع الطولونى	٩٣٧هـ(١٥٣٠)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٩١
٨-محكمة جامع قوصون	٩٦٤هـ(١٥٥٦)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٦٨
٩-محكمة الجامع الصالح طلائع	٩٥٣هـ(١٥٤٦)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٦٧
١٠-محكمة بابى سعادة والخلق	٩٨٨هـ(١٥٨٠)	١٢١١هـ(١٧٩٦م)	٧١
١١-محكمة الصالحية النجمية	٩٣٤هـ(١٥٢٧)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	١٠٧
١٢-محكمة جامع الحاكم	٩٤٤هـ(١٥٣٧)	١٢٢٥هـ(١٨١٠م)	٧٨
١٣-" باب الشعرية	٩٥٥هـ(١٥٤٨)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٧٥
١٤- محكمة جامع الزاهد	٩٧٢هـ(١٥٦٤)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٤٧
١٥-محكمة البرمشية	٩٧٣هـ(١٥٦٥)	١٢٢٦هـ(١٨١١م)	٢٢
١٦-محافظ دشت	لمحاكم وسنوات مختلفة		(٣٥٣محفظة)

ولعل من المفيد أن نذكر أن الخط الذى كتبت به سجلات المحاكم أسرع وأقل وضوحا من خط سجلات الديوان العالى السالفة ، ومن ثم فهو أصعب قراءة ويحتاج الباحث في قراءته وتفهم وثائقه الى عناء كبير ، وهى من الضخامة بحيث أن صفحات بعضها تزيد عن ألف صفحة ، ويختلف حجم سجلات المحاكم عن سجلات الديوان العالى فبينما الاخيرة مستطيلة (١٧ × ٤٦سم) في المتوسط ، تكاد تتراوح الأولى في المتوسط أيضا بين حجم الفلسكاب والكوارتو.

وعلى الرغم من أهمية تلك الوثائق بنوعيها السالفين في التاريخ الثقافى والدينى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، إلا أنها مهملة ولا يشرف عليها مختصـــون في مجال حفظ الوثائق وترميمها ، وتحتاج الى فهرسة جديدة ليســهل علــى البــاحثين الاطلاع على ما فيها من ذخائر وكنوز تاريخية مازالت مجالا بكرا تلقى الكثير مـن الضوء على تاريخ فترة العصر العثمانى المظلمة (وإن شئت فقل المظلومة) في مصـر والحجاز والشام بوجه خاص ، وقد بليت فهارسها الحالية من كثرة التداول ، كما أنها موضوعة في دواليب من الحديد المغلقة ، ومعدومة التهوية بدرجة تضر بها كثيرا .

كلمة أخيرة :

قبل الانتهاء من هذا العرض السريع ينبغى التنويه بما يلى :

أولا : انى فيما كتبت التزمت الأمانة في النقل عن تلك الوثائق ، ومن ثم فإن واجب الأمانة أيضا يقتضى أن أعترف بأننى عثرت في آخر لحظة على اشهاد بـالصرة الشريفة المرسلة الى الحرمين في عام ١٣٢٠هـ صادر من محكمـة مصـر الكبرى الشرعية (الباب العالى) مما يشير الى احتمال كبير بأن اشهادات الصـرة أصبحت تسجل في محكمة الباب العالى بعد اختفائها من سجلات الديوان العـالى بعـد عـام ١٢٧٣هـ ولكن نظرا لضيق الوقت المتاح للبحث لم أتمكن من الـ[illegible]ـلاع عليها ولعل في مستقبل الايام ما يتيح لنا فرصة لاتمام ذلك .

ثانيا : البحث الذى بين أيدينا الآن ، لا أدعـ[illegible] عـن موضوع مخصصات الحرمين في مصر ، وغاية ما [illegible] في تلك الوثـائق المهملة وخطوة أولى على الطر[illegible] [illegible]ن نـأمل أن تتبعهـا

[illegible]

[illegible]ريفين في مصر إبان

العصر العثمـ[illegible]

[illegible]

[illegible] والاسم عبد الرحمن العلمي

راقم على [illegible]

[illegible] حضرة سيدنا ومولانا الوزير المعظم المشير المفخم الدستور المكرم [illegible]

[illegible] السعادة والاجلال صاحب السعادة وساحب الاقبال [illegible]

[illegible] الاغوات العظام [illegible]

[illegible] الامير الكبير العالي [illegible] مصطفى بيك [illegible]

[illegible] غطاس [illegible] العالي [illegible] محمد بيك [illegible]

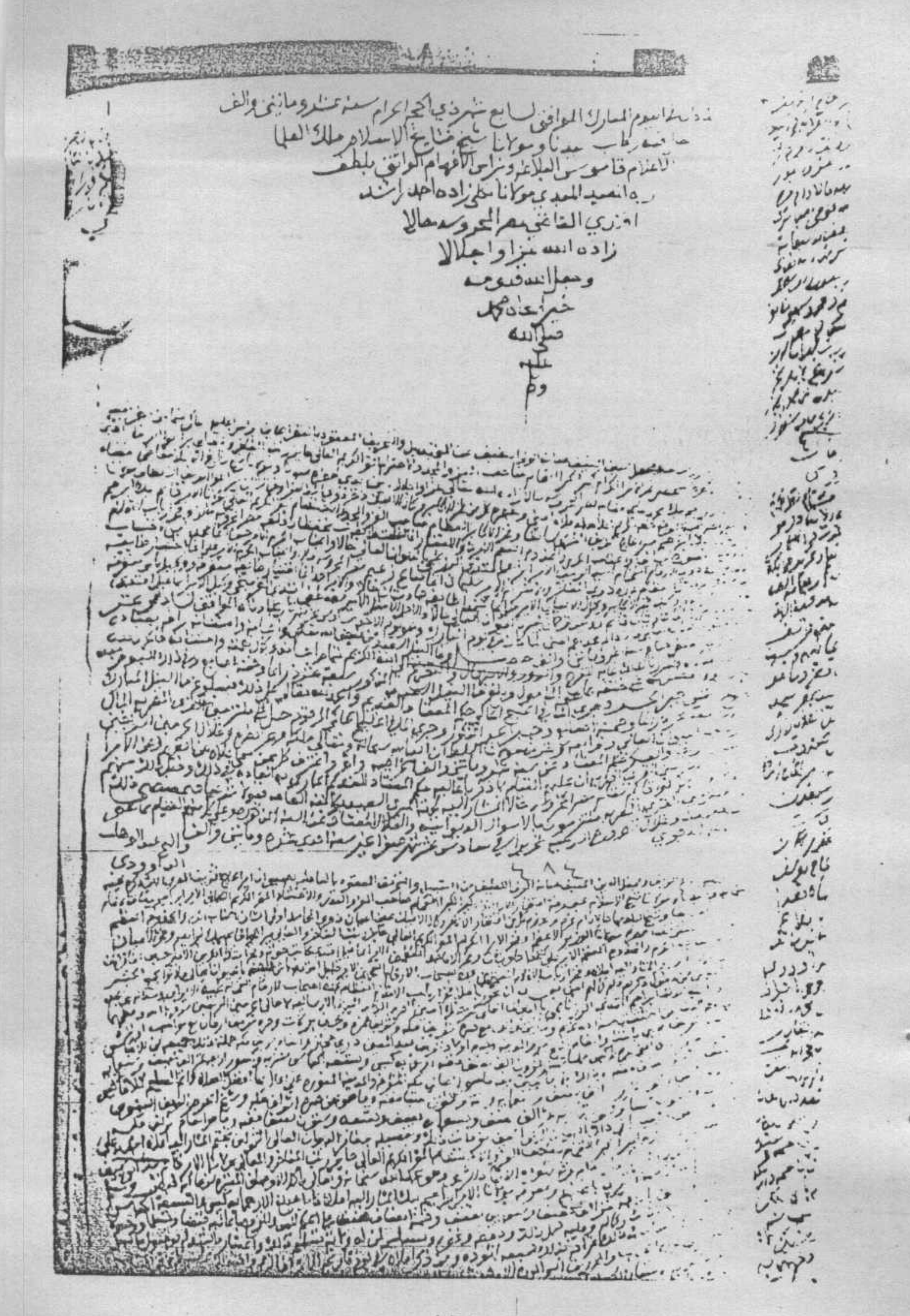
[illegible] عبد الرحمن بيك [illegible]

[illegible]



١٤٩

١٥٠



... اليوم المبارك الموافق لسابع شهر ذي الحجة الحرام سنة ثمان ومائتين وألف

... مولانا شيخ مشايخ الإسلام ملك العلما

الأعلام قاموس البلاغة وزاجر الأفهام الواثق بلطف

ربه الصمد المعيد مولانا حلمي زاده احمد راشد

افندي القاضي بمصر المحروسة حالا

زاده الله عزا واجلالا

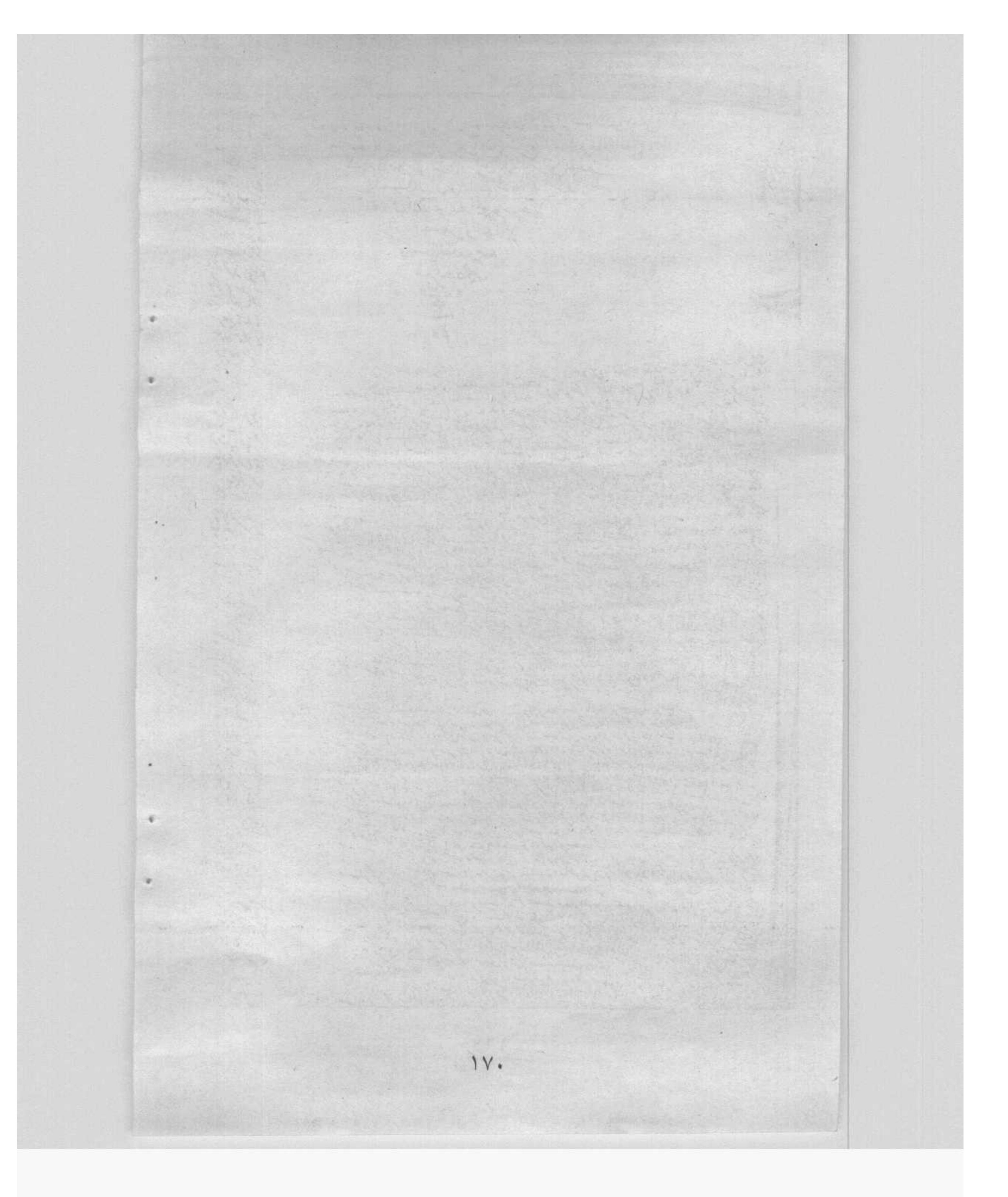
وجعل الله فتوحه

خير اعتاب محمد

صلى الله

عليه

وسلم



الفصل الرابع

الكتابات التاريخية عن العصر العثمانى (بصفة عامة)

تعد الكتابات التاريخية التى كتبها مؤرخو العصر العثمانى قليلة اذا ما قورنت بالكتابات الضافية التى وصلتنا عن فترة عصر المماليك (البحرية والجراكسة) ، مما يدل على تأخر الكتابة التاريخية فى العصر العثمانى ، وذلك على الرغم من وجود مصادرها الأصلية التى سبق أن أشرنا اليها ، فهى من وجهة نظرنا تعتبر فترة مظلومة وليست مظلمة كما يحلو للبعض أن يصفها والجبرتى يحاول فى مقدمة كتابه (عجائب الآثار) أن يفسر لنا سبب هذا النقص فيقول بعد أن ذكر عدة مراجع تاريخية :

(هذه صارت أسماء من غير مسميات ، فأنا لم نر من ذلك كله الا بعض أجزاء مدشته بقيت فى بعض خزائن كتب الأوقاف بالمدارس تداولته أيدى الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت الى بلاد المغرب والسودان) أى أنها تسربت فى نظره الى خارج البلاد .

ثم يقول فى موضوع آخر : (ثم ذهبت البقايا فى الفتن والحروب وأخذ الفرنسيس ما وجدوا الى بلادهم ، ولما عزمت على جمع ما كنت سودته وأوردت أن أصله بشىء قبله فلم أجد بعد البحث والتفتيش الا بعض كراريس سودها بعض العامة من الاجناد ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب وقد اعتراها النقص فى مواضع من خلال بعض الوقائع ، وكنت قد ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، ولكنه على نسق فى الجملة مطبوع لشخص يقال له أحمد جبلى عبد الغنى مبتدئا فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية ، وينتهى كغيره ممن ذكرناه الى خمسين ومائة وألف هجرية ، ثم أن هذا الكتاب

استعاره بعض الأصحاب وزلت به القدم ووقع فى صندوق العدم ومن ذلك الوقت الى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ولم يسطر فى هذا الشأن شيئا يفيد ، فرجعنا الى النقل من أفواه الشيخه المسنين ، وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على أحجار ترب المقبورين) .

وفى موضع ثالث يذكر أن السبب يرجع الى نظرة أهل العصر الى علم التاريخ وعدم اهتمامهم به وتوفرهم على غيره من المؤلفات فيقول : (نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل البطالين وقالوا أساطير الأولين)[1] .

وبالاضافة إلى الأسباب السالفة التى أشار اليها الجبرتى فاننا نستطيع القول بأن التدهور العام الذى أصاب الحياة الفكرية فى العصر العثمانى قد ألقى بظله على الكتابة التاريخية بدورها[2] .

ومع ذلك فقد ظهر فى مصر فى العصر العثمانى عدد لا بأس به من المؤرخين الذين ألفوا كتبا فى التاريخ العام وتاريخ مصر بصفة خاصة ويأتى فى مقدمتهم المؤرخ محمد بن اياس المصرى المتوفى سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) وأحمد ابن زنبل المحلى الرمال المتوفى بعد سنة ١٥٥٢م ومحمد بن أبى السرور البكرى الصديقى المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ومحمد بن عبد المعطى الاسحاقى من رجال القرن الحادى عشر الهجرى (١٧ميلادى) ، وعبد القادر الانصارى من رجال القرن العاشر الهجرى (١٦م) وعبد الرحمن الجبرتى ذائع

(١) انظر : عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار ، طبعة المطبعة العامرة الشرفية القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ جـ١ ص١ ـ ١١ .

(٢) انظر عرضاً وافيا لخصائص الحياة العلمية في العصر العثمانى للدكتور محمد أنيس ، فى كتابه: مدرسة التاريخ المصرى في العصر العثمانى، من مطبوعات معهد الدراسات العربية القاهرة ، سنه ١٩٦٢ ص١٣ ـ ١٨ .

الصيت المتوفى سنة ١٢٤٠ (١٨٢٥م) وغيرهم .

أما (أحمد بن زنبل المحلى الرمال) فقد كان من الأجناد الذين لم تكن صنعتهم كتابة التاريخ بل تناولوه بدافع الرغبة والهواية وهؤلاء أطلق عليهم الجبرتى لفظ العامة حين قال :

(ولم أجد بعد البحث والتفتيش الا بعض كراريس سودها بعض العامة من الاجناد ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب) .

وقد كتب ابن زنبل كتابا فى تاريخ الفتح العثمانى لمصر سجل فيه حوادث الفتح يوما بعد يوم سماه (تاريخ أخذ مصر من الجراكسة) ، وله كتاب آخر فى التاريخ باللغة التركية وهو يشتمل على حكام مصر العثمانيين فى زمنه، وكتاب ثالث فى الجغرافيا أطلق عليه أسم :(تحفة الملوك والرغائب لما فى البر والبحر من العجائب والغرائب) وكلها مازالت مخطوطة حتى الآن .

محمد بن اياس المصرى :

محمد بن اياس المصرى الحنفى من أصل مملوكى ويعتبر من المؤرخين المخضرمين الذين عاصروا نهاية دولة المماليك وبداية العصر العثمانى في مصر ، وقد ولد بالقاهرة سنة ١٤٤٨ م وكان جده الاكبر ويدعى أزدمر العمرى الناصرى الشهير بالخازندار وكان من أمراء الدولة المملوكية البحرية الاولى وتقلد عدة وظائف عامة فيها وكان جده لابيه واسمه اياس الفخرى من مماليك الظاهر برقوق وتولى وظيفة الدوادار الثانى زمن السلطان فرج بن برقوق أما والد بن اياس واسمه شهاب الدين أحمد فكان كما وصفه ابنه من مشاهير الفرقة المملوكية التى ضمت أبناء الامراء الذين كانوا يحصلون على إقطاعات من الدولة ، وكان محببا الى كثير من أمراء الدولة وأربابها ، وذكر

ابن اياس أيضا أن والده هذا قد عمر نحوا من أربع وثمانين سنة ومات سنة ١٥٠٢م وخلف بنتا واحدة وصبيان أحدهما محمد بن اياس نفسه وأخيه الجمالى يوسف بن أياس .

ويتضح من ذلك أن ابن اياس نشأ فى وسط مملوكى بحت ، وأنه قد اتصل ببعض رجال الدولة المملوكية فى عصر قايتباى والغورى بصلة المصاهرة والقرابه وقد حج ابن اياس سنة ١٤٧٧م دون أن تسند اليه وظيفة معينة فى الركب المصرى وشهد مالقى الحجاج من عنت فى تلك السنة وغلاء وفناء بمكة ، ووصف لنا ما حدث فى موسم الحج فى تلك السنة وصفا دقيقا يعطينا فكرة عما كان يقع بين السلطات المملوكية وبعض ذوات الحجاز وأمرائه.

وتمتع ابن اياس في معظم حياته باقطاع وافر من الدولة ، فعاش عيشة راضية مكنته من التوفر على الكتابة والتأليف فى التاريخ وكان بجانب اشتغاله بتسجيل الحوليات التاريخية يعالج نظم الشعر والزجل والمواويل والموشحات والمزدوجات في مناسبات شتى ، على أن منظومات بن اياس لا ترقى الى درجة الاجادة وكلها تدور حول مدح أو رثاء لبعض الأمراء والسلاطين ، ومنها ما هو تهنئة بالشفاء من مرض أو نجاة من محنة لعين من أعيان الدولة ومنها ما هو نقد أو تعقيب على بعض الأعمال الحكومية ويذهب البعض الى أن هذه المنظومات التى كانت تدور حول رجال الدولة تعتبر من القرائن على أن ابن اياس تولى وظيفة مؤرخ الدولة (Historiographer) فى الحكومة المملوكية، وذلك على الرغم من أن ابن اياس لم يذكر لنا شيئا من هذا القبيل فى كتبه برغم أن وظيفة بهذا الاسم لم تعرف فى نظام المماليك ، ويبدوا أنه غدا من رجال الأدب المشغوفين بالعيش على هامش الحاشية السلطانية

المتصلين ببعض رجالها كأبيه من قبل وأنه اعتماد على نظم الشعر حبا للشهرة كلما واتته الفرصة ، وعلى كل حال فالواضح من أشعاره وأزجالة هذه والمناسبات التى قيلت فيها أنه عاش فردا متتبعا عن كثب حوادث المجتمع الذى عاش فيه، وليس ذلك بصفته مؤرخا معنيا بتدوين الحوادث والاخبار فحسب بل لانه كان رجلا يعيش عصره بكل ما فيه فى دولة بدت عليها أعراض الاحتضار والأنحلال ، وربما كان أوضح دليل على هذه الحساسية الخاصة بأحداث عصره قصيدته التى نظمها بصدد ضرائب المشاهرة التى ألغاها السلطان الغورى أواخر ايامه ومرثيته التى قالها فى وقعة الفتح العثمانى لمصر .

وفى سنة ١٥٠٨ جرد السلطان الغورى كثيرا من الامراء والاعيان ومنهم ابن اياس من اقطاعاتهم للصرف على شئون الدولة وذلك عندما نزلت الضائقة الاقتصادية بمصر بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وتسببت هذه الاجراءات الاقتصادية فى تعكير صفو الحياة على ابن اياس الى حين ، وعندما شكا ابن اياس سوء حالته الى السلطان الغورى فى سنة ١٥١٠م استجاب له ورد عليه اقطاعاته ومدحه ابن اياس من أجل ذلك بقصيدة طويلة من نظمه المعتاد .

مؤلفات ابن اياس :

اهم مؤلفات ابن اياس على الاطلاق كتابه الكبير فى تاريخ مصر المسمى (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) وهو كتاب شامل لتاريخ مصر منذ أقدم العصور الى أوائل العصر العثمانى ووقف فيه ابن اياس الى نهاية عام ٩٢٨هـ،١٥٢١م . وهذا الكتاب هو الذى استحق به ابن اياس مركز الزعامة بين معاصريه من المؤرخين فى مصر فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى

وأوائل القرن السادس عشر .

وابن اياس ينتمى فى نظر مؤرخى العصر المملوكى الى العصر المملوكى أكثر من انتمائه الى العصر العثمانى ولذلك وضعه الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة فى عداد مؤرخى القرن الخامس عشر على الرغم من أنه مات فى سنة ١٥٢٤م(٩٣١هـ) أى بعد الفتح العثمانى بثمانى سنوات شاهد فيها الفتح العثمانى والتنظيمات العثمانية الأولى فى مصر وأرخ لها[1] .

ومن مؤلفات ابن اياس فى التاريخ كتاب : (عقود الجمان فى وقائع الأزمان) وهو مختصر مستقل لتاريخ مصر ولسيت له أية علاقة بكتابة الكبير ثم كتاب : (نزهة الأمم فى العجائب والحكم) وهو مؤلف صغير فى تاريخ العالم، وكتاب (مزج الزهور فى وقائع الدهور) وهو مؤلف شعبى فى قصص الانبياء والرسل ، ويذهب البعض الى أن هذا الكتاب الاخير ربما كان لغير ابن اياس من المؤرخين وذلك على الرغم من اشاراته هو لبعض محتوياته فى الجزء الأول من كتابه الكبير بدائع الزهور ، وله أيضا كتاب : (نشق الأزهار فى عجائب الأقطار) وهو كتاب فى الفلك والهيئة وتركيب الكون وآثار مصر الفرعونية وملوكها .

على أن شهرة ابن اياس تستند كلية الى كتابه الأول فى التاريخ (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) فقد سار به ابن اياس عمدة المؤرخين فى أحوال دولة المماليك وأخبارها مدة الطور الأخير من حياتها كما هو أيضا المرجع

---

(١) يمكن الرجوع فى دراسة ابن اياس الى ما كتبه الدكتور محمد مصطفى زيادة فى كتابه (المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى والى ما كتبه المؤرخ البريطانى مارجوليوث فى كتابه محاضرات فى المؤرخين العرب :

Margo liouth : Lectures on Arabic Histopians .

الرئيسى لحوادث الفتح العثمانى لمصر .

وأحدث طبعة لابن اياس هى الطبعة التى نشرتها جمعية المستشرقين الألمانية بتحقيق محمد مصطفى فى خمسة أجزاء طبعت بالقاهرة بدار أحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) ظهر الجزء الرابع منها سنة ١٩٦٠ والخامس سنة ١٩٦١ والثالث سنة ١٩٦٣ الى أن طبع الجزء الأول وهو الأخير فى الطباعة سنة ١٩٧٥ .

وقد عالج ابن اياس الفتح العثمانى فى هذا الكتاب ولم يكن من المؤيدين للسادة الجدد ولذلك تلمس فى حديثه عن الفتح العثمانى وسياسة العثمانيين فى مصر الكثيرة من التحقير والنقد اللاذع غير أن أمانته العلمية ودقته فوق مستوى الشبهات فهو لا يزال المرجع الأول حول فترة الفتح العثمانى .

والواقع أن ابن اياس كان على جانب كبير من القدرة فى النقد فلم يقف عند سرد الحوادث والوقائع والوفيات على وتيرة أغلب السالفين من كتاب التاريخ بل وقف بين الحادثة والاخرى يشرح ويحلل ويعقب ويفلسف على شىء من القسوة فى الحكم والجرأة فى التقدير والمغالاة نوعا ما فى التصوير .

ويتضمن هذا الكتاب أخبار مصر منذ أقدم العصور وما ورد عنها في القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال العلماء والشعراء فى أخبارهم والتقسيم الجغرافى فى البلاد ويعطى فكرة عن أعمال الديار المصرية وكورها ويذكر من دخل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان بمصر من الحكماء فى أول الدهر ، ومن دخلها من الصحابة والتابعين .

ثم يتحدث بأسلوب العاشق عن فضائل مصر وما خصت به من

المحاسن دون غيرها من البلاد ثم يتناول أخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم وما أشبه ذلك ، وما قاله الشعراء فى وصف مصر ونيلها ويذكر من ملك مصر فى أول الزمان ومن ملكها من الفراعنة ، ثم يتحدث عن الأقباط بمصر وبعد ذلك يعدو سريعا الى تاريخ دخول الاسلام بمصر وفتحها على يد عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ ويتناول فى سرعة ذكر أخبار مصر فى عصر الولاة من قبل الخلفاء الراشدين والأمويين ، ثم العباسيين ، والدولة الطولونية والاخشيدية والفاطمية والأيوبية ودولة المماليك الأولى حتى يأتى الى الفترة التاريخية التي عاصرها من تاريخ الدولة المملوكية الثانية وذلك ابتداء من الجزء الثالث من هذا الكتاب ابتداء من سلطنة الأشراف قايتباى (سنة٨٧٢هـ) وذلك حتى سنة ٩٢٨هـ ، وهذه الفترة (سنة ٨٧٢هـ - سنة٩٢٨هـ) تعتبر أهم ما كتبه ابن اياس ذلك لأنه عاصرها وعايشها وكتب عنها بملاحظته الشخصية لأحداث عصره أما ما ورد فى الجزء الأول والثانى من الكتاب فقد نقله عن المؤرخين السابقين له كالطبرى وابن عبد الحكم وابن الأثير والمسعودى والمقريزى وغيرهم .

ولذلك فالمعول لدى الباحثين على الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب ابن اياس ، وقد ارتفع ابن اياس فى هذه الجزء الى درجة المؤرخين المجيدين ولذا ميزه مارجوليوث عن جمهرة المؤرخين المسلمين فى مصر وغيرها بقوله: (ان أسلوبه فى الكتابة والتأليف وعظمته فى التفكير ينم كل منها عن فردية واستقلال فى الرأى قل أن يدانيه فيه معظم المؤرخين) .

أما عن أسلوبه فهو أسلوب شعبى دارج فيه كثير من الأخطاء اللغوية الظاهرة ويستعمل الألفاظ العامية كما ينطقها أبناء الأحياء الشعبية من السوقة والحرافيش ولذلك يقع ابن اياس عرضة للنقد الموجه نحو هذا الأسلوب

وخاصة من الباحثين فى المجال الأدبى لأن الأديب تأسره الألفاظ الأدبية الرنانة ، بيد أن المؤرخ لا ينظر الى كتابات ابن اياس من ناحية رونق الأسلوب وبلاغته وانما من ناحية الأخبار وصدقها وطريقة عرضها ومعايشة المؤرخ لها، بصرف النظر عما فيها من أخطاء فالرواية التاريخية أهم شىء فيها الصدق بغض النظر عن الأسلوب الذى صيغت به ، فالاستفادة منها كاملة فى أى أسلوب وضعت ، والمؤرخ الأمين (كابن اياس) أشبه شئ بالمصور المبدع الذى ينقل صورا كاملة عن المجتمع بكل ما فيه من عيوب ، فكتابات ابن اياس صورة صادقة لعصره وهى من هذه الزاوية تعتبر مجالا لدراسة اللغة العربية وتطورها.

أما عن أخلاق ابن اياس فلا سبيل لمعرفة ما اشتهر به من صفات عند معاصريه لندرة ماكتب عنه فى كتب المعاصرين له ، على أن كتبه التى ألفها وملاحظاته التى أودعها اياها عن نفسه وحوادث عصره ورجاله تدل على الكثير من كنه شخصيته الكبيرة ، فضخامة مؤلفاته برهان على أنه ظل طول حياته مجدا فى الكتابة ، وقسوته في الحكم على الناس تخبر بعلو مستواه الخلقى ، وتناوله الحكم العثماني فى مصر بالنقد والسخرية أحيانا لاهمال رجاله مصالح المصريين ، يعطيه مكانة سامية بين مفكرى عصره اذا علمنا مبلغ ما أحاط السيادة العثمانية فى القاهرة من رهبة وخشية .

غير أن ابن اياس يقف عند بداية العصر العثمانى لذلك لا تصور كتاباته تحول المجتمع المصرى من العصر المملوكى الى العصر العثمانى ، والواقع أن المراجع فقيرة فى هذه الناحية .

محمد بن أبي السرور البكري:

هو من علماء القرن الحادى عشر الهجرى (١٧ميلادى) وقد نشأ فى بيئة

علمية ذات ثراء واسعة النفوذ مكنته من أن يكون أكثر الماما بأحداث عصره من معاصريه وكان والده من كبار علماء الأزهر ولقبه ابنه (أبو السرور) بشيخ الاسلام وكان عميدا لأسرة البكرى المعروفة بمصر والتى تنتسب الى أبى بكر الصديق[1] وله أربعة كتب تاريخية ما زالت مخطوطة هى :

١ - الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة ، وفيه يؤرخ لولاة مصر وقضاة العسكر فى العصر العثمانى الى سنة ١٠٥٤ هـ .

٢ - عيون الأخبار ونزهة الأبصار ، وهو تاريخ مختصر لمصر والدول التى تعاقبت عليها الى آخر عصر المماليك الجراكسة .

٣ - المنح الرحمانية فى الدول العثمانية ، وفيه يؤرخ لسلاطين آل عثمان وينتهى الى سنة ١٠٢٩هـ .

٤ - النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، وهو بحث مختصر فى ذكر خلفاء وملوك مصر ونوابهم منذ أقدم العصور الى دولة السلطان مراد ابن السلطان أحمد فى سنة ١٠٤٢ هـ ختمه بحديث عن خصائص مصر وعجائبها .

وله بحث خامس منشور[2] تحت عنوان : كشف الكربة فى رفع الطلبة يتحدث فيه عن الصراع الذى نشب منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر بين جند الحامية العثمانية من جانب والباشوات العثمانيين من جانب آخر ،

(١) انظر بحثا وافيا عن (بيت الصديق) لمحمد توفيق البكرى مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ .

(٢) انظر د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، دراسات فى مصادر تاريخ مصر في العصر العثمانى (تحقيق وتقديم كتاب كشف الكربة فى رفع الطلبة) منشور فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٧٦ م.

يوضح فيه أسباب هذا الصراع وتأثيره على الحياة الأقتصادية والاجتماعية في مصر من ناحية وعلى الحكم العثمانى نفسه من ناحية أخرى .

محمد بن عبد المعطى الأسحاقى :

هو محمد بن عبد المعطى بن أبى الفتح بن أحمد بن عبد الغنى بن على الاسحاقى المنوفى الشافعى ، وهو من رجال القرن الحادى عشر (١٧م) وقد ترجم له المحبى فى كتابه (خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر) فقال عنه : (انه كان قاضيا عالما ومؤرخا) كثير النظام ، صحيح الفكرة ، وله تاريخ لطيف ، ورسائل كثيرة ، قرأ ببلده على شيوخ كثيرين وكان يتردد الى مصر ، وأخذ بها عن أكابر علمائها ، وتوفى فى نيف وستين وألف ببلده منوف ، وكتابه التاريخى سماه : (لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول) ويعرف بتاريخ الاسحاقى .

وقد قسم الاسحاقى كتابه هذا الى مقدمة عن فضائل مصر وذكرها فى كتاب الله وما ورد عنها من احاديث ، وعشرة أبواب فى تاريخ مصر منذ عصر الخلفاء الراشدين حتى سنة ١٠٣٣ هـ ، وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة طبعات مختلفة فى السنوات ١٢٧٦هـ ، ١٢٩٦ ، ١٣٠٠هـ ، ويمتاز كتاب الاسحاقى بالمعلومات الاقتصادية الوفيرة فكثيرا ما يتناول أسعار السلع في كثير من مواطن كتابه مما يضفى على كتابه أهمية خاصة . وفيه معلومات عن الصرة الشريفة وقافلة الحج المصرية .

حسين أفندى الروزنامجي :

هو مؤرخ النظم المصرية في العصر العثمانى وكان من رجال الروزنامه (الادارة المالية) فى مصر ابان الحملة الفرنسية على مصر ، وابان حوادث الحملة (١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ/ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق

حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفية جباية اموالها، ولقى الفرنسيون عناء شديدا تجاه جمع المعلومات المطلوبة ،وذلك لفرار الباشا والروزنامجى ، واستعان مدير المالية الفرنسى استيف (ESTEVE) برجل من رجال الروزنامة فى مصر وهو حسين أفندى الروزنامجى فأجابه علي الأسئلة التى وجهها اليه ، ونظم حسين أفندى أجاباته فى ستة عشر بابا ، وكان هذا بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠١م) أى قرب إنتهاء العهد الفرنسى، وتقع هذه الأبواب فى خمس وسبعين صفحة فى مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ تاريخ بعنوان : (ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية) وقد نشرها المرحوم المؤرخ شفيق غربال وعلق عليها فى مجلة كليه الأداب جامعة القاهرة فى المجلد الرابع ـ الجزء الأول ـ مايو سنة ١٩٣٦ .

وفي هذا المخطوط تعريف بمصر العثمانية ونظامها وأمرائها وصناجقها والاوجاقات السبعة وأسمائها ، والتعريف برجال القضاء فى مصر العثمانية وأفندية الروزنامة وخدمتهم والاقاليم المصرية والتعريف بالتزام الملتزمين والاراضى المصرية وضبط اطيانها ، وغير ذلك من الموضوعات الخاصة بالنظم المصرية فى العصر العثماني .

والذي يكتب في تاريخ النظم المصرية في العصر العثمانى لا بد له من الرجوع الى هذا الكتاب الهام .

عبد القادر الأنصارى الجزرى :

هو من رجال القرن العاشر (١٦م) قضى معظم حياته موظفاً فى إدارة الحج بالقاهرة ، وصحب قافلة الحج من مصر الى الحجاز عدة أعوام ، وقد مكنته وظيفته من تأليف كتاب حول طريق الحج ومناسك الحج بعنوان : (درر

الفوائد المنظمة فى أخبار الحج وطريق مكة المعظمة) وهو عبارة عن مذكرات شخصية كتبها الجزرى عن تجاربه فى وظيفته ضمنها معلومات قيمة عن أخبار الحج ومنازله وكيفية الرحيل والنزول والاقامة ، وأرخ فيه لمن حج بالناس من الخلفاء والصحابة والأمراء والأعيان من مختلف البقاع والأماكن ، كما شرح مناسك الحج على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ورتب الحوادث فيه على السنين الهجرية(١) .

وتوجد من هذا الكتاب نسخة فى المكتبة الأزهرية تحت رقم ٢٨٤٤ تاريخ وهى بخط المؤلف ، ومنه نسخة ناقصة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة، وأخرى في المكتبة التيمورية(٢) .

أحمد الدمرداش (كتخدا عزبان) :

من مؤرخى الأجناد ، ومن الواضح من لقبه أنه كان يتولى منصب الكتخدائية بأوجاق عزبان (وكيل رئيس الاوجاق) وهو يأتى بعد منصب الأغا قائد الأوجاق كما كان أوجاق عزبان يأتى فى المرتبة التالية لأوجاق الانكشارية. وقد ألف الدمرداش كتابا سماه : (الدرة المصانة فى أخبار الكنانة) وهو مخطوطة ضخمة فى جزئين بالمتحف البريطانى بلندن .

ويتناول كتاب الدمرداش تاريخ مصر السياسى من سنة ١٠٩٩ هـ حتى سنة ١١٦٩ هـ ويبدو أن الدمرداش توفى بعد هذا التاريخ لأنه ذكر في آخر مؤلفه ما يلى : (هذا وقد نهيت تاريخى على ذلك وان اعطانى الله عمرا زدته مما أراه عيانا) ، ومن هنا يعتبر كتاب الدمرداش مكمل لكتاب الجبرتى

(١) انظر : د . جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون فى مصر في القرن التاسع عشر القاهرة سنة ١٩٥٨م ص ٦ ـ ٧ .

(٢) أقوم الآن بدراسة حول هذا المخطوط .

(عجائب الآثار) لان الجبرتى بدأ يكتب بدقة وافاضة منذ عام ١١٩٠ هـ ، وتأتى أهمية كتاب الدمرداش من ناحية أن الفترة التى تناولها بالتاريخ كان معاصرا لأحداثها بل اشترك فيها ولذلك تتميز كتابته بالادراك العميق للنزعات المملوكية العثمانية فى تلك الفترة فى صراعها على السلطة.

وبالكتاب مجموعة من المصطلحات التاريخية بالعصر العثمانى في مجال الادارة والجيش والمالية . ويتناول التركيب الطائفى للمجتمع ، وهو مجال للدراسات الاقتصادية حيث يكثر فيه الدمرداش من ذكر الاسعار ارتفاعا وانخفاضا ، كما يقدم صورة واضحة من الحياة الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وطنية ودينية[١] .

وقسم الدكتور محمد أنيس مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى الى ثلاثة أقسام أو مدارس :

أولا : مدرسة المؤرخين العلماء المتأثرة بمدرسة التاريخ الاسلامى كابن اياس وأحمد شلبى عبد الغنى والاسحاقى وابن أبى السرور البكرى وعبد الرحمن الجبرتى وعبد الله الشرقاوى .

ثانيا : مدرسة التراجم ، ومنهم العينى فى القرن العاشر والمحبى والزبيدى والجبرتى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر .

ثالثا : مدرسة الأجناد : وهى التى اهتمت بصفة خاصة بحوادث الحروب والفتن بين الحاميات العثمانية التى ملأت هذا العصر ، وهى تبتعد كثيرا عن مدرسة العلماء فى فهمها للتاريخ فهى تكتب بدون خطه للبحث وبأسلوب شعبى دارج ويمثلهم ابن زنبل الرمال والدمرداش ومصطفى بن الحاج ابراهيم فى القرن الحادى عشر[٢].

(١) انظر : د . محمد أنيس ، مرجع سبق ذكره ص ٥٥ ـ ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨ .

المراجع الأجنبية:

بجانب ما تقدم من مراجع عربية هناك أيضا كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى فترة العصر العثمانى والمستشرقين الذين تناولوا تاريخ مصر فى أبحاثهم ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الرحالة الفرنسى فولنى .

هو قسطنطين فرانسو فولني (١٧٥٧ ـ ١٨٢٠)

Constantin Francois Volney

وقد استطاع فولنى بفضل ثروته وحبه للاطلاع والبحث أن يسافر الى مصر وبلاد الشام وقضى بها ثلاثة أعوام من ١٧٨٣ حتى ١٧٨٥ ، وقد مكث معظم هذه الفترة فى بلاد الشام بسبب اضطراب أحوال مصر العامة ولم يزر من المدن المصرية سوى القاهرة والاسكندرية ورشيد والسويس ونشر رحلته عام ١٧٨٧ م تحت عنوان :

" Voyage en Syrie et en Egypte "

تعتبر رحلته من أدق كتابات الرحالة الأوربيين عن مصر فى القرن الثامن عشر ونشرت فى بيروت سنة ١٩٤٩ م تحت عنوان (ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام) .

وكتب الأستاذان : (هاملتون جب H.Gibb) و (هارولد بوون Harold Bowen) كتابهما القيم (المجتمع الاسلامى فى القرن الثامن عشر) وهى دراسة أكاديمية تعتمد على الوثائق العربية والتركية والأوربية أتمها المؤلفان ونشرت فى لندن عام ١٩٥٠ ، وتوضح هذه الدراسة فى ستة فصول نظام الدولة العثمانية وعلاقتها بالشريعة الاسلامية والخلافة الاسلامية والهيئة الحاكمة بها ، والادارة فى الولايات العربية ، والفلاحون وحيازة الاراضى

والزراعة ، والمدنية والصناعة والتجارة .

وقد ترجم هذا المؤلف الى العربية الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى وراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ونشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٧١ فى مجلدين تحت عنوان (المجتمع الاسلامى والغرب) وبه توضيح لكثير من المصطلحات التركية .

ومن المراجع الأجنبية الهامة عن فترة الحكم العثمانى وعصر الحملة الفرنسية تلك الموسوعة الكبيرة التى كتبها علماء الحملة تحت عنوان : (وصف مصر) Describtion de l' egytpe وعلى الرغم من قيمة هذا الكتاب الا أنه مازال باللغة الفرنسية ولم يترجم الى الآن ، وتوجد الطبعة الثانية منه في حوزة دار الكتب المصرية فى ٢٦ جزءا .

وقد طبع هذا السفر الذى اسمى بحق انسكلوبيديا مصرية مرتين : الأولى : وقد استغرق العمل فيها من ١٨٠٩ الى ١٨٢٢ وظهرت فى تسعة مجلدات ضخمة فى تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتي عصر الحملة الفرنسية.

أما الطبعة الثانية : فهى فى ٢٦ جزء بالاضافة الي ١١ مجلدا للوحات وجدير بالذكر أن محتويات المجلدات ٢٦ هى نفسها محتويات المجلدات الـ٩ في الطبعة الأولى ، وغاية ما فى الطبعة الثانية أنها وزعت على مجلدات أصغر حجما من الأولى ، وقد بدأ العمل فى هذه الطبعة من عام ١٨٢١ وانتهى فى عام ١٨٢٩ .

وللمرحوم الأستاذ زهير الشايب جهود صادقة في مجال تعريف قراء العربية بمحتويات هذه الموسوعة الضخمة فقد قام بمجهود فردى لترجمة بعض محتوياتها نشر بعضها فى مجلة الثقافة ، ونشر منها قبل وفاته سنة

١٩٨٢ الأعداد التالية :

١. **المجلد الاول** : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، تأليف دى شابرون من علماء الحملة الفرنسية ـ القاهرة ١٩٧٦ م ، مطبعة الجبلاوى/ القاهرة .

٢. **المجلد الثانى** : العرب فى ريف مصر وصحراوتها ، تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٨ م .

٣. **المجلد الثالث** : المدن والاقاليم المصرية ، تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٨ م .

٤. **المجلد الرابع** : الحياة الاقتصادية فى مصر في القرن الثامن عشر ـ الجزء الاول (الزراعة ـ الصناعات والحرف ـ التجارة) تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجى . القاهرة ١٩٧٨ م .

٥. **المجلد الخامس** : الحياة الاقتصادية في مصر فى القرن الثامن عشر ـ الجزء الثانى (النظام المالى والادارى فى مصر العثمانية) تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧٩ م .

٦. **المجلد السادس** : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر الجزء الثالث (الموازين والنقود) تأليف صمويل برنار من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٨٠ م .

٧. **المجلد السابع** : الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين ، تأليف فيوتو، من علماء الحملة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٨١ .

ادوارد وليم لين :

يعتبر المستشرق الانجليزي ادوارد وليم لين أعظم وأشهر مستشرق انجليزى وقد زار مصر ثلاث مرات ، الأولى من ١٨٢٥ ـ ١٨٢٨ م والثانية من ١٨٣٣ ـ ١٨٣٥ والثالثة من ١٨٤٢ ـ ١٨٤٩ م وتظاهر باعتناق الاسلام وتسمى باسم منصور ، وعاش بحى السيدة زينب ودرس بالازهر على طائفة من علمائه وبرع فى العربية ، وترجم كتاب (الف ليلة وليلة) الى الانجليزية ثم أصدر قاموسه الشهير فى العربية والانجليزية ،ووضع عدة كتب عن مصر أشهرها كتابة المعروف (عادات المصريين المحدثين وشمائلهم) :

Manners and Customs of the Modern Egyptians

وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية الأستاذ عدلى طاهر نور عام ١٩٥٠ فى ترجمة موجزه حذف منها بعض فصول الأصل الانجليزى ، ثم ترجمه مرة أخرى ترجمة وافية لكل محتويات الاصل الانجليزى ، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٧٥م ، نشر دار النشر للجامعات المصرية ، وذلك تحت عنوان :

(المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر) ثم نشر الأستاذ عدلى طاهر نور أيضا كتابا عن ترجمة حياة ادورد وليم لين وأعماله وفترة اقامته فى مصر بعنوان (المستشرق الكبير ادوارد وليم لين) ونشر فى نفس الدار السالفة سنة ١٩٧٣ .

وقد تناول ادوارد وليم ولين فى كتابه السالف عادات المصريين وملابسهم ونظام الأسرة والحياة المنزلية ، وعادات المجتمع العامة ، واللغة والآداب والعلوم والخرافات السائدة على أيامه والسحر والتنجيم وأثر هذه الأشياء فى الناس من وجهة نظره ، ثم تناول الصناعات والالعاب والموسيقى

والرقص وغيرها ، وتناول الأعياد الدينية والوطنية ، والوفاة والطقوس الجنائزية وغيرها من الأمور التى لا حظها ووصفها بدقة وحللها وعلق عليها من وجهة نظره .

وتعتبر كتابات لين مكملة لكتابات الجبرتى حيث أن لين كانت له ملاحظات على بعض العادات والتقاليد التى لا تلفت نظر الجبرتى لتكرارها فى الحياة المصرية ، بيد أنها تلفت نظر الأجنبى فيسجلها ، ومن ثم يجد القارىء فى كتاب لين وغيره من كتب الأجانب مالا يجده فى المؤلفات العربية ولذلك فكتابات الرحالة الأجانب تعتبر مكملة للكتابات العربية من هذه الناحية ، مع ملاحظة أنه يجب على القارىء لكتب الرحالة الأجانب أن يأخذ بحذر كل ما يتعلق بتفسيرهم وتحليلهم للظواهر الاجتماعية فغالبية آرائهم فى هذا المجال تعتبر من وجهة نظرهم فقط فقد تصيب أحيانا وتخطىء احيانا كثيرة ، كما يجب علينا أن نلاحظ أن بعض هؤلاء الرحالة له ملاحظات مغرضة وخاصة اذا كان ابان قيامه برحلته فى مهمة سياسية ، وغالبية هؤلاء كان يقوم بتقديم بعض التقارير الرسمية لحكومة بلاده بعد عودته من رحلته .

ستانلى لين بول :

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن ادوارد وليم لين ، أن نتحدث عن حفيد أخته المستشرق (ستانلى لين بول) Stanley lane-poole مؤلف كتاب (سيرة القاهرة the story of cairo) والذى قام بمتابعة نشر مؤلفات لين التى مات قبل أن يتمها ، وستانلى باحث مؤرخ للآثار العربية ، وكان يعمل أمينا لقسم النقود الأثرية فى المتحف البريطانى بلندن ووضع دليلا للنقود الشرقية فى ١٤ مجلدا وأتم المعجم العربى الذين بدأه (لين) وقام برحلة الى مصر سنة ١٨٨٣، واشتغل بين سنتى ١٨٩٥ - ١٨٩٧ بدراسة القاهرة تحت اشراف الحكومة المصرية ، وعين استاذا للغة العربية فى جامعة دبلن من سنة ١٨٩٧ حتى ١٩٠٤ وأخرج ستانلى عدة مؤلفات نفيسة عن الشرق العربى والاسلامى وكان نصيب مصر منها أوفر نصيب منها :

١ - صورة القاهرة ، ويصور فيه الحياة الاجتماعية فى مصر Cairo Sketches .

٢ - دراسات فى مسجد Studies in a Mosque يتناول الناحية الدينية من اقامة الصلاة والاحتفالات التى لا تمت الى الدين بصلة .

٣ - الحياة الاجتماعية فى مصر Social life in Egypt (١٨٨٣) يبحث عن المجتمع المصرى .

٤ - ثم توج أعماله عن مصر بكتاب نفيس عن القاهرة كتبه فى عام ١٩٠٢ تحت عنوان (تاريخ القاهرة) The story of cairo تحدث فيها عن القاهرة وآثارها منذ بنائها حتى عصره ، وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية الدكتور حسن ابراهيم حسن ، د . على ابراهيم حسن ، وادوارد حليم سنة ١٩٥٠ (طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية)[1] .

---

(١) انظر : مقدمة كتاب (سيرة القاهرة) الذى كتبها المترجمون ص ١١ - ١٩ .

الفصل الخامس

المصطلحات التاريخية

أثناء قيام الباحث بقراءة كتب مثل : " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " لجمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ) وكتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " لمحمد بن اياس المصرى(ت٩٣٠هـ) ، وكتاب " عجائب الاثار فى التراجم والأخبار" لعبد الرحمن الجبرتى (ت١٢٤هـ) أقول أثناء قراءة هذه الكتب تصادف الباحث بعض الكلمات الاصطلاحية من أصل فارس أو تركى مستمدة من النظم الفارسية أو التركية ابان غلبة الأتراك وحكمهم لكثير من الدويلات الاسلامية ، وظلت هذه المصطلحات مستعملة فى عصور الأتراك والأيوبيين والمماليك والعثمانيين .

ونظرا لمعرفة الناس فى تلك العصور بمدلول تلك المصطلحات فندر أن يتعرض مؤرخ من مؤرخى تلك العصور لتلك الكلمات بالشرح والتوضيح وتعيين المراد منها باللغة العربية ، ومن ثم غدت تلك المصطلحات تشكل عقبه أمام الباحثين المحدثين ، ويحتاج الباحث لحل تلك المشكلة الى قراءة شتى الكتب فى التاريخ والنظم والآثار والفنون والوظائف وكتب المصطلحات لكى يعرف معنى بعض الكلمات مثل : (روز نامة) و (أمير آخور) و(استادار) و(جمليان) و(تفكشيان)و(أوجاق) و(برددار) و(طبردار) و(خاصكية) و(بشمقدار) وغيرها من الكلمات الاصطلاحية ، لأن معرفة المؤرخ باللغتين الفارسية والتركية قد لا يفيد كثيرا فى معرفة تلك المصطلحات ، فأحيانا يكون من كلمتين احذهما عربية (أمير) والأخرى فارسية أو تركية أو أحداهما تركية والاخرى فارسية الى غير ذلك من التراكيب وذلك مثل : (أميرآخور) مصطلح عثمانى واستعمل أيام المماليك أيضا مركب من كلمتين احدهما عربية (أمير)

والأخرى فارسية وهى (آخور) ومعناها الاصطبل ، وكان هذا المصطلح يطلق على الشخص المنوط به أمور الخيل أى ناظر اصطبلات الخيل ، وكلمة (آخور) معناها فى الأصل المزود الذى يأكل فيه الفرس ثم أطلقت على الأصطبل ، والأمير آخور متعدد ، فمنهم أمير آخور المهاره ، وأمير آخور الدشار وهو مختص بالجمال ، وأمير آخور السواقى وهو مختص بالبقر وللجميع رئيس يسمى (اميرآخورالكبير) .

وقد يختلف معنى المصطلح من عصر الى آخر وذلك مثل : (استادار): فهى كلمة فارسية كانت تطلق فى الغالب الأعم على الذى يوكل اليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والحاشية والغلمان ويمشى صحبة السلطان فى رحلاته وأسفاره ، وله مطلق التصرف فى بيوت السلطان وما يجرى فيها من طعام وكسوة وغير ذلك من الشئون ـ ولكن بالبحث فى تاريخ المصطلح اتضح أن معنى (استادارا) فى الأصل الحاذق فى صنعته ، ثم استعملت فى الخصبى من الآدميين ، وقد تكتب (استاذ الدار) ويقال للجماعة (استدارية) وهى عند ملوك المشرق على الاطلاق رتبه من الرتب المعتبره ، وكان حكام خوارزم يضعون تحت ادارة الاستدار جملة أموال بعضها من الخزانة وبعضها من المديريات وتوزع بمعرفته على المخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها .

ويذكر تقى الدين المقريزى فى كتابه " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " أن رتبه الاستادار ظلت على ذلك حتى عهد السلطان الظاهر برقوق أيام المماليك فى مصر فأقام :

" الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه استادارا ، وناط به تدبير أموال المملكة ، فتصرف فى جميع ما يرجع الى أمر الوزير وناظر

الخاص وصارا يترددان الى بابه ويمضيان الأمور برأيه ، فجلت من حينئذ رتبة الاستادار بحيث أنه صار فى معنى ما كان فيه الوزير فى أيام الخلفاء "[1] .

ويذكر المقريزى ان الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فى أيام الناصر فرج به برقوق " كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذه فى سائر أحوال المملكة ، واستقر ذلك لمن ولى الاستداريه من بعده والأمر على هذا الى اليوم " يعنى الى أيام المقريزى المتوفى سنة ٨٤٦هـ(١٤٤٢م) .

وأطلق عليه شهاب الدين بن فضل الله العمرى (ت٧٤٨هـ) .

فى كتابه التعريف بالمصطلح الشريف " (استاذ الدار) وقال عنه انه يتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها ويرتبها فى الخدمة على ما يجب وينظر فى أمورهم نظرا لا يخفى معه شىء ، وينظر فى أمور وأحوال المطبخ الكريم[2] .

وهكذا فان الترجمة الحرفية للمصطلح لا تفيد فى معرفة معناه والمراد منه ، فيضطر الباحث الى الرجوع لشتى المصادر لدراسته ومعرفة معناه فى مختلف العصور الاسلامية من حيث نشأته وتطوره ، وكثيرا ما يضطره البحث الى الرجوع الى الوثائق الرسمية التى تخلفت عن تلك العصور ، وهى أفضل وسيلة لدراسة المصطلحات لأن الوثائق مصادر ذات دلالة قاطعة فى هذا المجال .

وعلى ذلك يتضح ما للمصطلحات من أهمية لدى المؤرخ فلابد من

---

(١) تقى الدين المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة دار التحرير للطبع والنشر القاهرة ١٩٦٨م جـ٣ ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، طبع مطبعة العاصمة القاهرة سنة ١٣١٢هـ ص ٩٦ ـ ٩٧ .

معرفتها لكى لا تقف أمامه عقبه أثناء اطلاعه على المصادر التاريخية فى العصور السابقة .

وما زلت أذكر ما عانيته من صعاب عند قراءتى لكتاب عبد الرحمن الجبرتى " عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" لأول مرة ، فقد وقفت طويلا أمام كثير من الكلمات الاصطلاحية " أحاول فهمها ، وكان ذلك حافزا لى على البحث عن معناها وأصلها وعمدت الى جمعها والرجوع الى المصادر المختصة لفهم المراد منها ، وتكون لى بذلك رصيد لا بأس به ، وكانت تسلمنى المصادر الى بعضها ، وقد استفدت بالشروح التى أوردها على مبارك لبعض تلك المصطلحات فى كتابه المشهور " الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة " وعلى الأخص فى الجزئين الثانى عشر والثالث عشر .

وعزمت على تتبع المصطلحات فى أصولها الأولى ، واتضح لى أن فى مقدمة الكتب التى اهتمت بتلك المصطلحات الكتب التالية :

١ - أدب الكاتب - لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ .

٢ - كتاب الصناعتين - لأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

٣ - الأحكام السلطانية - للماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

٤ - قوانين الدواوين - لابن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

٥ - معالم الكتابة ومغانم الاصابة - لابن شيت المتوفى ٦٢٥ هـ .

٦ - المثل السائر فى أداب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .

٧ ـ البرد الموشى فى صناعة الانشا ـ للموصلى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ .

٨ ـ حسن التوسل الى صناعة الترسل ـ لابن فهد الحلبى المتوفى ٧٢٥هـ .

٩ ـ معيد النعم ومبيدا النقم ـ لتاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ

١٠ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب ، لشهاب الدين النويرى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ .

١١ ـ التعريف بالمصطلح الشريف ـ لشهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى / ٧٤٨هـ .

١٢ ـ تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ـ لتقى الدين عبد الرحمن المحبى المتوفى / ٧٨٦ هـ .

١٣ ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشا أبو العباسى القلقشندى المتوفى/ ٨٢١ هـ .

١٤ ـ واختصر القلقشندى موسوعته فى مجلدين سماهما " ضوء الصبح المسفر وجنرالدوح المثمر " .

١٥ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ لتقى الدين المقريزى المتوفى / ٨٤٦ .

١٦ ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة " لعلى مبارك " المتوفى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣م) جـ١٢ ، جـ١٣ .

١٧ـ ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ـ لحسين أفندى الروزنامجى أحد أفندية الروز نامه إبان عهد الحملة الفرنسية ١٢١٣ـ ١٢١٦هـ

وبعض هذه الكتب ضخمة (صبح الأعش ١٤ مجلدا) و(الخطط التوفيقية ٢٠ جزءا) والمصطلحات بها متفرقة ، فيضطر الباحث الى تجشم الصعاب للبحث عنها فى ثنايا هذه الكتب والتنقيب عنها مما يكلفه وقتا ثمينا هو فى حاجة اليه للتوفر على بحثه .

ولم تحظ المصطلحات التاريخية حتى الآن بدراسة خاصة شاملة ، على الرغم من أهميتها كوسيلة تعصم المؤرخ عن الخطأ فى الفهم ، ومن الكتب الحديثة التى تناولت هذا النوع من الدراسة كتابين قيمين للاستاذ الدكتور حسن الباشا .

الكتاب الأول : " الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار " نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م .

الكتاب الثانى : " الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية " نشرته مكتبة النهضة العربية في ثلاثة مجلدات ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦م.

وعلى الرغم من اسهام هذين الكتابين فى القاء الضوء على المصطلحات التاريخية ، الا أنهما يتعرضا لهذه المصطلحات ابان العصر العثمانى ، وكان ممن أسهم بنصيب متواضع فى توضيح مصطلحات العصر العثمانى حسين افندى الروزنامجى أحد رجال الروزنامه قبل الحملة الفرنسية ، وأبان حوادث الحملة (١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ) ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام وكيفية جباية أموالها ولقى الفرنسيون عناء شديدا تجاه جمع المعلومات المطلوبة ومعرفة بعض الكلمات الاصطلاحية ، وذلك بسبب فرار الباشا الروزنامجى (كبير الادارة المالية) واستعان مدير الشئون المالية الفرنسى (استيف ESTEVE) برجل من رجال الروزنامه فى مصر هو حسين أفندى ، فأجابه على الاسئلة التى وجهها اليه ، ونظم حسين أفندى

اجاباته فى سته عشر بابا تحت عنوان (ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية) ، وقد فرغ من تأليفها بتاريخ ١٣ من المحرم سنة١٢١٦هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠١ م) أى قرب أنتهاء العهد الفرنسى ، وتقع هذه الأبواب فى خمس وسبعين صفحة فى مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢(تاريخ) .

وقد ذكر حسين أفندى كثيرا من المصطلحات التاريخية العثمانية فى مصر بهذه المخطوطة ومن ثم استحق لقب " مؤرخ النظم المصرية فى العصر العثمانى " وقد استفدت من هذه المخطوطة فى اخراج بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر ابان العصر العثمانى) وذلك عندما عقدت مقارنة بين مبالغ الصره الشريفه التى وردت فى الوثائق الرسمية وبين المبالغ التى ذكرها حسين أفندى فى مخطوطته لأوقاف الحرمين الشريفين ، ومعرفة ما يصرف من هذه المبالغ فى مصر على ادارتها ، وما يرسل الى أهالى الحرمين ، وقد قام الاستاذ شفيق غربال بشرح مخطوطه حسين أفندى والتعليق عليها فى مقالة قيمة تعتبر اسهاما فى حقل المصطلحات ، ونشرها فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (المجلد الرابع - الجزء الأول مايو ١٩٣٦م) .

وسنحاول فيما يلى القاء الضوء على بعض الالفاظ الاصطلاحية ، وقد استقينا مادتنا العلمية عنها من معظم المصادر السالفة ، وخاصة كتابات ابن فضل الله العمرى والقلقشندى وعلى مبارك والدكتور حسن الباشا ، وحسين أفندى الروزنامجى .

البازدار : هو خادم جوارح الصيد من البازات والصقور[1] .

زمام دار : أصله (زنان دار) مركب من كلمتين فارسيتين ، زنان معناها البناء ودارماسك أو ممسك فحرفته العامة الى (زمام دار) وفسروه بقائد النساء ، وهو كبير الخدم الذى يخاطب الملك فى تعلقات الحريم[2] .

الخوندات : جمع (خوند) إو (خوندة) وهي جارية الملك التى ولّدت منه ، ونساء مصر يطلقونها على زوجة الملك ، فيقال صارت خوند الكبرى[3] .

الخواتين : جمع (خاتون) من نساء الملوك وكان يعبر عنهن فى أيام على مبارك بالخوندات .

الزردخانة : لفظة كانت تطلق على السلاح كما كانت تطلق على خزانة السلاح[4] .

الدهاليز : الخيام واحدتها دهليز أى خيمة[5] .

أمير شكار : خادم الصيد[6] .

البغلطاق : الثوب المفرج أو القباء الكبير ، وفى مسالك الأبصار يقال : لبسوا البغا لطيق تحت فراريجهم[7] .

قراسنقر : معناها سنقر الأسود ، و(آق سنقر) معناها سنقر الأبيض، وهى ألقاب لبعض الأمراء ، وأخذوه من اسم طير يستعمله ملوك المشرق فى الصيد ، اسمه سنقر ، وجمعه سناقر ، ويقال فى سنقر : شنقوره ، شنقار ،

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٩ ، ص ٣٥ .

(٢)،(٣) المرجع السابق ونفس المكان .

(٤)،(٥)،(٦)،(٧) المرجع السابق جـ١٠ ص ٣٤ .

وشنكقور (عند التتار) وهذا الطير أمير الطيور ، وهو كالشاهين ، وهو أعظم الجوارح صيدا[1] .

مشد : وأحيانا بالألف واللام (المشد) بمعنى المفتش وبمعنى ملاحظ وقد يعين فى تحصيل الايراد ، ويقوم بالقبض على من يتخلف فى دفع الأموال الميرية فاسمه مشتق من عمله وهو الشد على يد المخالفين أى القبض عليهم[2].

شداد : وتطلق على أيام على مبارك على السائس (خادم الركوبه)[3] .

الطبلخانة : اسم لعدة من الدفوف وغيرها من آلات الموسيقى ، وكانت تضرب فى ساعات معلومة من اليوم على باب السلطان وأبواب أكابر الأمراء ، وعليها رئيس يسمى المهتار ، ويقال (أمير طبلخانة) أى أمير يكسبه مقامه أن تدق على بابه الطبول ، ويعطيه السلطان تلك المزية، وفى كتاب الانشاء : أمراء الطبلخانة هم كل أمير يكون تحت امرته أربعون فارسا فأكثر ، فهؤلاء كان لهم الحق بأن تدق لهم الطبول عند قدومهم أو فى أوقات معينه لهم ، وقد بطل ذلك فى القرن التاسع الهجرى الا عند توجه أحد الأمراء لأمر مهم فتضرب عند سفره وفيه أيضا أن أمراء الطبلخانة كانوا أربعة وعشرين كل منهم يحكم على مائة مملوك وألف

---

(١) المرجع السابق ج ١٠ ص ٧٨ .

(٢) ، (٣) المرجع السابق ج ١٠ ص ٧٩ ، ٨٠ .

عسكرى فلذا يقال : أمير مائة ومقدم ألف وفى بدائع الزهور لابن اياس أن دق الطبول على أبواب الأمراء قد انقطع من وقت دخول السلطان سليم مصر .
ومن بقايا هذا الأمر ما هو موجود فى الجيش الان من أن بعض القادة يضرب لهم (البروجى) وقت تشريفهم[١].

أمير آخور : كلمة فارسية مركبة من (أمير) وهى كلمة عربية و (آخور) كلمة فارسية معناها المزود الذى يأكل فيه الفرس ومعناها الاصطبل ، وكانت تطلق على الشخص المنوط به أمور الخيل أى ناظر اصطبلات الخيل ، و(سلاخور) أصله (سراخور) المنوط به مؤونة الخيل، وهو تحت ادارة الأمير اخور ، والأمير اخور متعدد ، فمنهم اميراخور المهارة ، وأميراخور الدشار وهو مختص بالجمال ، وأميراخور السواقى وهو مختص بالبقر ، وللجميع رئيس يسمى (أمير اخور الكبير)[٢].

التشاهير : طقومة الخيل ، يقال أهداه فرسا بتشاهيره أى بعدته[٣].

الدوادار : معناها بالفارسية ماسك الدواه ، فان لفظة (دار) معناها ماسك وكان للدوادار نائب يقال له (حامل المزود) وهى كيس توضع فيها الأوراق طوله فى العادة نحو ذراعين وعرضه نحو ذراع وثلث وتتخذ من القماش

---

(١) المرجع السابق ، ج ١٠ ص ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) المرجع السابق ج ١٠ ص ٨٠ .
(٣) المرجع السابق ج ١٠ ص ٨٠ .

المحرر الصافى وتبطن ويجعل فى فمها علاقة من الخيط المفتول تجمع به فوهتها ، وأصل (مزود) = (المزودة) وهى كيس تعد لحفظ الاوراق السلطانية[1].

الجمدار : معناها ماسك البقجه التى للقماش لأن (الجمى) فارسية بمعنى البقجه و(دار) معناها ماسك ، والجمدار بذلك هو المشرف على شئون الملابس والأقمشة[2].

بشمقدار : هو ماسك نعل الملك أى خادم نعله[3].

سلاح دار : هو معلم العسكر استعمال السلاح[4].

الخاصكية : هم الذين يلازمون السلطان فى خلواته وجولاته ، فاسمهم مأخوذ من الاختصاص ، وهم الذين يسوقون المحمل الشريف ، ويجهزون المهمات الشريفة ، ويترقون للاماره ، وكان عددهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكيا ، ثم ازدادوا حتى صاروا فى زمن الملك الأشرف برسباس نحو ألف ، وقال صاحب ديوان الانشاء انما سموا (خاصكية) لأنهم يختصون بالملك ويميزون عن غيرهم بحمل السيوف ولباس الطرز المزركشة والتأنق في الملبس والمركوب ولهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة ويدخلون على الملك من غير استئذان[5].

وكان فى مصر نوعين من الأوقاف المرصود على

---

(١) المرجع السابق ج ١٢ ص ٢٧ .

(٢)،(٣)،(٤)،(٥) المرجع السابق ج ١٢ ص ٢٧ .

الحرمين الشريفين يطلق عليهما لفظ الخاصكية فالأول هو وقف الخاصكية المستجدة لوالدة السلطان أحمد خان والثانى هو وقف الخاصكية ، القديم ، وكان أمير الحج المصرى فى العصر العثمانى يحمل معه كل عام الى الحجاز صرة من ريع هذه الأوقاف وبعض الغلال التى كانت تسمى غلال الحرمين .

الدشيشة : الدشيشة فى الأصل حسو يتخذ من برمرضوض وتطبخ بزيت أو دهن ، وكان يطلق على أوقاف الحرمين فى مصر أوقاف الدشايش مع أن الأوقاف كانت لاطعام أهالى الحرمين الدشيشة وغيرها ، وتعتبر أوقاف الدشيشة الكبرى لكل من السلاطين المماليك (جقمق وقايتباى والغورى) من أضخم الأوقاف الاسلامية على الحرمين الشريفين فقد كانت كميات هائلة من القمح ترسل من مصر سنويا للحجاز لعمل الدشيشة التى تفرق على طلاب العلم الشريف فى الربط والزوايا ، والمساجد والمدارس فى مكه والمدينة وعلى غيرهم من الفقراء والمساكين والأرامل والآفاقيه (الغرباء) .

المحمل : يطلق فى الأصل على الجمل الذى يحمل الهدايا الى الكعبة ، وكان يزين بأبهى زينة ، ولما بالغوا فى زينته، أصبح الجمل لا يستطيع أن يحمل سوى كسوته ، فقد أصبحت كسوة المحمل فى عام ١٣٠٨هـ مع هيكله الخشبى لا تقل عن أربعة عشر قنطارا ، وصارا ما كان يحمل عليه من الهدايا يحمل فى صناديق على جمال

أخرى تسير مع قافلة الحج .

بركة الحج : ويقال لها (البركة) و (بركة الحجاج) وعرفت بالبركة لانخفاض أرضها عن منسوب الأراضى الزراعية المجاورة لها ، ووردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الارشاد باسم (بركة الجب) واسمها القديم (جب عميرة) وهى من ضواحى القاهرة تقع فى الشمال الشرقى منها ، قدر على مبارك بعدها عن القاهرة بنحو خمس ساعات ، وقدر (ادوارد وليم لين بعدها عن القاهرة بمقدار ١١ ميلا ، وقال عنها المقريزى : «بركة الجب هى بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة فى زماننا (بركة الحج) لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج فى كل سنة ، ونزولهم بها عند العودة ، ومنها يدخلون القاهرة ، وكانت متنزها للملوك والأمراء الفاطميين والأيوبيين والمماليك » ، وجرت العادة فى العصر العثمانى أن قافلة الحج المصرية كانت تتجمع عند بركة الحج وتنصب هناك خيمة لأمير الحج تسمى (صيوان) وفيها يتسلم أمير الحج المصرى صرة (أى مقدارا من المال) لكل وقف من أوقاف الحرمين بمصر ، وتأخذ الحكومة عليه اشهادا خاصا بكل صرة على حدة ، كما تأخذ عليه الحكومة اشهادا (حجة شرعية) خاصة بالصرة الميرى (الحكومية) أى المعتاد ارسالها من الحكومة المصرية الى أهالى الحرمين الشريفين ، وتلك الاشهادات عبارة عن وثيقة مكتوبه

بحضور شهود من كبار رجال الدوله والعلماء وبعض موظفى الديوان العالى وكتبة الصرة الشريفة الذين يقومون بتحرير تلك الوثائق باملاء روزنامجى الديوان العالى (رئيس الكتبة بالديوان العالى)[1].

كاتب الدست : هو كاتب الانشاء أى كاتب مراسلات السلطان ، ولقب بذلك اضافة الى دست المملكة وهى مرتبة جلوسة بين يدى السلطان ومن معانى الدست جملة من الورق قدرها ٢٥ فرخا ، كالرزمه فى هذه الأيام على سبيل المثال .

الطبردارية : هم البلطجية ، لأن (الطبردار) هو ماسك البلطة بالفارسية وذكر صاحب كتاب الانشاء أن الطبردارية من أولاد الجند ولهم أمير ومهمتهم أنه فى حال ركوب الملك يكونون حوله مستعدين لضرب من يقدم على القرب منه بغير أذن وهم عشرة وأميرهم يسمى : (أميرطبر)[2].

بردادار : معناها بالفارسية ماسك الستارة ، ومهمته الاشراف على ستائر السلطان[3] .

الأوجاق : كلمة تركية (فى الاستعمال العربى الوجاق) وهى فى الأصل الموقد وتطلق على الطائفة من الجند ، والنسبة

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ١٦ ، ١٧ وانظر أيضا المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ج ٢ ص ٥٨٣ ـ ٥٨٥ ، وانظر أيضا إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، ترجمة عدلى طاهر نور ، ص ٤١١ ـ ٤١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١٢ ص ٢٧ .

(٣) على مبارك مصدر سبق ذكره ، جـ١١ ص٢٨ .

اليها (اوجاقلو) وفى الاستعمال العربى (وجاقلى) وتجمع على (وجاقلية) وكان في مصر ابان العصر العثمانى سبعة أوجاقات يكونون الحامية العثمانية بها وهم العنصر الفعال فى حكومة مصر ، وهم الفرق الآتية : ـ

المتفرقة : فى الاصل التركى القديم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعات وخدمتهم فى مصر حفظ القلاع الخارجة عن القاهرة مثل : العريش والاسكندرية ودمياط وأبو قير وأسوان وأبريم وغيرها وللقلاع المذكورة أنفار معلومين ولهم مرتبات من حكومة القاهرة ، وجعلت الحكومة فى أوجاق المتفرقة (" معمارباشا) ومهمته الاشراف على المهندسين والبنائين وسائر ما يتعلق بالعمارة ، ومنهم (قافلةباشا) ومهمته تشهيل القوافل ، ويقوم العمال من العربان لحمل الأحمال وله عوائد على القوافل ومن أصل محصول الأوجاق،ومنهم (الجبجى) فى الأصل التركى (جبه جى باشى) ويشرف على صناعة البارود المطلوب لحفظ القلاع ، وكان يستخرج اذ ذاك من الكيمان المتخلفة عن المدن والقرى المتخربة وما يقدمه الجبجى من البارود يخصم له ثمنه من مصروف الحكومه .

الجاوشان : جمع جاوش وهو الفارس ، ومنهم أرباب الديوان

العمومى الذين عليهم حضور الديوان لتحصيل الأموال الميرية ، ومنهم كتخدا جاوشان ، وأمين الشون ويطلق عليه أيضا (أمين الأنبار) الذى يشرف على شون الغلال الأميرية ، وكانت لهذه الوظيفة أهميتها نظرا لأن الجزء الأكبر من أرض الصعيد كان يجبى ماله غلالا ، وكانت لأمين الشون عوائد على كل ملتزم يؤدى المال غلالا ، هذا الى جانب أنه كان مسموحا له بأن يستعمل عند صرف الغلال من الشون لمستحقيها كيلا أصغر من الكيل الذى يستعمله عند الاستلام من دافعى الضرائب والفرق بين الكيلين له ، وعليه فى مقابل ذلك بعض الأموال التى يدفعها لديوان السلطان ومنهم المحتسب : أى ان المحتسب كان يختار من الجاويشية ، ولم يكن من المتفقهين فى الدين كما هو الأصل فى الحسبة ، ومهمة المحتسب ضبط الأسواق ، وفى هذا أيضا تضييق لمعنى الحسبة الأصلية .

جمليان : هو تحريف لجنليان جمع فارسى للكلمة التركية (جنللو) نوع من الفرسان لحفظ الجسور السلطانى .

تفكشيان : هو تحريف الكلمة (تفنكجيان) ومفرده (تفنكجى) وهو الجندى المسلح بالبندقية .

الجراكسة : وتلفظ أحيانا (الشراكة) وهم فرقة تكونت من فرسان المماليك الجراكسة .

: وقد اطلق على هذه الأوجاقات الثلاثة (جمليان تفكشيان جراكسه) اسم الأسباهية أو الخيالة ، ومهمتهم مهمة

: اشراف تام فى القاهرة على الباشا ورجاله بواسطة كبراء الأوجاقات المقيمين فيها وفى الأقاليم بواسطة من يقيم

: فى الأقاليم من رجال هذه الأوجاقات .

المستحفظان وهم رجال الحفظ بالقاهرة،وهم من جند الانكشارية ولهذا أطلق عليهم حسين أفندى الروزنامجى (مؤرخ النظم العثمانية في مصر ابان العصر العثمانى) اسم: (أوجاق الانكشارية) وقال بأن هذا الأوجاق وهوأوجاق السلطان لأنه تحت طلب السلطان ، وانما الانكشارية لهم الرياسة العليا على ضبط مدينة القاهرة ، وينسب

: لهذا الأوجاق عدد من أكبر أصحاب المناصب ، منهم (الكتخدا) وكيل الباشا ، ومنهم (سردار الحاج) ، (سردار الخزنه) وكان رجال المستحفظان يقيمون فى قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وقد خصص السلطان عوائد لأوجاق الانكشارية رسوم بعض الجمارك بعد دفع نصيب الحكومة منها ، فقد أعطى لهم المتحصل من رسوم جمارك مصر العتيقة (الفسطاط) وبولاق والاسكندرية ودمياط بشرط تأدية نصيب منه للسلطان ، ولكن قبيل الحملة الفرنسية غصب هذه الجمارك أمراء المماليك .

العزبان أو أوجاق العزب ، وهم طائفة كانت فى الأصل من جنود البحرية ، ومنهم أمين البحرين وأمين الخردة

وسياتى بيانهما ، وجعل لهم السلطان ايراد البحرين والخدة بعد الميرى [1].

اختيارية الاوجاق هم المسنون من رجاله وأقدمهم (باش اختيار) أى رئيس الاختيارية .

أغاوات الأوجاق : هم ضباط الأوجاق ولهم رئيس أغا الانكشارية أو أغا العزبان ... الخ وللأوجاق (كتخدا) أى وكيل وله كاتب أيضا وهكذا ، وكان لأصحاب الرياسة فى الأوجاقات حضور جلسات الديوان ، وكان للديوان فى هذا العصر

: معنيان الأول : يفيد معنى الديوان الثابت ، الثانى : يفيد مجرد اجتماع هذا الديوان الثابت ، والديوان الثابت

: الذى كان لباشا مصر لم تكن العضوية فيه مقررة بالتحديد كما هو الحال فى البرلمانات الحديثة مثلا ، بل كان المفروض أن يحضره الصناجق وضباط الأوجاقات وكبار أصحاب الوظائف والعلماء وكبار التجار ، وأرباب السجاجيد وغيرهم من الوجهاء والمفروض أن يجمعه الباشا لكل أمر مهم ، وكانوا يميزون بين ديوانين : أولهما الديوان الخصوصى : وتغلب عليه الصفة التنفيذية ، والثانى : الديوان العمومى : ويجتمع فيه الأعضاء لتداول الرأى وله صفة استشارية فى الغالب أى أن آراء أعضائه ليست ملزومة

(١) انظر : محمد شفيق غربال ، مقال عن مصر عند مفرق الطرق ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع والجزء الأول ، عدد مايو ١٩٣٦ ، وقد شرح محمد شفيق غربال مخصوصة ترتيب الديار لحسين أفندى الروزنامجى سالفة الذكر .

للوالى .

أمين البحرين		البحرين عبارة عن ساحلى بولاق ومصر العتيقة (الفساط) ويشرف أمين البحرين على الرسوم المفروضة على الغلال الواردة لهذين الساحلين ، وعلى السفن التى تسير فى النيل وفروعه والبحيرات .
أمين الخردة	:	الخردة عبارة عن رسوم كانت مفروضة ابان العصر العثمانى على الملاهى والنساء « العوالم » والحواه ومن يماثلهم ، وقد تعددت هذه الرسوم فى السنين القريبة من الاحتلال الفرنسى ، بدرجة جعلت من المستحيل على ولاة الأمور ابان عصر الحملة الفرنسية تحديدها .
أمين الأنبار	:	هو أمين شون الغلال والأنبار هى الغلال ، وكان يشرف على شون الغلال الأميرية وهومن أوجاق الجاوشان .
الوالى	:	كان لهذة اللفظة فى العصر العثمانى عدة اطلاقات ، فهى تطلق أحيانا على الباشا العثمانى أى والى مصر من قبل الدولة العثمانية ، وكانت تطلق على رجل وظيفته صيانة الأمن فى القاهرة ، وكان هناك ثلاثة ولاة من هذا القبيل : واحد للقاهرة ، وآخر لبولاق وثالث للفسطاط وكانوا جميعا تحت رئاسة أنما الانكشارية بمضى الزمن
	:	أصبحت لوالى ـ القاهرة رئاسة على زميلية .
قاضى عسكر أفندى		هو قاضى القضاة في مصر ابان العصر العثمانى ، قال عنه حسين أفندى الروزنامجى : هو نائب السلطان فى الأحكام الشرعية ، ومذهبه حنفى ، فقد كان من نتائج

الفتح العثمانى لمصر أن عهد السلطان برياسة القضاء فى مصر لقاضى غير مصرى (تركى غالبا) يعينه السلطان لادارته شئون المحاكم المصرية فى العصر العثمانى وتعيين النظار على الأوقاف وله حق حضور الديوان الخصوصى ، وكان يتبعه بعض المترجمين ، ومقره فى محكمة الباب العالى بحى بين القصرين بالقاهرة وتنعته الوثائق الرسمية بأنه « سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الأفهام أشرف السادة الموالى الأعالى الأعزة الكرام الناظر فى الأحكام الشرعية وقاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطة الكريم أعلاه دام علاه آمين ».

وكان النظام القضائى بمصر ابان عصر المماليك يحكم بمقتضى المذاهب الأربعة (الحنفى الشافعى والمالكى والحنبلى) ونظرا لأن الدولة العثمانية كان النظام القضائى بها على المذهب الحنفى ، فقد تغير النظام القضائى بمصر بعد الفتح العثمانى وأصبح طبقا لمذهب الامام الأعظم أبى حنيفة ، وبقى قاضى عسكر أفندى يعين من طرف السلطان الى عهد الحملة الفرنسية حين عين الفرنسيون قاضيا من علماء الأزهر هو الشيخ أحمد العريشى لرياسة القضاء ، وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عاد الأمر إلى ما كان عليه واستمر كذلك الى أن قطعت بريطانيا علاقة مصر بالدولة العثمانية سنة ١٩١٤ عندما قامت الحرب العالمية الأولى.

وكان لهـذا القاضى التـركى نواب فى القاهرة والاقـاليم يطلق على كل منهـم اسم « مأذون » وأحـيانا « مـأذون مـولانا قـاضى أفندى » وفى رسـالة خطيـة بدار الكتب المصرية ، كتبها الشيخ أحمد العريشى تتضمن اجاباته عن اسئلة وجـهها اليه الفرنسـيون ، بها تعـريف بنظام القضاء اذ ذاك وأسماء بعض القضاة النائبين عن القاضى الأكبـر وتعيين مـحالهم ، ويختـلف القضاء فى العـهد العـثمـانى المـملوكى عن القـضاء فـى عهـدنا فى أن القاضى لم يكن له ولا لتـابعية من كتـاب ورسل مرتب شـامل كـمـا هو الآن ، بل كـان للقـاضى عـوائد من أصـحـاب الدعاوى ،ومن هذه الـموارد كـان القـاضى يصرف على جهاز القضاء . (١) .

أربـــــــــاب السجاجيد : قـال عنهم حسـين أفندى الروزنامـجى (مـؤرخ النظم العثمانية فى مصر ابان العصر العثمانى) : « لهم مقامهم واكرامهم لأجدادهم ،ورتب لهم السلطان ترتيبا عظيما، وأعطى لهم بلادا ،ومكـنهم فـيهـا ، ويحـضـرون فى الديوان الخصوصى ، والمشورة لهم فى جميع الأمور، ولهم على الباشـا فراوى سمـور فى وقت مقـابلته وفى وقت طلوع القلعـة » وذلك لتهنئتـه بالمناسبـات الدينية والأعياد الاسلامـية ، وكان بمصر أربع سجـاجيد على

---

(١) انظر : أحمد العريشى قـاضى العسكر بمصر ابان الحملة الفرنسيـة ، دفتر علم وبيان طريق القضاء وأسماؤهم بمصر المحروسة وأقاليمها ، مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٣١٥١ (تاريخ) .

عهد الحملة الفرنسة وهم :

١ ـ سجادة السادة البكرية وشيخها الشيخ خليل البكرى ويرجعون نسب اسرتهم الى أبى بكر الصديق .

٢ ـ سجادة السادة الوفائية : وشيخها محمد أبو الأنوار السادات ويرجع نسبه الى سيد ناعلى بن أبى طالب .

٣ ـ سجادة السادة العنانية : وشيخها الشيخ العنانى ويرجع نسبة الى عمر بن الخطاب .

٤ ـ سجادة السادة الخضيرية : وشيخها الشيخ الخضيرى ويرجع نسبة الى الزبير بن العوام .

ومن الملاحظ أن الشيخين الأولين كانا يقدمان أحيانا فى الذكر على شيخ الأزهر ابان العصر العثمانى (فى وثائق العصر) وذلك لأن وراءهما جمهور غفير من أرباب الطرق الصوفيه فى العصر العثمانى لرواج التصوف والدروشة فى ذلك العصر [١] .

أرباب الأشاير : هم أرباب الطرق الصوفية أى مشايخ الطرق الصوفية ، وكل طائفة منهم معروفة باشارة خاصة يزينون بها صدورهم ويجمعون أنفسهم فى مسيرات ضخمة فى موالد الأولياء بالقاهرة والأقاليم .

شيخ البلد : هو زعيم المماليك فى العصر العثمانى وكان يتمركز بمماليكه فى القاهرة .

القلقات : جمع قلق تحريف عربى للتركية قوللق ، وهو مركز

(١) انظر : محمد شفيق غربال ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ .

العسكر في العصر العثمانى أو ما نسميه الآن نقطة الشرطة ، وتطلب الدلالة على مركز العسكر نفسه وعلى الضابط أو أحد رجاله أحيانا .

صنجق : ويكتبها الجبرتى أحيانا (سنجق) و (سنجاق) وتجمع على (سناجق) أو (صناجق) وهى من التركية سنجاق وهو العلم أو قسم من ولاية كبيرة كما تطلق على الحاكم لقسم من ولاية ، وقد تكون السنجقية أيضا مجرد رتبه ، وصنجق طبلخانه يجمع بين مصطلحين : مصطلح عثمانى ومصطلح مملوكى ، فبعض الأمراء فى دولة المماليك كانوا امراء طبلخانه أى يكسبهم مقامهم أن تدق لهم الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية التى تتكون منها طبلخانه السلطان وكان فى مصر ٢٤ سنجقا تعين منهم الاستانه سناجق الثغور المهمة (الاسكندرية - دمياط - السويس) وأهم السنجقيات فى مصر فى العصر العثمانى هى:(جرجا والشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة) .

كاشف : الحاكم الذى لم يبلغ مرتبة السنجقية يطلق عليه (كاشف) وعلى المنطقة التى يحكمها اسم (كشوفيه) أما عن عوائد حكام المديريات من صناجق وكشاف ، فقد كان أهم مورد لهم هو مال الكشوفية المقرر على الأراضى الزراعية ، والكشوفية كانت قديمة وجديدة ، ويتكون كل منها من مفردة ، وكان على الصناجق والكشاف مال ميرى يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

استادار : كلمة غير عربية ومعناها فى الأصل الحاذق فى صنعته ، ثم استعملت فى الخصى من الآدميين ، وقد تكتب (استاذ الدار) و ((أستادار) ويقال للجماعة استدارية ، وهى عند ملوك المشرق على الاطلاق فى العصور الوسطى رتبة من الرتب المعتبرة ، وكان ملوك خوارزم يضعفون تحت ادارة الاستادار جملة أموال بعضها من الخزنه ويعرضها من المديريات وتوزع بمعرفته على المخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها .

وقال صاحب ممالك الأمصار والمقريزى، كان لاستادار العالية التكلم على جميع السرايات فيرتب ما يلزم للمطبخ والمشروبات والخدم والغلمان، وكان يمشى فى الأسفار تبع السلطان ومعه جملة من الغلمان ، ويتكلم أيضا على الجاشنكيرية (المشرفين على طعام السلطان) مع أن رئيسهم يساوية فى الرتبه ويحكم مثله على مائتين من الرجال ،وله أيضا طلب النقود والكسوة ولوازم السرايات ، واستمر ذلك الى زمن السلطان الملك الظاهر برقوق ، فقلد الأمير جمال الدين محمود بن على وظيفة الاستدارية ، وأضاف اليه ادارة المالية في جميع المملكة وما يتعلق بوظيفتى الوزارة وناظر الخاص، فكانت وظيفته من حينئذ أعلى الوظائف حتى وصلت الى ما كانت عليه الوزارة أيام الخلفاء.

وأطلق عليه صاحب كتاب التعريف (استاذ الدار) وقال عنه أنه يتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها ويرتبها في الخدمة على ما يجب وينظر في أمورهم نظرا لا يخفى معه شئ ، وينظر في أمور السماط وأحوال المطبخ الكريم[1] .

الترسيم: هذا المصطلح كثر استعماله في عصر المماليك ، وكثيرا ما يورده ابن اياس وهذه الكلمة تعنى القبض على شخص من أجل دفع مبلغ من المال ومراقبته حتى يتم تدبيره ودفعه[2].

خوانكار: من ألقاب سلاطين السلاجقة والعثمانيين فى آسيا الصغرى التي كانت تسمى بلاد الروم ، وتكتب هذه اللفظة أحيانا « خانكار » مختصرة من « خداوندكار » بمعنى السيد أو الأمير .

مهم: كلمة تطلق على الاحتفال الكبير الذى يُولِم فيه المحتفل لضيوفة وكان فى العصر العثمانى تطلق على الحفل الذى يقام بمناسبة عرس أو طهور أو غير ذلك من المناسبات السارة .

ويقول الجبرتى فى حوادث سنة ١١٩٠ هـ : « وفيها شرع الأمير اسماعيل بك فى عمل (مهم) لزواج ابنته وهى من زوجته هانم بنت سيدهم ابراهيم كتخدا الذى كان تزوجها فى سنة ٧٤ بالسهم المذكور في حوادث تلك السنة ، وكان ذلك (المهم) فى أوائل شهر ذو الحجة وكان قبل ذلك (المهم) حصل بينه وبين مراد بك منازعة أو

---

(١) انظر : المقريزى ، المواعظ ، مصدر سبق ذكره ، ج ٣ ص ٦٤ ـ ٦٥ وانظر أيضا ابن فضل الله العمرى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) ابن اياس ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ص ٢٨٥ .

مخاصمة[1].

الأمراءالقبالى : (أو القبليين) يستعملها الجبرتى كثيرا ويقصد بها أمراء المماليك المعتصمين بالصعيد « الوجه القبلى » لمناواة سلطة القاهرة.

يقول الجبرتى فى حوادث سنة ١١٩١ هـ « فى يوم الاثنين ثامنه (أى ثامن ذو القعدة) سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء (القبالى) لأنهم تقووا واستولوا على البلاد وقبضوا الخراج وملكوا أمن جرجا الى فوق . . . ومنعوا ورود الغلال حتى غلى سعرها ، فعينوا لهم (التجريدة) وسر عسكرها رضوان بك[2].

التجريدة: فى النص السابق هى الحملة .

سرعسكر: مكونه من لفظتين (سر) وهى تركية بمعنى الرأس أو الرئيس ، (عسكر) العربية فيكون معناها : رئيس العسكر أو قائدها ، وقد تكتب أحيانا (سارى عسكر) و (صارى عسكر) .

التحجير : كلمة عربية مأخوذة من (الحجره) ومعناها تحديد اقامة الشخص فى منزله لا يفارقه ، والجبرتى يذكرها فى مواضع كثيرة من كتابه بهذا المعنى[3].

الفائظ : هى كلمة (الفائض) العربية قلبت فيها الضاد الى ظاء جريا على عادة النطق التركى كما فى (ضابط) تنطق بالتركية (ظابط) و (مضبوط) تنطق (مظبوط) وهكذا ، والفائظ هو الفرق بين حصيلة

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، ج ٢ ص ٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ص ١٥ .
(٣) المصدر السابق ج٤ ص ٢٠ .

الضرائب التى يجمعهـا الملتزم من الفلاحين وبين المبلغ الذى يورده لخـزانة الحكومـة ،ويذهب هـذا الفـائظ الى جـيب الملتـزم ، ثم استـعملت بـعد ذلك فى كل زائد عن الأصل وأطلقت على فـائض الربا أو القرض بمنفعه .

التكيـة: تطلق على الـمكان الذى يسكنه الفـقـراء والدراويش وغـالبـهم من الأغراب المنقطعين للعبادة وليس لهم كسـب ، وتوزع عليهم الأطعمة والمرتبات الشهرية من الأوقاف العامة أو من أوقافهم الخاصة ، وكثر انشاء التكايا فى العصر العثمانى .

الخانقاه: كلمة فارسية مركبة من لفظتين : (خان) أى منزل أو مكان ، و(قاه) بمعنى الـصفاء والنقـاهة الروحيـة ، وقد أطلقت على البـيوت التى اقيمت منذ القرن الخامس الهجرى لايواء المتصوفين وأقيم عدد كثير منها فى أيام المماليك منها :

١. خانقاه الأشرف السلطان برسباى (٨٣٥ هـ) بالقرافه الشرقيه ،

٢. خانقـاه بيبرس الجاشنكـير (٧٠٦ ـ ٧٠٩ هـ) بشارع الجمـالية بالقاهرة . المعزية .

٣. خانقاه سعد الدين بن غراب بدرب الجماميز (٨٠٣ ـ ٨٠٨ هـ).

٤. خـانقاه الناصـر فرج بن برقـوق (١٤٠٠ ـ ١٤١١ م) بالقرافـه الشرقية وهى أكبر بناية أثرية فى قرافات مصر[1].

الرباط: كـان الرباط فى الأصل نوعا من المـباتـى يسكنه المجـاهدون الذين

---

(١) د . عبد الرحمن زكى ، موسوعة القاهرة ص ٩٦ ـ ٩٩ .

يدافعون عن الاسلام وانتشر على وجه الخصوص فى شمال أفريقيا ، ومعظمها أبنيــة مستطيلة الشكل وتوجد فى أركانهــا أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن الربط صـفاتها العسكـرية ، أصبحت مكانا للتـقيف والعبادة ويسكنها الصوفية كالخانقاوات[1].

البلطجى: كلمة تركية وتطلق فى الأصل على الشـخص الذى يسير مع العسكر لأجل تسهيل الـطريق بقطع الأشجار (بالبلطة) واقامـة الحصون و (البلطجية) جـماعة كانوا يتبعون الـسلطان فى تجواله يحملون البلط لرد أى اعتـداء مفـاجئ على السلطان ، واسـتعـملت لفظة البلطجى أخيرا للدلالة على الفتوة الذى يعـتمد على قوته فى سلب مال الناس والاعتداء عليهم ، كما تطلق على الشخص الذى لا يهتم بأداء الحق الى صاحبه[2].

أناضول: كلمة تركية من أصل يونانى (أناتولى) أى المـشرق وكان اليونانيون يطلقونها على كل ما يقع شرق القـسطنطينية . (أى آسيا الصغرى) ثم نطقهـا الأتراك أناضول ، وقيل مـعناها فى التركـية الوطن الأم ، وقد اطلق العـرب على الأناضول (بلاد الروم) وكل من يـأتى منها (رومى) .

الروملى: كان الأتراك يطلقون اسم (روملى) على شبه جزيرة البلقان والكلمة مكونه من لفظتـين (روم) و (ايلى) ومـعناها بلاد الروم ، وذلك

---

(١) انظر المقـريزى ، المواعظ ، ج٣ ص ٤٦٧ ، وانظر أيضا د . عبـد الرحمن زكى ، موسوعة القاهرة ص ١١٣ .

(٣) انظر عـدلى طاهر نور ، من تعليق هامش له ص ٤٠٧ هـامش رقم (١) من ترجمـة كتاب ادوارد وليم لين المصريون المحدثون .

كقولهم (عثمانلى) و (استانبولى) ... الخ .

أفندى : تركية معناها سيد (وأفندم) معناها سيدى .

دولتلو : (لو) المضافة الى الألقاب تركية بمعنى صاحب فيكون معنى (دولتلو) صاحب الدولة وهكذا سعادتلو (صاحب السعادة) و (فضيلتوت صاحب الفضيلة) وظلت مستعملة فى مصر الى عصر ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ .

الانكشارية : من أصل تركى (ينى تشرى) ومعناها العسكر الجديد ، وهو اسم أطلقة العثمانيون على الجنود المشاة النظاميين التى كونوها فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويرجع تنظيمها الى السلطان أورخان (٧٢٦هـ-١٣٢٦م) وهو أبن السلطان عثمان الأول (١٢٩٩-١٣٢٥م) والجبرتى يكتبها فى كثير من المواقع (الينجكرية) .

الحلوان : هو الرسم الذى تتقاضاه الحكومة فى العصر العثمانى فى مقابل نقل حق أو منفعة من شخص الى أخر .

قشلات : جمع (قشلة) وهى فى اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء فى التركية يسمى (قش) بكسر القاف وسكون الشين والقشلات فى العصر العثمانى كانت لسكنى العساكر ، واستعملت حتى الآن فيقال (قشلاق) و (قشلاقات) لسكن العساكر فى الجيش .

بيادة : كلمة فارسية معناها مشاه ، واستعملت فى التركية .

المهاترة : جمع مهتر (تركية) وهو رجل الموسيقى ، ويضربون النوبة أى يعزفون على آلاتهم الموسيقية فى أوقات معينه كعند غروب الشمس مثلا .

الجامكية: أو الجمكية من الفارسية جامكى وأصلها مرتب يصرف لشراء ملبس وفى الاصطلاح العثمانى المملوكى مرتب الجنود الشهرى .

الكتخدا: هو وكيل الباشا العثمانى (والى مصر) ويقال عنه أحيانا (الكخيا) واطلقت فى العصر العثمانى على كل من ينوب محل رئيس لفرقة أو مهنة .

المهردار: هو أمين خاتم الباشا أى حامل خاتمة ، و (الخزينة دار) هو أمين صندوق الباشا وهؤلاء الثلاثة يكونون شبه مكتب الباشا .

الطرة: هى بصمة الخاتم .

الساليانة: كلمة فارسية معناها المرتب السنوى .

الخزينة: أو الخزنه فى الاصطلاح العثمانى هى مقدار ما يبقى مما يجبى من مصر بعد انفاق كل ما قرر السلطان انفاقه ويرسل هذا الباقى لعاصمة الدولة العثمانية فى احتفال كبير ومعها فرقة من الجنود عليهم قائد يسمى (سردار الخزنه) .

أونباشى: (تركية) معناها ضابط يرأس عشرة عساكر .

يوزباشى: (تركية) ومعناها ضابط يرأس مائة من العسكر .

بكباشى: (تركية) ومعناها ضابط يرأس ألف من العسكر .

بلوك: (تركية) يعنى جماعة .

قول: (تركية) بمعنى سرية عسكرية .

تفنك: (تركية) بمعنى بندقية .

تفنكجى : حامل البندقية باضافة الاحقة (جى) .

قبودان : أو قبطان تركية ، بمعنى أمير البحر .

صول : تركية بمعنى شمال .

صاغ : تركية بمعنى يمين .

نوبتجى : تركية بمعنى غفير .

دونتما : فن البحر[1] .

سلاملك : من التركية (سلاملق) ومعناها القسم الخاص بالضيوف من القصر أو المنزل و (حراملك) القسم الخاص بالحريم .

خاتون : تركية بمعنى السيدة وكذلك (قادين) بمعنى السيدة أيضا

الجراكسة : كلمة من أصل فارسى مأخوذة من (الجركس) وأصلها (جهاركس) ومعناها الرجال الأربعة لأن (جهار) معناها أربعة و (كسى) معناها رجل ، الجركس أربع قبائل رئيسية كانت تسكن بلاد القوقاس وذلك كما ذكر ابن خلدون ، وكما ذكر البدر العينى (٨٥٥ هـ) فى كتابه (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ج١ ، ص ١٧٠) واحدى هذه القبائل تسمى (آص) أو (آس) ثم باسم هذه القبيلة سمى جبل القوقاسى لأن (قوقاس) بمعنى جبل آس ، ثم باسم هذه القبيلة سميت (آسيا الصغرى) أيام توغلهم بها ثم القارة ، وسميت دولة المماليك الأولى والثانية باسم (الجراكسة) (وفى رأى الثانية فقط)

---

(١) الكلمات من أونباشى الى دونتما من كتاب (قلائد الجمان فى فوائد الترجمان) عربى تركى لمؤلفه خليفه محمود المصرى ، القاهرة ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ م .

لأن معظم سلاطينها كانوا من المماليك المجلوبين من هذه المناطق.

روزنامة : لفظة فارسية مكونه من كلمتين (روز) بمعنى يوم أو نهار (نامه) بمعني سجل أو كتاب ، فيكون معناها سجلات الأحول اليومية ، ورئيسها يسمى (الروزنامجى) باضافة اللاحقة (جى) والتى تفيد الصنعة والمهنه وكتبتها يطلق عليهم اسم (أفندية الروزنامه) وكانوا يتوارثون هذه المهنة فالابن يرث عمل أبيه فى ادارة الروز نامه ، وكانوا يحرصون على ذلك ، ومن ثم فقد كانوا يستعملون بعض الرموز فى الكتابة العربية والاختصارات تصعب قراءتها الا عن طريقهم وسمى هذا النوع من الكتابه بخط (القرمة) وأصبح هذا النوع من الكتابه يشكل مشكلة امام الباحثين فى تلك السجلات ولا يتعرف الباحث على اسراره الا بعد مران طويل .

وإبان حوادث الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفية جباية أموالها ، ولقى الفرنسيون عناءا شديدا تجاه جمع المعلومات المطلوبه وذلك لفرار الباشا والروزنامجى (كبير الادارة المالية) واستعان مدير المالية الفرنسى استيف (ESTEVE) برجل من رجال الروزنامه فى مصر وهو (حسين أفندى الروزنامجى ، فأجابه على الاسئلة التى وجهها اليه ، ونظم حسين أفندى اجاباته فى سته عشر بابا ، وكان هذا بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦ هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠١) أى قرب انتهاء العهد الفرنسى ، وتقع هذه الأبواب فى خمس وسبعين صفحة فى مجلد محفوظ بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ (تاريخ)

وقد ذكر حسين أفندى الروزنامجى كثيرا من المصطلحات التاريخية العثمانية فى مصر بهذه المخطوطة ، ومن ثم استحق لقب مؤرخ النظم المصرية في العصر العثمانى . وقد استفدت من هذه المخطوطه فى اخراج بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر ابان العصر العثمانى) وذلك عند مقارنة مبالغ وثائق الصرة الشريفة بالأرقام التى ذكرها حسين افندى الروزنامجى لأوقاف الحرمين الشريفين ، ومعرفة ما يصرف من هذه المبالغ فى مصر علي ادراتها وما يرسل الى أهالى الحرمين الشريفين .

سرششمة : أوسارى جشمة ، يقول أمين سامى باشا نقلا عن كلوت بك أنه يعنى (قائد ألف) أى ما يساوى فى ألقاب الجيش (بكباشى) وكأن هذا اللقب يضاف إلى اسم محمد على أول الأمر ، ويظهر أنه كان متصرفا فى أطعمة الجيش أى يكون أمينا عليها .

قائمقام : لقب شيخ البلد وهو الاستعمال الاصطلاحى ، وتستعمل قائمقام أيضا فى معناها الأصلى لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائمقام الباشا مثلا لمن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشوية خالية وتستعمل قائمقام لمن يقوم مقام قاضى القضاه بمصر الى حين حضوره من الآستانه .

عرضى : مأخوذه من الكلمة التركية (أردى) ومعناها الجيش أو الفيلق ، وتؤدى معنى المعسكر .

وطاق : مصطلح مملوكى ذكره ابن اياس فى كتابه (بدائع الزهور) للدلالة على المعسكر وظل يستعمل فى فترة العصر العثمانى ، يقول ابن

اياس، (ج ٥ ص ١٦٠) « ولما أقام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرمله من باب القرافة الى سوق الخيل » .

- **خط كلخانة:** هو القانون الأساسى الذى أصدره السلطان عبد المجيد / ١٨٣٩ م بتقرير حقوق الأفراد فى السلطنه العثمانية ، وسمى خط كلخانة لأنه قرئ فى قصر (كلخانه) احد القصور السلطانية ومعنى : كلخانة = دار الورد . وكلمة (خط) العربية معناها مرسوم أو قانون وتستعمل كلخانة فى الاستعمال الشعبى المصرى للدلالة على بيت الفاحشة .

الفرمان : هو المرسوم السلطانى ويقال : (فرمان همايونى) أى سلطانى أو ملوكى ، وهمايونى مأخوذة من اسم طائرا لهما وهو طائر اسطورى يقال عنه أنه عندما يقف على هامة إنسان يصبح ملكا ، فالهما أى الطائر الملوكى .

الأمر الخاقانى: أى الأمر الملكى (خاقان) علم واسم لكل ملك والجمع خواقين .

الخشداشية: هى علاقة الزمالة بين المماليك المعبر عنها فى المراجع المملوكية والعثمانية بلفظ الخشداشية . (والخشداش) أو الخواشداش أو الخجداش أو الخوجداش معرب من اللفظ الفارس (خواجاتاش) ومعناها الزميل فى الخدمة والخشداشية فى اصطلاح عصر المماليك بمصر الأفراد الذين نشأوا عند استاذ واحد أى سيد واحد من المماليك الكبار .

الططر: هم رسل من قبل الباب العالى يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب

وقد فسر الجبرتى هذه الكلمة فى كتابه فقال : « فى يوم الاثنين حادى عشر (صفر ١٢٢٢ هـ) حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب » ويكون الططرى أى رسول السلطان بطريق البر ، أما رسول السلطان عن طريق البحر فيسمى (قابجى) .

ايلجى : أو الجى فارسية بمعنى سفير .

الكلارجى: هو الطباخ .

الرزق الاحباسية: أراضى الرزق هى الأرض التى كانت ينعم بها السلطان على بعض الأشخاص وتصبح ملكا خالصا لهم ،أما (الرزق الاحباسية) فهى الأراضى المرصدة على المدارس والمساجد والأسبلة والخيرات وغيرها ،وكان الملوك والأمراء يخرجونها من زمام أوسيتهم فيستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهات وهى الأراضى التى عرفت فيما بعد بالأراضى الموقوفه أو أراضى الوقف كما سبق أن ذكرنا .

البرابى: قال النويرى فى نهاية الأرب :

« البرابى هى بيوت حكمة القبط » ويقال انه كان لكل كورة من كور مصر برباة يجلس فيها كاهن على كرسى من ذهب وأعجب البرابى - وأعظمها برباة اخميم وهى مبنية بحجر المرمر طول كل حجر منها خمسة أذرع فى سمك ذراعيين وهى سبعة دهاليز سقوفها حجارة ، طول كل حجرة منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع مدهونه بالازورد وسائر الأصباغ من الكواكب السبعة ، وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات

والمقادير ، يقال انها رموز على علوم القبط وهى :

الكيمياء والسيمياء والطلسمات والطب أودعوها هذه الصور .

ثم يقول بأن ذا النون المصرى فك من هذه الرموز ما يتعلق بعلم الكمياء « ويقال أن ذا النون المصرى العابد فك منها علم الكيمياء »(١)

وذكر محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ما يلى :

« هى من القرى القديمة ذكرها جوشيه فى قاموسه فقال : ان اسمها المصرى المقدس Tnou والمدنى Tin والرومى Tnanis والعربى الطينة..

« وقد عرفت باسم البربا بسبب ما كان بها من آثار معبدها المصرى القديم ، وهذه القرية هى التى ولد فيها الملك « مينا » .... »

ثم يقول : وذكر بعض الباحثين أن البربا ، كلمة يقولها أهل الصعيد ، لكل مكان فيه أثر فرعونى ومعناها « بر » أى بيت و« با » أى روح ومجموعها « بيت الروح » وهو القبر »

ثم يقول :

« وأقول ان البربا معناها : بيت الحكمة وهى الدار التى كان المصريون القدماء يتعلمون فيها العلوم ، وعلى الأخص اللاهوتية التى تتعلق بالدين فى ذلك الوقت(٢).

الطراز : هو أطراف ملابس الخليفة ، وأطراف الخلع التى يخلعها على غيره، ولفظ طراز لفظ فارسى ومنه أخذ « دار طراز » بمعنى دار نسيج وكان اسم الخليفة وبعض أمراء الدولة ينقشون فى الطراز .

(١) انظر : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى « نهاية الأرب فى فنون الادب » طبعة دار الكتب المصرية المصورة ، الجزء الأول ص ٣٩٤ .

(٢) انظر : محمد رمزى ، « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ » طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ القسم الثانى ، الجزء الرابع ص ١٠٨ .

الفصل السادس

وكالات الأنباء

مصدر من مصادر الأخبار فى العصر الحديث

تتحكم فى الخبر فى التاريخ المعاصر أجهزة حديثة عبارة عن شركات حرة لها مراسلون فى شتى بقاع العالم تجمع الأخبار المصورة والمسموعة من مصادرها الأصلية فى جميع أركان الأرض ، وهذه الشركات هى ما يسمى بوكالات الأنباء العالمية .

ووكالات الأنباء العالمية خمسة هى :

١ ـ وكالة اسو شتيد برس الأمريكية Associatetl Press

٢ ـ وكالة يونتيدبرس انترناشيونال الأمريكية
United Press international

٣ ـ وكالة رويتر البريطانية Reuter

٤ ـ وكالة أجنس فرانس برس الفرنسية Agence France Press

٥ ـ وكالة تاس السوفياتية (تحول اسمها فى عهد روسيا الاتحادية إلى (إيتارتاس) .

ومهمة وكالة الأنباء هى تمثيل الصحف والعمل بالنيابة عنها فى أكبر عدد ممكن من المدن والعواصم لمراقبة الأحداث وجمع الأخبار من معظم أنحاء العالم ونقلها إلى الصحف المشتركة فى نشراتها فوكالة الأنباء اتخذت اسمها من طبيعة عملها كوكيل أو ممثل للصحف .

وقد ثبت أن أكثر من ٧٠٪ من مواد الصحف اليومية والمجلات

الأسبوعية تنقل عن وكالات الأنباء العالمية والمحلية (١) .

ويذهب بعض الكتاب إلى ان من ٨٠ - ٩٠٪ من مادة الصحف اليومية فى مصر منقولة من الأربع وكالات الأولى (الأمريكية والبريطانية والفرنسية) وبالتالى فإننا نقرأ العالم من خلال عيونهم وهى حقائق منقوصة ومبتورة ، وهى بذلك أقرب إلى الكذب ، وما ينطبق على الصحف ينطبق على الاذاعة والتليفزيون .

ولنضرب لذلك مثلا هم على سبيل المثال يتحدثون عن إنتهاك حقوق الانسان والغاء الديمقراطية فى السودان ، باعتبارها مشكلة العالم الأولى ، وسنفترض أن كل ما يقولونه صحيح ولكنهم لا يقولون كلمة واحدة عن الانتهاكات البشعة لحقوق الانسان التى لا تقارن بما يجرى فى السودان ، لوصح كل ما يقولونه عن السودان .

إن الدول المحيطة بالسودان (اوغندا - اثيوبيا - ارتيريا - كينيا) والتى تدعمها امريكا بكل قوتها العسكرية هى اسوأ نماذج فى مجال حقوق الانسان والديمقراطية ، وهى تمارس الارهاب المسلح علنا ضد شعوبها وضد السودان ولكن الحزب اليهودى فى امريكا (الديمقراطى حاليا ٩٧ - ٢٠٠٠م) قرر شن حملة لتشوية السودان وإساءة سمعته تمهيدا للانقضاض عليه ، ولو أعلن السودانى غدا الغاء النظام الاسلامى لتوقفت فجأة وفورا كل هذه الحملة الامبدئية ولتحول السودان إلى بلد حضارى (٢).

---

(١) د. ابراهيم امام ، وكالات الأنباء ص ٣ ، ٢٧ .

(٢) مجدى أحمد حسين ، من مقال له بالشعب بعنوان : اليهود الصهانية يعززون ، سيطرتهم على الحكم الامريكى ويعلنون الحرب على المسلمين جريدة الشعب ١٩٩٦/١٢/١٧ .

ونضرب مثالا واحدا من أثيوبيا ، فهل سمع أحد أو قرأ عن الانتهاكات الأثيوبية فى مجال التطهير العرقى والتقسيم القبائلى وقمع الأحزاب السياسية وانتهاك حقوق الانسان بالتعذيب وانتزاع الاعترافات الكاذبة وتزوير انتخابات الرئاسة وتعديل الدستور لتأكيد السلطات الاستبدادية للرئيس زيناوى ، والاستيلاء على جميع أراضى البلاد وحرمان الفلاحين من تملك الأراضى ، وما يؤدى إليه ذلك من اتساع دائرة التصحر ، وتحول المجاعات فى بعض المناطق إلى ظواهر متوطنة !

كما أن الحكومة الأثيوبية متهمة بقتل المعارضة السياسية واعتقالهم وتلفيق الاتهامات للأبرياء ، وارتكاب الاختطاف ، هل يعلم أحد بالغارات الملحة اليومية التى يشنها الجيش الأثيوبى على الاراضى الصومالية العربية الاسلامية ؟ هل يسمع أحد عن الاضطهاد العرقى والدينى ضد القوميات المسلمة وغيرها ، وهل يعرف أحد أن النظام الأثيوبى يضم أراضى صومالية مستعمرة . لماذا لا يعترف النظام الغربى بهذه الحقوق ؟

هذا مجرد مثال على النفاق السياسى والاعلامى الأمريكى المتحيز[1] ومن ثم لزاما علينا كمؤرخين للتاريخ الحديث والمعاصر أن نبحث فى نشاط هذه الوكالات وما إذا كان من الممكن الأطمئنان إلى أخبارها وخاصة بعد ما أثير حولها من قضايا تورط فى العمل لحساب جهات استعمارية فلقد ضبطت سلطات الأمن فى مصر حلقات للتجسس كانت تعمل من خلال بعض وكالات الأنباء الأجنبية نذكر منها على سبيل المثال قضية وكالة الأنبياء الفرنسية سنة ١٩٥٦ ، وقضية وكالة أنباء رويتر البريطانية التى صدر الحكم فيها على الجاسوس زارب Zarp وزميله Swinburne

(١) المرجع السابق ، ذات المقال .

بالسجن سبع سنوات وهذا هو الذى جعل بعض [illegible] يتساءل [illegible] : فهل هناك علاقة بين أجهزة المخابرات ووكالات الأنباء ؟ وهل هذا هو أحد الأسباب التى يجعل الكتابة فى هذا الموضوع أمرا حساسا شائكا ؟ » [1] .

وعلى ذلك يتضح أن وكالات الأنباء العالمية تعمل لحساب الدول الكبيرى وتمارس احتكارا خطيرا ،وضغطا شديدا على الصحف والمجلات والاذاعات المسموعة والمرئية وكذلك على وكالات الأنباء المحلية ، ومن ثم على الرأى العام العالمى وتأخذ دعما ماليا من الدول التابعة لها .

وتقوم هذه الوكالات العالمية الخمس بإعلام نحو ٩٨,٧٪ من سكان العالم ويتم هذا الإعلام عن طريق الاحتكار وهذا هو الوضع الأغلب أو عن طريق التنافس ، ولكن هذا الطريق الأخير قد أخذ فى التضاؤل .

وهكذا نجد أن لكل وكالة منطقة نفوذ واضحة تسيطر عليها سيطرة تامة، فالوكالتان الأمريكيتان تسيطران على ثلاثة أرباع أمريكا الشمالية ، ووكالة الأنباء الفرنسية تسيطر على الدول المتحدثة بالفرنسية (الفرنكفونية) ومعظم أوربا وأفريقيا ، ووكالة رويتر تسيطر على دول الكومنولث البريطانى (الأنجلوفونية) أما وكالة تاس فتسيطر على دول الكومنولت الروسى والدول التى تسير فى ركابها مؤخرا . التى تحول اسمها مؤخرا إلى (إتيارتاس) .

أما وكالات الأنباء المحلية فى بلدان الدول النامية والعالم الثالث فتعتمد كليا على هذه الوكالات العالمية وتقوم بتصفية أنبائها قبل بثها محليا تبعا لهواها السياسى ، وأغلبها تصرف عليها الدول التابعة لها .

ويقول مدير وكالة تاس السوفيتية : أنه لا بأس من اختيار الأخبار من

---

(١) المرجع السابقق ص ٤ .

زاوية واحدة أو جانب واحد مع اهمال الجانب الآخر ولا بأس أيضا من تأخير إذاعة الاخبار أو حتى التزام الصمت حيالها ، وقد يتطلب الأمر تعديل بعض الأخبار أو حتى خلقها لأغراض دعائية مفيدة لان الخبر سلاح يستخدم لمصلحة معينة أو لهدف محدد (١) .

وعلى ذلك رأينا كثيرا من الأخبار تتعرض للتزيف أو التأجيل أو الاخفاء. مثل خبر استسلام ايطاليا سنة ١٩٤٣ إبان الحرب العالمية الثانية ، قد كتم لفترة طويلة من الزمن ، وعندما نالت الهند استقلالها ، وقد رضخت بريطانيا لذلك لم يظهر الخبر فى الصحافة السوفيتية وعندما غرقت إحدى وحدات الأسطول السوفيتى قرب سواحل القرم سنة ١٩٥٥م لم ينشر الخبر رغم أن ضحايا الحادث قد بلغ عددهم ١٥٠٠ شخص (٢).

وبدأت كثير من الدول ومن بينها مصر التى كانت تمشى فى ركاب الاتحاد السوفيتى فى هذا الاتجاه وتمارس سيطرة كاملة على الأخبار التى تبث لديها عالميا ومحليا لدرجة أن كثيرا من الصحف فى عهد عبد الناصر تكاد تكون نسخا متشابهة . ومن بعد جمال عبد الناصر بقيت لدينا من آثار هذا الماضى البغيض ما يسمى بالصحف القومية ، وهذه سمات الأخبار فى نظم الحكم الشمولية التى مازالت حكوماتنا فى العالم العربى والاسلامى تفضلها على النظام الديمقراطية الحر .

ويقع المؤرخ فى حيرة من أمره حيال ما يبث من أخبار فى وطنه وهى أخبار لا يطمن إليها لأن حكومته تنشر الأخبار التى تخدم مصالحها وتحجب وتزيف البعض الآخر تبعا لهواها السياسى ، وقد لاحظنا هذا واضحا فى

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

حرب الخليج وحرب الوحدة فى اليمن الشمالى والجنوبى .

وهتلر أثناء الحرب العالمية الثانية اختلق خبرا لا أساس له عندما أراد الهجوم على بولندا لكى يكون على أبواب الاتحاد السوفيتى عدوه اللدود ، فقال « سأقدم سببا دعائيا للشروع فى الحرب ، ولا يهمنى إن صدقه الناس أو لم يصدقوه ، ولن يسأل المنتصر بعد نصره إن كان قد قال الحقيقة أولا ، والنصر لا الحق هو الشئ المهم فى شن الحروب وخوضها »(١).

وكان هذا السبب الدعائى هو أنه إدعى أن الجيش البولندى اعتدى على حدود ألمانيا وأتى بالصحافة ووكالات الأنباء تصور هجوما مصطنعا قامت به قوات جمع الألمان أفرادهم من السجون وألبسوهم ملابس الجيش البولندى وقاموا بتمثيل هجوم على الحدود الألمانية .

ولولا الوثائق التى تم الحصول عليها بعد هزيمة ألمانيا لظلت هذه الأخبار السرية على طى الكتمان .

وعلى ذلك فالاعتماد على أنباء هذه الوكالات يجب أن نضع فى الاعتبار أن الأخبار يمكن أن تكون مزيفة .

وعلى الرغم من أن بعض هذه الوكالات قد تم بيعها للعرب مثل وكالة يونيتد برس الأمريكية إلا أنه ما زالت أربع دول من دول العالم المتقدم تتحكم فى الأخبار المسموعة والمرئية هى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا ، والخطير فى هذه الوكالات العالمية أما أنها فى الأساس يهودية مثل : يونيتد برس ، وأسوشيتد برس ، ورويتر ، أو تحت سلطان

(١) الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفيتية ، ديبوريم ، تعريب خيرى حماد ص٦٢ .

اليهود مثل : فرانس برس ، وتاس رغم أنها شيوعية .

وإذا جرى فى العالم الإسلامى ما ينبغى أن يعرض للعالم وللرأى العام العالمى فاذا لم تكن فيه مصلحة يهودية ، فلا ينشر ولا يجد أدنى اهتمام ، وإذا مر العالم الإسلامى بحدث هام يستحق الوقوف عنده تمارس عليه هذه الوكالات تعتيما إعلاميا . فهى توجه الأخبار كما تشاء وتنقل أو تخفى منها ما تشاء .

ولكونها تتحكم فى الخبر فهى تسيطر على وسائل الإعلام فى دول العالم بشكل غير مباشر لأنها تمثل مصادر هامة للخبر لا غنى عنها ، ولأن وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون تحتاج إلى تمويل إخبارى عالمى بصفة مستمرة ويوميا بل وكل لحظة أحيانا ، وهذه الوكالات توفر الأخبار لها بفضل ما تملكه من امكانيات ووسال اتصال متطورة بالاضافة إلى مالها من مراسلين منبعثين فى شتى بقاع العالم ، ولهم الحق فى ملاحقة الأحداث بشتى الوسائل بحكم القانون الدولى والأعراف الدولية المرعية والمحترمة من شتى بقاع العالم بالاضافة إلى ما لدولهم من وزن عالمى يجعلهم محوطين بالرعاية التامة فى العالم .

وقد تضخمت أجهزة هذه الوكالات فى الاونة الأخيرة واتسع نطاق عملها ومن الاحصائيات التى نشرت مؤخرا عن وكالة يونايتد برس الأمريكية أنه بلغ عدد مراسليها فى العالم فى عام ١٩٨١م ١٢٠٠ صحفى ومصور منبعثين فى أكثر من ١٠٠ دولة ، ويعمل فى هذه الوكالة أكثر من ٢٠٠٠ من الباحثين والمجهزين للخبر[١] .

---

(١) عن جريدة الشرق الأوسط العربية التى تصدر فى لندين ، عدد ١٤٠٢هـ عدد (٢/١٢/١٩٨١م).

ولكونها تتحكم فى الخبر بهذه الصورة فليست مصدرا أمينا - وإن كان هاما لا غنى عنه ، وعلى ذلك فيجب على المؤرخ أن يتسلح بالرؤية الفاحصة المدققة فى شأن قبول أو رفض تلك الأخبار ، لأن غالبها مبتور أحيانا أو مبالغ فيه أو مزيف أحيانا أخرى . ولقد حدثنى الزميل والصديق اليوغوسلافى الدكتور أحمد أسما عيلو فيتش [1] أنه قرأ خبرا طيرته وكالة رويتر البريطانية مكتوب فى جريدتين تصدران فى لندن احداهما عربية والأخرى انجليزية ، وكان الخبر عن موضوع واحد ولكنه فى الانجليزية بصورته الحقيقية وفى الجريدة العربية بصورة مزيفة ناتجة عن قصد لتضليل القارئ العربى .

أما وكالات الأنباء المحلية فى بقية بلدان العالم وعلى الأخص في بلدان العالم الاسلامى فانها تعتمد على هذه الوكالات العالمية التى تمدها بسائر الاخبار العالمية التحريرية والمصورة وتدفع فى مقابل ذلك ثمنا غاليا . ثم تقوم بتصفية وغربلة الأنباء تبعا لهواها السياسى .

وعلى المؤرخ أن يلاحظ أخبار هذه الوكالات عندما ينقلها من الصحف المحلية ولا يأخذ أخبارها قضية مسلمة فيقع فى الخطأ ، بل علية أن ينظر إلى هوية الوكالة التى تنقل الخبر ويفحص أهدافها السياسية وعسكرها السياسى التى تتحدث باسمه ثم اخيرا يتضح له وجه الصواب من الخطأ فى الخبر ، ويجب على المؤرخ أن يعرف أن هذه الوكالات الخمس تزيف كثيرا من الاخبار التى تمس العالم الاسلامى أو تهملها احيانا ، فهناك كثير من المناطق

---

(١) الدكتور احمد اسماعيلوفيتش كان زميلا لنا بالأزهر فقد كان طالبا معى فى كلية اللغة العربية بالقاهرة فى فترة دراسة الليسانس والماجستير والدكتوراه فى الستينات ومطلع السبعينيات وحصل على شهادة الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة الأزهر ، وهو الآن عميد كلية الدراسات العربية والاسلامية بسرايفيو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك .

الملتهبة بالمقاومة فى العالم الإسلامى ضد الاستعمار الأجنبى أحيانا وضد حكام جائرين أحيانا أخرى ، فتقف هذه الوكالات من أخبار هذه المناطق موقف المضلل أحيانا أو موقف الصمت أحيانا أخرى فلا تسلط عليها الأنظار.

وذلك مثل الصراع الموجود الآن فى اريتريا بعد الاستقلال بين المسلمين واسياس أفورقى المسيحى المدعوم من اسرائيل وامريكا ويريد تحويل بلد عربى مسلم غالبيته من المسلمين إلى بلد يتحكم فيه المسيحيون بقيادة مسيحية عميلة لإسرائيل والغرب . فإن وكالات الأنباء تقف موقف الصمت من هذا الصراع وكذلك كفاح شعب البوسنة والهرسك فإن الأخبار عن الأوضاع الجهادية لهذا الشعب تهيمن عليها وكالات الأنباء الغربية المتربصة مثل دولها بهذا الشعب المسلم وتدبر له المؤامرة بعد الأخرى للقضاء على استقلاله وعلى وحدة أراضيه حتى أن الوسطاء الغربيين يشتركون فى هذه المؤامرات ويدعون أنهم يسعون لإصلاح ذات البين بينما هم يمكنون الصرب من الاستيلاء على أراضية ومرة أخرى يمكنون الكروات ومازال المسلسل مستمرا ضد اعلان استقلاله سنة ١٩٩١ والتصفية العرقية والابادة حتى إذا ما تسربت أنباؤها إلى الصحافة العالمية كان الساسة الغربيون يسارعون إلى التغطية والتمويه مدعين بأن الجميع يرتكبون الجرائم (١).

ومن المعلومات المثيرة التى عرفت أخيرا أن «لورد أوين» الوسيط الدولى الانجليزى بذل جهدا كبيرا فى صيف عام ١٩٩٣ لشق الصف البوسنى لإضعاف موقفهم فى المفاوضات لكنه لم يكلل بالنجاح وهو الذى اقنع «فكرت عبديتش» بأن ينفصل عن البوسنة ويستقل بمنطقة بيهاتش ويبقى مواليا للصرب ، وقد ظلت بيهاتش شوكة فى جنب البوسنة حتى سقطت فى أيدى

---

(١) فهمى هويدى ، محاكمة طواطؤ الغرب فى البوسنة ، أهرام ٣/ ١٠/ ١٩٩٥ .

البوسنة والكروات مؤخرا وهرب عبديتش .

وعندما صحى ضمير بعض المثقفين فى ألمانيا مؤخرا وأراد الأعلان عن غضبه جرت محاكمة فى «بون» اثناء انعقاد مؤتمر «الجمعية الدولية للمستضعفين فى الارض» ضم نخبة من المثقفين والخبراء الغربيين كان هدفه الأساسى هو فضح عمليات الابادة الجارية فى البوسنة وكشف تآمر الحكومات الغربية على وقوعها واستمرارها واستمرت مداولات المثقفين أربعة أيام وانتهت بصدور بيان أكذ ذلك التواطؤ ودعا إلى تقديم الدول الأعضاء فى مجلس الأمن والأمين العام للأمم المتحدة ومبعوثه إلى يوغوسلافيا السابقة ومعهم الوسطاء الدوليون إلى محكمة العدل الدولية لمحاسبتهم على أدوارهم فى جرائم وحشية بالبوسنة (١) .

وحتى الآن (١٩٩٧م) تتوطأ الدول الكبرى وخاصة أمريكا وروسيا على اجهاض مقاومته الباسلة وتقوم وكالات الأنباء المذكورة بلعب دور كبير فى هذا المجال .ولا يستطيع المؤرخ المعاصر الذى يتناول حاضر العالم الإسلامى بالدراسة أن يغطى اخبار نضال وكفاح هذا الشعب ، فهذه الوكالات لا تطير من أخبار هذا الأقليم إلا المزيف الذى لا يوثق به وكذلك كفاح شعب الفلبيين المسلم تجاه حكامه المسيحين المتعصبين ندر أن يجد لها الانسان الا تقارير صحفية هزيلة وناقصة فى الصحف العربية تستعمل فيها الاساليب الانشائية الحماسية بدلا.من الوقائع الحية ، وذلك ناتج عن ضعف وكالات الأنباء المحلية العربية والاسلامية لأنها تهتم بالأخبار المحلية فقط ولا طموح لها فى توسيع نشاطها المحلى وجعله عالميا على الرغم من امكانياتها المالية الضخمة فى بعض الدول العربية .

---

(١) المرجع السابق .

وهكذا فأحداث العالم الإسلامى بين أمرين : أما مسكوت عنها ، واما مزيفة ، وكلا الأمرين فيه خطورة على تسجيل تاريخ صحيح للعالم الإسلامى.

والواقع أن الحاجة كانت ماسة منذ حرب السويس ١٩٥٦م وحرب اكتوبر ١٩٧٣م وما صاحبها من حرب البترول ، أقول أن الحاجة كانت ابان هذه الحوادث ماسة لإنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية نظرا لخطورة هذا النوع من الوكالات الغربية التى تقود حربا نفسية على العرب والمسلمين فى الوقت المناسب إزاء كل حدث يمس مصالح الغرب أو الصهيونية العالمية ، واصبحت الضرورة ملحة لايجاد وكالة أنباء إسلامية تتحمل مسئولية فضح ما تمارسه الوكالات الاخرى من تزييف وتشويه للقضايا الإسلامية والعربية وتقوم بفك الحصار الأعلامى المضروب على أخبارنا الإسلامية ، وتوقف بث وكالات الأنباء الغربية لسمومها فى أجهزة إعلامنا وصحافتنا الإسلامية.

ولعلنا ما زلنا نذكر حرب البترول التى بدأت أثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣م بين العرب واسرائيل ، عندما أعلن الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية منع ضخ البترول إلى العالم الغربى الذى يقف مع إسرائيل ضد العرب وخاصة أمريكا وأعلن عن سياسه عربية بالتقليل من انتاج البترول على مراحل تقل شيئا فشيئا حتى تقلل دول الغرب من انحيازها لعدونا ، عندها قامت قيامه وكالات الأنباء العالمية وشنت حملة عالمية ضد العرب وصورتهم فى صورة الذى يريد أن يقضى على الحضارة العالمية ، وحاولت أن ترسم لهم صورة التاجر الجشع ، ولم تتحدث اطلاقا بعدالة عن صور الغرب الذى ينحاز انحيازا أعمى إلى اسرائيل ويعكر بذلك صفو السلام فى العالم كله.

وكانت كل هذه الزوبعة التى أثارتها وكالات الأنباء لتحقيق أهداف

الرجل الغربى الاستعمارية ودوام سيطرته على مقدرات العالم الثالث ، ومهما قام الاستعمار بإزلاله فيجب عليه أن يظل خاضعا ، ومع أن هناك دولا كثيرة فى العالم غير العربى لديها انتاج ضخم من البترول تبيعه فى الاسواق الحرة مثل : دول الكومنولث الروسى وبريطانيا من بترول بحر الشمال ، والمكسيك وغيرها الا أن ارتفاع السعر حلال لهؤلاء حرام على العرب ، فإذا رفعت تلك الدول سعر بترولها أو منعته عن بعض الدول فلا تنظم ضدها حملة إعلامية من وكالات الأنباء فى هذا الصدد ، انما الحرب قائمة على قدم وساق ضد العرب الذين يقال عنهم بأنهم يتحكمون فى مقدرات العالم النفطية وهم وحدهم المسئولون عن الانهيار الاقتصادى فى العالم فتقوم وكالات الأنباء بتكوين رأى عام عالمى مناهض ضدهم .

وقد كثرت فى الآونة الاخيرة الأحاديث عن حاجتنا إلى وكالة ابناء إسلامية عالمية [١] يوثق باخبارها ، وخاصة فى الاجتماعات الاسلامية العالمية من مطلع الستينات من هذا القرن علي يد الملك فيصل بن عبد العزيز، ولكن هذه المحاولات المخلصة عاقتها بعض الوقت العداءات العربية التى تقضى دائما على كل بادرة خير فى العالم العربى . ومنذ أن تمكن المسلمون من أن يعقدوا مؤتمرات دورية لبحث شئونهم بعد حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م على يد اليهود ، والبحث جار فى انشاء وكالة أنباء اسلامية .

ففى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الثانى المنعقد فى كراتشى بباكستان فى المدة من ٢٦ ديسمبر ١٩٧٠ حتى ٢٨ من ديسمبر تمت الموافقة

---

(١) كان من بينها دعوة شيخ الأزهر جاد الحق إلى مؤتمر عالمى للدعوة باسم « مؤتمر الجهاد الإسلامى » وضرورة انشاء وكالة أنباء إسلامية .

على انشاء وكالة أنباء إسلامية ، وتنفيذا لتوصيات مؤتمر كراتشى عقد يوم الثلاثاء ٢٤ من صفر ١٣٩١هـ (٢٠/٤/١٩٧١م) مؤتمر فى «طهران» لبحث إمكانية انشاء وكالة إسلامية عالمية ، وذكر بيان صدر فى نهاية المؤتمر الذى استمر ثلاثة أيام جاء فيه :

«أن وكالة الأنباء الإسلامية ستكون فى مرحلتها الأولى اتحادا يضم وكالات الأنباء الوطنية للدولة الإسلامية وأن الهدف الأساسى لهذا الاتحاد هو وكالة أنباء إسلامية عالمية واختار المؤتمرون العاصمة الايرانية فى البداية مركزا لهذه الوكالة التى ستتصلها الأنباء من الدول الأعضاء وتحرر وتترجم ثم توزع على جميع هذه الدول ، وستستخدم مبدئيا الوسائل التجارية لتبادل وتوزيع الأنباء ، على أن تستخدم الوكالة مستقبلا اللاسلكى والمبرقات الكاتبة لكى تكون على مستوى وكالات الأنباء الدولية ، ويدير الوكالة مجلس مديرين ينتخب كل سنتين وتمول من قبل المخصصات المفروضة على الدول الإسلامية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامية ، ومن المنح التى ستحصل عليها من هذه الدول[١] .

وفى سنة ١٩٧٢(١٣٩٢هـ) وافق المؤتمر الثالث لوزراء خارجية العالم الاسلامى فى جده على مشروع تأسيس « وكالة الأنبياء الاسلامية » على أن يكون مركزها جدة بدلا من طهران وفى عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) فى فاس بالمغرب ابان انعقاد مؤتمر لوزراء الخارجية الاسامية العاشر عزز المؤتمر انشاء وكالة أنباء إسلامية ومنظمة لاتحاد الاذاعات الاسلامية ، ولكن هناك صعوبات قد تواجه هذه الأمنية فالدول لا تدفع مخصصاتها على الرغم من أن السعودية

(١) انظر : مؤتمر القمة الاسلامى ، صدر عن جريدة الندوة التى تصدر فى مكة المكرمة ١٤٠١هـ ص ٣٢ .

أعطت المقر فى جدة .

واحيانا تتوقف مرتبات العاملين بمقر الوكالة بجدة وتدفعها السعودية ودستور الوكالة جاهز إلا أن التمويل هو الذى ينقصها [(١)] ولكى تكون الوكالة قوية وذات تأثير فى مجال الخبر ونقل الأحداث بسرعة فيجيب ان تتوفر لها المكاتب اللازمة فى كل أنحاء العالم ، ويجب ربط هذه المكاتب بشبكة واسعة من الاجهزة والكفاءات الإعلامية المدربة ، وستحتاج الوكالة إلى ما لا يقل عن ٥٠٠ مكتب منتشرة فى شتى أنحاء العالم حتى تستطيع أن تنافس الوكالات العالمية الاخرى ، ويجب أن يكون الجهاز العامل بها على مستوى عال من الكفاءة والسرعة فى تتبع أحداث العالم ، ولا يقل المبلغ المطلوب فى انشاء وكالة كهذه عن المليار دولار [(٢)] وحتى الآن وللأسف الشديد كما يصرح الأستاذ محمد معروف الدوليبى (أحد كبار المسئولين بمنظمة المؤتمر الإسلامى بجدة) (١٤١٦هـ) لم يتم رصد المبلغ المطلوب رغم وجود النظام الأساسى ، لذلك كانت فكرة تجمع الاذاعات الاسلامية وشبكات التليفزيون لسد النقص فى مجال الإعلام الإسلامى ، إلا أن أحدا لا يساعد هذا التجمع المسمى « اتحاد الاذاعات الإسلامية »

باعتبار أن كل دولة إسلامية تملك وكالتها الخاصة بها واذاعتها المحلية، فالاتحاد لا يملك أية موارد مالية وكان يعتمد فى تصريف اموره على عبقرية الاعلامى الناجح أحمد فراج الأمين العام للاتحاد حيث كان يقوم باعداد برامج إسلامية يقوم بتسويقها لصالح الاتحاد .

(١) من حديث للأستاذ محمد معروف الدواليبى لجريدة أخبار العالم الاسلامى الأسبوعية التى تصدر عن ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، العدد ٧٦٦ بتاريخ ٢٨/ ٤/ ١٤٠٢ هـ (٢٢/ ٢/ ١٩٨٢م).

(٢) المرجع السابق .

وما أشد حاجتنا بدلا من أنشاء وكالات متعددة للأنباء وصغيرة الحجم ضعيفة الامكانيات إلى تأسيس وكالة أنباء على المستوى العالمى توفر لها كل الإمكانيات لتخدم أهدافنا وتؤدى رسالة سامية فى نقل أخبارنا إلى العالم بعد جمعها وتنقيتها ، وبذلك يستطيع المؤرخ والدارس والباحث أن يجد لديه مادة علمية يطمئن اليها فى كتابة أبحاثه وتحقيقاته عن العالم الإسلامى ، ومن ناحية أخرى فانه لا يخفى ما لهذه الوكالة من تأثير فى توجيه الرأى العام العالمى أن أحسن استخدامها وتوفرت لها القيادة الأدارية القادرة .

فوائد ضرورية للمؤرخ

١- تحويل التاريخ الهجرى الى ميلادى :

لمعرفة السنة الميلادية التى توافق السنة الهجرية : ١٢١٣هـ مثلا نفعل الآتى :

أولا : نضرب التاريخ الهجرى (١٢١٣هـ) في رقم ٣ = ٣٦٣٩

ثانيا : نحذف من الناتج رقمى الآحاد والعشرات

ثالثا : بعد حذف الآحاد والعشرات نطرح الباقى من التاريخ الهجـرى ١٢١٣ - ٣٦ = ١١٧٧

رابعا : الناتج من عملية الطرح يضاف إليه رقم ٦٢١ وهى سنة هجرة الرسـول إذن ١١٧٧ + ٦٢١ = ١٧٩٨م وناتج الجمع يكون هو التاريخ الميلادى الموافق للتاريخ الهجرى .

٢- تحويل التاريخ الميلادى الى هجرى :

أولا : نطرح ٦٢١ من السنة الميلادية والناتج يضرب × ١٠٠

ثانيا : يقسم الناتج بعد ذلك على رقم ٩٧ كالآتى :

١٩٧٦- ٦٢١ = ١٣٥٥ × ١٠٠ = ١٣٥٥٠٠ ÷ ٩٧= ١٣٩٦هـ

ملاحظة : لا يلتفت الى الكسور .

قوائم بأسماء الخلفاء في العصور الاسلامية ومدة حكمهم:

الخلفاء الأمويون

١- معاوية بن أبى سفيان ٤١ -٦٠هـ = ٦٦١-٦٨٠م

٢- يزيد بن معاوية ٦٠ -٦٤هـ = ٦٨٠-٦٨٣م

٣- معاوية الثانى بن يزيد ٦٤هـ = ٦٨٣م

٤- مروان بن الحكم ٦٤ -٦٥هـ = ٦٨٣-٦٨٥م

٥- عبد الملك بن مروان ٦٥ -٨٦هـ = ٦٨٥-٧٠٥م

٦- الوليد بن عبد الملك ٨٦ -٩٦هـ = ٧٠٥ -٧١٥م

٧- سليمان بن عبد الملك ٩٦ -٩٩هـ = ٧١٥ -٧١٧م

٨- عمربن عبد العزيز ٩٩ -١٠١هـ =٧١٧-٧٢٠م

٩- يزيد بن عبد الملك ١٠١- ١٠٥هـ = ٧٢٠-٧٢٤م

١٠- هشام بن عبد الملك ١٠٥- ١٢٥هـ = ٧٢٤-٧٤٣م

١١- الوليد الثانى ابن يزيد الثانى ١٢٥-١٢٦هـ = ٧٤٣-٧٤٤م

١٢- يزيد الثالث ابن الوليد الأول ١٢٦هـ = ٧٤٤م

١٣- ابراهيم بن الوليد الأول ١٢٦هـ = ٧٤٤م

١٤- مروان الثانى بن محمد ١٢٧ -١٣٢هـ= ٧٤٤- ٧٤٩م

الخلفاء العباسيون

١- أبو العباس عبد الله السفاح ١٣٢-١٣٦هـ=٧٤٩-٧٥٤م

٢- أبو جعفر عبد الله المنصور ١٣٦-١٥٨هـ=٧٥٤-٧٧٥م

٣- أبو عبد الله محمد المهدى ١٥٨-١٦٩هـ=٧٧٥-٧٨٥م

٤- أبو محمد موسى الهادى ١٦٩-١٧٠هـ=٧٨٥-٧٨٦م

٥- أبو جعفر هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ=٧٨٦-٨٠٩م

٦- أبو موسى محمد الأمين ١٩٣-١٩٨هـ=٨٠٩-٨١٣م

٧- أبو جعفر عبد الله المأمون ١٩٨-٢١٨هـ=٨١٣-٨٣٣م

٨- أبو اسحق محمد المعتصم بالله ٢١٨-٢٢٧هـ=٨٣٣-٨٤٢م

٩- أبو جعفر هارون الواثق بالله ٢٢٧-٢٣٢هـ=٨٤٢-٨٤٧م

١٠ – أبو الفضل جعفر المتوكل على الله ٢٣٢–٢٤٧هـ=٨٤٧–٨٦١م

١١ – أبو جعفر محمد المنتصر بالله ٢٤٧–٢٤٨هـ=٨٦١–٨٦٢م

١٢ – أبو العباسى أحمد المستعين بالله ٢٤٨–٢٥١هـ=٨٦٢–٨٦٦م

١٣ – أبو عبد الله محمد المعتز بالله ٢٥١–٢٥٥هـ=٨٦٦–٨٦٩م

١٤ – أبو اسحق محمد المهتدى بالله ٢٥٥–٢٥٦هـ=٨٦٩–٨٧٠م

١٥ – أبو العباس أحمد المعتمد على الله ٢٥٦–٢٧٩هـ=٨٧٠–٨٩٢م

١٦ – أبو العباس أحمد المعتضد بالله ٢٧٩–٢٨٩هـ=٨٩٢–٩٠٢م

١٧ – أبو محمد على المكتفى بالله ٢٨٩–٢٩٥هـ=٩٠٢–٩٠٨م

١٨ –أبو الفضل جعفر المقتدر بالله ٢٩٥–٣٢٠هـ=٩٠٨–٩٣٢م

١٩ –أبو منصور محمد القاهر بالله ٣٢٠–٣٢٢هـ=٩٣٢–٩٣٤م

٢٠ –أبو العباس أحمد الراضى بالله ٣٢٢–٣٢٩هـ=٩٣٤–٩٤٠م

٢١ – أبو اسحق ابراهيم المتقى بالله ٣٢٩–٣٣٣هـ=٩٤٠–٩٤٤م

٢٢ – أبو القاسم عبد الله المستكفى بالله ٣٣٣–٣٣٤هـ=٩٤٤–٩٤٦م

٢٣ – أبو القاسم الفضل المطيع لله ٣٣٤–٣٦٣هـ=٩٤٦–٩٧٤م

٢٤ – أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله ٣٦٣–٣٨١هـ=٩٧٤–٩٩٤م

٢٥ – أبو العباس أحمد القادر بالله ٣٨١–٤٢٢هـ=٩٩٤–١٠٣١م

٢٦ – أبو جعفر عبد الله القائم بالله ٤٢٢–٤٦٧هـ=١٠٣١–١٠٧٥م

٢٧ – عبد الله المقتدى بأمر الله ٤٦٧–٤٨٧هـ=١٠٧٥–١٠٩٤م

٢٨ – أبو العباس أحمد المستظهر بالله ٤٨٧–٥١٢هـ=١٠٩٤–١١١٨م

٢٩ – أبو منصور الفضل المسترشد بالله ٥١٢–٥٢٩هـ=١١١٨–١١٣٥م

٣٠ – أبو جعفر المنصور الراشد بالله ٥٢٩–٥٣٠هـ=١١٣٥–١١٣٦م

٣١ – أبو عبد محمد المقتضى لأمر الله ٥٣٠–٥٥٥هـ=١١٣٦–١١٦٠م

٣٢-أبو المظفر يوسف المستنجد بالله ٥٥٥-٥٦٦هـ=١١٦٠-١١٧٠م

٣٣- أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله ٥٦٦-٥٧٥هـ=١١٧٠-١١٨٠م

٣٤- أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ٥٧٥-٦٢٢هـ=١١٨٠-١٢٢٥م

٣٥- أبو نصر محمد الظاهر بأمر بالله ٦٢٢-٦٢٣هـ=١٢٢٥-١٢٢٦م

٣٦- أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ٦٢٣-٦٤٠هـ=١٢٢٦-١٢٤٢م

٣٧- أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله ٦٤٠-٦٥٦هـ=١٢٤٢-١٢٥٨م

الدولة الحمدانية (٢٩٣-٣٩٩هـ=٩٠٥-١٠٠٨م)

حكمت هذه الأسرة في الموصل ، ووصل ناصر الدولة حسن ابن حمدان الى منصب أمير الأمراء في بغداد سنة ٣٣٠هـ=٩٤١م ثم صار لها مجد كبير في سورية الشمالية وكانت حلب عاصمة لها ، وامتد سلطانها على بلاد الشام لفترة من الزمن . لم يستقر الحكم بأيدى الأمراء بعد سيف الدولة بل كان متقلقلا :

١- أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان (الموصل) ٢٩٣-٣٠١هـ=٩٠٥-٩١٣م

٢- ناصر الدولة حسن بن حمدان (نائب الأميرفي الموصل) ٣١٤ هـ=٩٢٦م

(أمير الأمراء) ٣٣٠-٣٣١هـ=٩٤١-٩٤٢م

٣- سيف الدولة أبو الحسن على (حلب) ٣٣٣-٣٥٦هـ=٩٤٤-٩٦٦م

٤- سعد الدولة أبو المعالى شريف (حلب) ٣٥٦-٣٨١هـ=٩٦٦-٩٩١م

٥- سعيد الدولة أبو الفضل سعيد (حلب) ٣٨١-٣٩٢هـ=٩٩١-١٠٠١م

استولت الدولة الفاطمية على الحكم من أيدى المتأخرين سنة ٣٩٩هـ=١٠٠٨م .

الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ=٨٦٨-٩٠٥م)

حكمت هذه الأسرة مصر والشام في القرن الثالث الهجرى = التاسع الميلادى ، في وقت ضعف فيه الخلفاء العباسيون . وقد قام أحمد بن طولون باصلاحات جيدة في مصر ، وبنى مدينة القطائع .

١- أحمد بن طولون	٢٥٤-٢٧٠هـ=٨٦٨-٨٨٣م
٢- خمارويه بن أحمد	٢٧٠-٢٨٢هـ=٨٨٣-٨٩٥م
٣- جيش بن خمارويه	٢٨٢-٢٨٣هـ=٨٩٥-٨٩٦م
٤- هرون بن خمارويه	٢٨٣-٢٩٢هـ=٨٩٦-٩٠٥م
٥- شيبان بن أحمد	٢٩٢هـ = ٩٠٥م

الدولة الأخشيدية (٣٢٣-٣٥٨هـ=٩٣٤-٩٦٩م)

استقل محمد الأخشيد بمصر سنة ٣٢٣هـ=٩٣٤م واستطاع أن يضع يده على فلسطين وعلى دمشق . وقع على هذه الدولة عبء مقاتلة القرامطة ، ثم قضى عليهم الفاطميون .

١- محمد الأخشيد	٣٢٣-٣٣٤هـ=٩٣٤-٩٤٦م
٢- أبو القاسم بن الأخشيد	٣٣٤-٣٤٩هـ=٩٤٦-٩٦٠م
٣- على بن الأخشيد	٣٤٩-٣٥٥هـ=٩٦٠-٩٦٦م
٤- كافور	٣٥٥-٣٥٧هـ=٩٦٦-٩٦٨م
٥- أبو الفوارس أحمد بن على	٣٥٧-٣٥٨هـ=٩٦٨-٩٦٩م

دولة بن الأغلب (١٨٤-٢٩٦هـ=٨٠٠-٩٠٨م)

أسس ابراهيم بن الأغلب هذه الدولة في إفريقيه (وكانت تطلق على بلاد تونس) بإذن من الخليفة العباسى هارون الرشيد . وقد قبل الرشيد بأن يكون لهذه الدولة كيان سياسى من أجل ملاحظة دولة الأدارسة (التى انفصلت عن الدولة

العباسية سنة ١٧٢هـ=٧٨٨م على يد آل علي) والحد من نفوذها ومحاولة القضاء عليها .

توسعت دولة بنى الأغلب شرقا فوصلت الى حدود مصر ، وغربا الى حدود المغرب الادريسى ، واستولت على صقليه . وأخيرا انقرضت هذه الدولة على أيدى الفاطميين .

١- ابراهيم بن الأغلب	١٨٤-١٩٦هـ=٨٠٠-٨١١م
٢- عبد الله بن ابراهيم	١٩٦-٢٠١هـ=٨١١-٨١٦م
٣- زيادة الله الأول بن ابراهيم	٢٠١-٢٢٣هـ=٨١٦-٨٣٧م
٤- الأغلب بن ابراهيم	٢٢٣-٢٢٦هـ=٨٣٧-٨٤٠م
٥- محمد الأول ابن الأغلب	٢٢٦-٢٤٢هـ=٨٤٠-٨٥٦م
٦- أحمد بن محمد	٢٤٢-٢٤٩هـ=٨٥٦-٨٦٣م
٧- زيادة الله الثانى بن أحمد	٢٤٩-٢٥٠هـ=٨٦٣-٨٦٤م
٨- محمد الثانى بن أحمد	٢٥٠-٢٦١هـ=٨٦٤-٨٧٤م
٩- ابراهيم الثانى بن أحمد	٢٦١-٢٨٩هـ=٨٧٤-٩٠٢م
١٠- عبد الله الثانى بن ابراهيم	٢٨٩-٢٩٠هـ=٩٠٢-٩٠٣م
١١- زيادة الله الثالث بن عبد الله	٢٩٠-٢٩٦هـ=٩٠٣-٩٠٨م

الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ=٩٠٩-١١٧١م)

أسس هذه الدولة المنفصلة عن الدولة العباسية تماما أبو محمد عبيد الله المهدى بالله بمساعدة داعيته وقائده أبى عبد الله الشيعى ودخل الى القيروان مظفرا . ثم استولى الفاطميون على شمالى أفريقية وعلى صقلية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط . وفي عهد المعز لدين الله استولى قائده جوهر الصقلى على مصر والشام سنة ٣٥٨هـ= ٩٦٧ .

انحسر نفوذهم عن سورية سنة ٤٧٢هـ=١٠٧٩م ، لكنهم استمروا يحكمون مصر حتى سنة ٥٦٧هـ= ١١٧١م حيث أعلن صلاح الدين الأيوبي ضم سورية ومصر تحت سلطانه الى الدولة العباسية .

١- أبو محمد عبيد الله المهدى بالله ٢٩٧-٣٢٢هـ=٩٠٩-٩٣٤م
٢- أبو القاسم محمد القائم بالله ٣٢٢-٣٣٤هـ=٩٣٤-٩٤٥م
٣- أبو طاهر اسماعيل المنصور بالله ٣٣٤-٣٤١هـ=٩٤٥-٩٥٢م
٤- أبو تميم بن المعز لدين الله ٣٤١-٣٦٥هـ=٩٥٢-٩٧٥م
٥- أبو منصور نزار العزيز بالله ٣٦٥-٣٨٦هـ=٩٧٥-٩٩٦م
٦- أبو على المنصور الحاكم بأمر الله ٣٨٦-٤١١هـ=٩٩٦-١٠٢٠م
٧- أبو الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله ٤١١-٤٢٧هـ=١٠٢٠-١٠٣٥م
٨- أبو تميم معد المستنصر بالله ٤٢٧-٤٨٧هـ=١٠٣٥-١٠٩٤م
٩- أبو القاسم أحمد المستعلى بالله ٤٨٧-٤٩٥هـ=١٠٩٤-١١٠١م
١٠- أبو على المنصور الآمر بأحكام الله ٤٩٥-٥٢٤هـ=١١٠١-١١٣٠م
١١- أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله٥٢٤-٥٤٤هـ=١١٣٠-١١٤٩م
١٢- أبو المنصور اسماعيل الظافر بأمر الله ٥٤٤-٥٤٩هـ=١١٤٩-١١٥٤م
١٣- أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله ٥٤٩-٥٥٥هـ=١١٥٤-١١٦٠م
١٤- أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله ٥٥٥-٥٦٧هـ=١١٦٠-١١٧١م

الأتابكة

١-عماد الدين زنكى بن آق سنقر (سنجار) ٥٢١-٥٤١هـ=١١٢٧-١١٤٦م

٢- الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى (حلب ثم دمشق) ٥٤١-٥٦٩هـ =١١٤٦-١١٧٣م

٣- الملك الصالح اسماعيل بن محمود (حلــــب) ٥٦٩-٥٧٧هـــــ= ١١٧٣-١١٨١م

الأيوبيون

١- الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٥٦٩-٥٨٩هـــــ =١١٧٤-١١٩٣م

سلالة صلاح الدين - فرع مصر

١- العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف ٥٨٩-٥٩٥م = ١١٩٣-١١٩٨م

٢- المنصور محمد بن عثمان (حكم بعده العادل) ٥٩٥-٥٩٦هـــــ=١١٩٨-١١٩٩م

سلالة صلاح الدين - فرع دمشق

الأفضل نور الدين على بن يوســـف ٥٨٢-٥٩٢هـــــ = ١١٨٦- ١١٩٥م (حكم بعده العادل وسلالته)

سلالة صلاح الدين - فرع حلب

١- الظاهر غياث الدين غازى بن يوسف ٥٨٢-٦٠٣هـــ=١١٨٦-١٢١٦م

٢- العزيز غياث الدين محمد بن غازى ٦١٣-٦٣٤هـــ=١٢١٦-١٢٣٦م

٣- الناصر الثانى صلاح الدين يوسف بن محمد ٦٣٤-٦٥٨هـــــ=١٢٣٦ - ١٢٦٠م . وقد حكم الناصر الثانى دمشق منذ سنة ٦٤٨هـــ حتى أخر عهـــده.

٤- الملك العادل سيف الدين ابو بكر محمد بـــن أيــوب ٥٩٢-٦١٥هـــــ= ١١٩٦ - ١٢١٨م وحد بين مصر والشام .

سلالة العادل - فرع مصر

١- الكامل محمد بن العادل أبو بكر ٦١٥-٦٣٥هـــ=١٢١٨-١٢٣٨م

٢- العادل الثانى سيف الدين أبو بكر ٦٣٥-٦٧٣هـ=١٢٣٨-١٢٤٠م

ابن الكامل

١- الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ٦٣٧-٦٤٧هـ=١٢٤٠-١٢٤٩م

٢- المعظم نوران شاه ابن الصالح ٦٤٧-٦٤٨هـ=١٢٤٩-١٢٥٠م

٣- الأشرف موسى ابن العادل الثانى ٦٤٨-٦٥٢هـ=١٢٥٠-١٢٥٤م

سلالة العادل - فرع دمشق

١- المعظم شرف الدين عيسى ابن العادل ٦١٥-٦٢٤هـ=١٢١٨-١٢٢٧م

٢- الناصر صلاح الدين داود بن المعظم ٦٢٤-٦٣٤هـ=١٢٢٧-١٢٣٦م

٣- الصالح عماد الدين اسماعيل ابن العادل (الحكم الأول) ٦٣٤-٦٣٧هـ = ١٢٣٦-١٢٣٩م

٤- الأشرف موسى بن العادل ٦٣٧هـ = ١٢٣٩م

٥- الصالح عماد الدين اسماعيل (الحكم الثانى) ٦٣٧-٦٤٣هـ = ١٢٣٩ - ١٢٤٥م .

سلاطين آل عثمان

١- السلطان عثمان الأول ١٢٩٠-١٣٢٦م = ٦٨٩-٧٢٧هـ

٢- السلطان أورخان ١٣٢٦-١٣٥٩م = ٧٢٧-٧٦١ هـ

٣- السلطان مراد الأول ١٣٥٩-١٣٨٩م = ٧٦١-٧٩٢ هـ

٤- السلطان بايزيد الأول ١٣٨٩-١٤٠٢م = ٧٩٢-٨٠٥ هـ

٥- السلطان محمد الأول ١٤٠٢-١٤٢١م = ٨٠٥-٨٢٤ هـ

٦- السلطان مراد الثانى ١٤٢١-١٤٥١م = ٨٢٤-٨٥٥ هـ

٧- السلطان محمد الثانى (الفاتح) ١٤٥١-١٤٨١م = ٨٥٥-٨٨٦هـ

٨- السلطان بايزيد الثانى ١٤٨١-١٥١٢م = ٨٨٦-٩١٨ هـ

٩- السلطان سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠م = ٩١٨-٩٢٦ هـ

١٠- السلطان سليمان الأول (المشرع) ١٥٢٠-١٥٦٦م = ٩٢٦-٩٧٤هـ

١١- السلطان سليم الثانى ١٥٦٦-١٥٧٤م = ٩٧٤-٩٨٢هـ

١٢- السلطان مراد الثالث ١٥٧٤-١٥٩٥م = ٩٨٢-١٠٠٤هـ

١٣- السلطان محمد الثالث ١٥٩٥-١٦٠٣م = ١٠٠٤-١٠١٢هـ

١٤- السلطان أحمد الأول ١٦٠٣-١٦١٧م = ١٠١٢-١٠٢٧هـ

١٥- السلطان مصطفى الأول ١٦١٧-١٦١٨م = ١٠٢٧-١٠٢٨هـ

للمرة الثانية ١٦٢٢-١٦٢٣م = ١٠٣٢-١٠٣٣هـ

١٦- السلطان عثمان الثانى ١٦١٨-١٦٢٢م = ١٠٢٨-١٠٣٢هـ

١٧- السلطان مراد الرابع ١٦٢٣-١٦٤٠م = ١٠٣٣-١٠٥٠هـ

١٨- السلطان إبراهيم ١٦٤٠-١٦٤٨م = ١٠٥٠-١٠٥٨هـ

١٩- السلطان محمد الرابع ١٦٤٨-١٦٨٧م = ١٠٥٨-١٠٩٩هـ

٢٠- السلطان سليمان الثانى ١٦٨٧-١٦٩١م = ١٠٩٩-١١٠٣هـ

٢١- السلطان أحمد الثانى ١٦٩١-١٦٩٥م = ١١٠٣-١١٠٧هـ

٢٢- السلطان مصطفى الثانى ١٦٩٥-١٧٠٣م = ١١٠٧-١١١٥هـ

٢٣- السلطان أحمد الثالث ١٧٠٣-١٧٣٠م = ١١١٥-١١٤٣هـ

٢٤- السلطان محمود الأول ١٧٣٠-١٧٥٤م = ١١٤٣-١١٦٨هـ

٢٥- السلطان عثمان الثالث ١٧٥٤-١٧٥٧م = ١١٦٨-١١٧١هـ

٢٦- السلطان مصطفى الثالث ١٧٥٧-١٧٧٤م = ١١٧١-١١٨٨هـ

٢٧- السلطان عبد الحميد الأول ١٧٧٤-١٧٨٩م = ١١٨٨-١٢٠٤هـ

٢٨- السلطان سليم الثالث ١٧٨٩-١٨٠٧م = ١٢٠٤-١٢٢٢هـ

٢٩- السلطان مصطفى الرابع ١٨٠٧-١٨٠٨م = ١٢٢٢-١٢٢٣هـ
٣٠- السلطان محمود الثانى ١٨٠٨-١٨٣٩م = ١٢٢٣-١٢٥٥هـ
٣١- السلطان عبد المجيد الأول ١٨٣٩-١٨٦١م = ١٢٥٥-١٢٧٨هـ
٣٢- السلطان عبد العزيز ١٨٦١-١٨٧٦م = ١٢٧٨-١٢٩٣هـ
٣٣- السلطان مراد الخامس ١٨٧٦- = ١٢٩٣-
٣٤- السلطان عبد الحميد الثانى ١٨٧٦-١٩٠٩م = ١٢٩٣-١٣٢٨هـ
٣٥- السلطان محمد الخامس (رشاد) ١٩٠٩-١٩١٨م= ١٣٢٨-١٣٣٧هـ
٣٦-السلطان محمد السادس(وحيد الدين)١٩١٨-١٩٢٢م=١٣٣٧-١٣٤١هـ
٣٧- السلطان عبد المجيد الثانى(خليفة فقط)١٩٢٢-١٩٢٤م=١٣٤١-١٣٤٣هـ .

ويلاحظ أن هؤلاء الحكام العثمانيين كانوا خلفاء وسلاطين ماعدا السلاطين التسعة الأول (من عثمان الى سليم فاتح مصر والشام) فكانوا سلاطين فقط ولم يكونوا خلفاء ، والخليفة الأخير (رقم ٣٧) عبد المجيد الثانى كان خليفة فقط ، ولم يكن سلاطاناً أى أن السلطة لم تكن في يده وإنما كانت في يد رجال الأتحاد والترقى الذين الغوا الخلافة سنة ١٩٢٤م .

أ.د. مصطفى محمد رمضان

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٧/١١٧٧٧

I.S.B.N

977 - 19 - 4532 - 7